

كتاب الهلال



تأليف: د. عبد العظيم أنيس

# ذكريات من حياتي

د. عبد العظيم أنيس

كتاب



سلسلة شامية تصدر عن

دار الهلال

الإصدار الأول يونيو ١٩٥١

رئيس مجلس الإدارة **مكرم محمد أحمد**

رئيس التحرير **مصطفى نبيل**

مدير التحرير **عادل عبدالصمد**

دار الهلال : ١٦ ش محمد عز العرب

ت : ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

فاكس : 3625469 - FAX

العدد ٦١٨ - ربيع أول - يونيو ٢٠٠٢

No - 618 - Ju - 2002

مركز  
الادارة

أسعار بيع العدد ٥٠٠ مخرن

سوريا : ١٢ ليرة - لبنان : ٥٠٠ ليرة - الأردن : ٦ دينار - الكويت

٥ دينار - السعودية : ١٥ ريال - البحرين : ١٠٠ دينار - قطر : ١٥

ريال - دبي / أبوظبي : ١٥ درهم - سلطنة عمان : ١٠ ريال -

المغرب : ٢٥ درهم - فلسطين : ٢ دولار - سويسرا : فرنكات

هاتف : البريد الإلكتروني : darhilal@idac.gov.eg



# ذكريات من حياتي

د . عبد العظيم أنيس



دار الهلال

الغلاف للفنان  
محمد أبو طالب



## الإهداء

إلى ذكرى شقيقتي سعاد أنيس السيدة  
الجليلة التي وقفت إلى جانبي دائماً في  
ظروف حياتي الصعبة.



## تقدير

ترددت طويلا عندما طرحت فكرة إصدار هذا الكتاب ، وأخذت أقلب الأمر .. هل حياتى تستحق أن يصدر عنها كتاب . وأخيرا وافقت ، بعد أن اتفقت على عنوانه ، ذكريات من حياتى .

فأنا لا أصدر كتابا شاملا عن حياتى وإنجازاتى بالمعنى الذى يقصده الاوربيون ، تحت اسم "autobiography" لأنى أولا لم أتعرض لكل ظروف ومسيرة حياتى من ناحية ، وثانيا لأننى مقتنع أن حياتى هذه وأحداثها لا تستحق كتابا من النوع الذى يصدره الغربيون ، فمن أنا حتى أطمع فى كتاب من هذا النوع .

والحقيقة أن بعض مادة هذا الكتاب قد سبق نشرها على هيئة مقالات فى مجلة الهلال ، أو الاهالى أو العربى ، المصرية والكويتية ، أو وردت فى كتب صدرت لى فى مناسبات مختلفة ، وأقتنعت عن صدق أنها قد تكون مفيدة ، للقارئ لاستخلاص دروس منها .

وقد مرتت في حياتي بظروف صعبة كثيرة واشتغلت في أعمال متباعدة ، سنوات مختلفة من حياتي ، فأنا في الأصل استاذ رياضيات ، قمت بتعليمها في جامعات مصر الثلاث الرئيسية .. جامعة القاهرة - جامعة عين شمس - جامعة الاسكندرية .

كما قمت بتدريسها ، في إحدى كليات جامعة لندن سنوات ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .. ولى أبحاث علمية عديدة ، منشورة في المجلات العلمية الدولية ومع ذلك ، فقد شاعت الظروف أن اشتغل صحفيا سنوات من حياتي . وأن اتخصص في الشؤون العربية ، ولقد قضيت سبع سنوات من حياتي معتقلا ، بسبب أفكارى السياسية اليسارية ، خمس سنوات وثلاثة شهور في معتقلات عبد الناصر .. وستين الا ثلاثة شهور في معتقلات الملك فاروق ، وقد قضيت أيام الملك فاروق في معتقلات أبو قير ، ثم الهاكمتيب ثم انطوى على النجر الأحمر .

أما معتقلات عبد الناصر فقد كانت في الأساس في اوردي أبو زعبل ، ثم معتقل الواحات وعلى الرغم من أننى قدمت إلى محكمة الجنايات أيام الملكية ، فأصدر قاضى الاحالة انذاك أنه لا وجه لاقامة الدعوة ضدى

إلا أنني ظننت معتقلا حتى جاءت الحكومة الوفدية  
عام ١٩٥٠ وأفرجت عن كل المعتقلين ..

وفي أيام حكم عبد الناصر قدمت مع آخرين لمجلس  
عسكري برئاسة رئيس سلاح المدفعية آنذاك اللواء هلال  
عبد الله هلال ، وكنت أنا والصدقي محمود أمين  
العالم الوحيدين اللذين حكم لهما بالبراءة ، وعلى ذلك  
بقيت في الواحات حتى أفرج عن جميع المثقفين  
والمحكوم عليهم بالسجن .

واليوم وأنا اقتررب من الثمانين ، لست نادما على  
أى شيء .. فقد كان همى طوال حياتى الدفاع عن  
الفقرام والمظلومين وعن استقلال مصر ، وحقها فى  
حياة كريمة وعندما أتأمل هذا الشريط الطويل من  
حياتى من طفولتى فى حى الأزهر ، إلى اليوم .  
أجدنى راضيا عما قمت به ، وضحيوت من أجله  
مهما كانت قسوة الأيام .

وأرجو أن يجد القارئ على صفحات هذا الكتاب  
ما يقتعه بأنه جدير بالقراءة  
وأن به بعض الدروس المفيدة

د. عبد العظيم أنيس



## الباب الأول

التكوين

---

ولدت في شهر يوليو عام ١٩٤٢ في حي الأزهر لعائلة لها ثمانية من الأبناء، أربعة ذكور وأربع إناث، وكنت أصغر الذكور وأصغر الإناث باستثناء واحدة، وكان بيتنا يقع على بعد خطوات قليلة من الجامع الأزهر، وكان هذا بيت جدي لأبي في حقيقة الأمر الذي كان يعمل في صناعة البناء ويطلق عليه من قبيل التجاوز لقب «مقاول» فقد كان لديه عدد محدود من المساعدين من بينهم أبي وشقيقاه يساعونه في بناء بيوت صغيرة أو مساجد متواضعة وقيل إن جئني لأبي ساعدت جدي في بناء البيت الذي كنا نسكن فيه بالأزهر.

كانت عائلة أبي جميعا من المصرفيين تزجت أصلا من إحدى قري الشرقية واستقرت بجوار مسجد ابن بنت رسول الله تلتبس في جواره البركة، فمنهم من كان صاحب محل جزارة أو كان نجارا أو احترف صناعة البناء كما فعل جدي. ولقد تعلم أبي وشقيقاه خبرة صناعة البناء عن أبيهم ثم انفصل كل واحد منهم عن أبيه بعد الزواج، وارتبطت أعمال أبي بوزارة الأوقاف خصوصا لتركيته على بناء المساجد في

المراكز والعواصم المختلفة لمحافظة مصر، بينما تخصص  
أعمالهم في عمليات ترميم المساجد الأثرية وبالتالي تركزت  
علاقاتهم بمصلحة الآثار.

وكانت عائلة أمي ذات صلة أيضا بصناعة البناء، ومن هنا  
تم زواج أبي بأمي، فقد كان جدي لأمي مقاولا كبيرا نسبيا  
بمقاييس عصره، وكان يمارع في صناعته إلى درجة أن  
أطلق عليه لقب «المهندس» وهكذا اكتسبت أسرته هذا اللقب  
من بعده، ولقد كسب جدي لأمي كثيرا وأضاع معظم ما  
كسبه في أهواء الشرب والنساء. على عكس جدي لأمي الذي  
كان شديد الحرص على ماله، فضلا عن أنه كان شديد  
الإسراف في منزله. وقد تزوج سيدة تركية الأصل هي  
جيتي لأمي لا أتذكر شيئا عنها وإن كنت أسمع دائما أنها  
من فرط سمنتها كانت عاجزة عن المشي في السنوات  
الأخيرة من حياتها فكان أولادها ينقلونها على «صينية» عشاء  
كبيرة إذا أرادت الانتقال من غرفة إلى أخرى أو الذهاب  
إلى الحمام.

## التعليم والأزهر

وعلى عكس عائلة أبي لم يعنهن أحد من أخوالى صناعة أبيهم، فقد كان الوضع التقليدى فى أسرة أمى هو التوجه نحو التعليم كم طريق مضمون للحراك الاجتماعى. وكان التعليم آنذاك فى الأسرة يعنى الذهاب أولا إلى الأزهر لحفظ القرآن ثم من هناك إلى تجهيزية دار العلوم ثم إلى دار العلوم للعمل بالتدريس فى مدارس الحكومة. هكذا فعل خالى زكى المهندس ومن بعده شقيقه كامل، وهكذا فعل من بعدهما شقيقى الأكبر إبراهيم. وكان أخوالى من المهمة فى التحصيل والتفوق فى الدراسة بحيث أرسل خالى زكى إلى بعثة لبريطانيا عام ١٩١٠ حيث قضى بها أربع سنوات وعاد للعمل فى تفتيش اللغة العربية كما أرسل شقيقه الأصغر كامل فى بعثة إلى بريطانيا عام ١٩٢٣ ويقى فيها سبع سنوات وعاد عام ١٩٣٠ حيث عمل رئيسا لقسم الفهارس العربية بدار الكتب المصرية، وكان لهما شقيق أكبر - من الأم فقط - عرف فى الأسرة باسم الشيخ على الشهاوى درس أيضا فى

الأزهر وارتبط بالحزب الوطني حتى أنه أرسل في بعثة على نفقة الحزب إلى فرنسا لمدة ثلاث سنوات كان فيها معاوناً لمصطفى كامل ومن بعده عبدالعزیز جاكوبش.

### ازدواجية الاسم

إنما أشرت إلى هذا الوضع داخل أسرة أمي بشيء من التفصيل لسببين... أولهما أنني عندما ولدت عام ١٩٢٢ أرادت أمي أن تسميني باسم «كامل» تيمناً بلغتها كامل الذي كان على وشك الذهاب إلى بريطانيا عندما ولدت. لكن جدتي لأبي - وكانت صاحبة شخصية قوية - اعترضت حتى لا يظن أحد أنني قبضي فاقترعوا -والذي أن يكون اسمي في شهادة الميلاد «عبد العظيم» منعا لأي لبس بينما يتادونني في البيت باسم شقيقها وهكذا نشأت أحمل اسمين: واحداً في شهادة الميلاد ولا يعرفه أحد في العائلة وأخر في المنزل وظل هذا هو الوضع حتى دخلت الجامعة مما أدى إلى مقارفات طريفة كثيرة في حياتي ولم يخفف هذا الازدواج في اسمي من حياتي إلا عندما فخرت من

الجامعة وتزوجت فأصبح لي اسم واحد هو  
عبدالعظيم.

أما السبب الثاني للاستطراء عن أسرة أمي فهو أن جو  
التعليم الذي انتمجت فيه أسرة أمي أدى بطبيعة الحال إلى  
انحيازات سياسية مختلفة، فقد كان خالي الشيخ علي  
الشهداوي من أنصار الحزب الوطني بينما كان خالي  
الأصغر كامل شديد الحماس للوفد والسعد زغلول. وكثيراً ما  
تصارع الاثنان حول شئون السياسة، وفي هذا الجو انحاز  
شقيقي الأكبر إبراهيم إلى جانب الوفد، وكان وهو طالب في  
دار العلوم كثير التردد علي بيت الأمة، يلقي القصائد الوطنية  
أمام سعد زغلول ومن بعده مصطفى النحاس ولهذا كان  
انحيازنا الأول - وأنا وأشقائي - إلى الوفد بطبيعة الحال.

ولقد بقيت في حي الأزهر حتى سن الخامسة وذهبت إلى  
الكتاب بعض الوقت وأنا في الرابعة من العمر، لكني لا أتذكر  
من هذا إلا أن الكتاب كان بجوار منزلنا، وكانت هناك حنفية  
للمياه أمام الكتاب يتزاحم حولها الناس لل، صفائحهم

وأوانبهم وكانت جدتي لأبي تاتي لزيارتي في الفصل وتعطيني  
 نكلة (مليمين) أشتري بها من المدرس بعض الكعك. غير أن  
 جدي بني منزلا في العباسية الغربية قريبا من شارع الملكة  
 تازلي (شارع رمسيس اليوم). وكان البيت يتكون من نورين  
 وبدروم سكنا نحن في الدور الثاني وسكن عمي الأكبر في  
 الدور الأول بينما سكن عمي الأصغر في البدروم. لقد تركنا  
 حي الأزهر عام ١٩٢٨ فيما أظن وكانت أمي تقول أنذاك إننا  
 «طلعنا» العباسية بعد موت سعد زغلول وكنت أدهش من  
 استخدامها فعل «طلع» في هذا السياق وأتساءل إن كان هذا  
 بمعنى أن العباسية كانت أعلى في أرضها من أرض حي  
 الأزهر، أم أن «الطلع» هنا بمعنى الصعود في السلم  
 الاجتماعي. ولقد تعودت أسر اليهود جوارية الصغيرة المقيمة  
 في حي الأزهر على مشروع الانتقال إلى حي العباسية  
 بمجرد أن تسمح الظروف المالية ببناء منزل في هذا الحي  
 الجديد نسبيا، كانت معظم أراضي العباسية صحراوية ولذا  
 كثر البناء فيها في أوائل القرن وفي العشرينات والبعث انتقلت

عشرات الأسر. وكانت القاعدة العامة هي أن الأسر الثرية تبني لها فيلات في العباسية الشرقية. أما أسر البورجوازية الصغيرة فكانت تبني في العباسية الغربية أو تستأجر لها مسكناً هناك. ويذكرني هذه التاريخ بما حدث لنجيب محفوظ الذي انتقلت أسرته قبلنا من الأزهر إلى شارع رضوان شكرى بالعباسية الغربية. وفي الحقيقة أن شارعنا لا يبعد عن شارع رضوان شكرى كثيراً.

ولقد كان انتقالنا إلى المنزل الجديد في العباسية تحولاً كبيراً في حياتنا. فقد وجدنا أنفسنا نمشي وتلعب في شوارع واسعة ونظيفة، وبالقرب من منزلنا كانت هناك حدائق حمراء الجميلة التي كانت تجمع أطفال الحي وتمثل متعة ما بعدها متعة لهم، وكانت منطقة شارع أحمد سعيد مليئة بالغيطان المخصصة لزراعة الخضراوات، وكثيراً ما كانت ترسفنني أمي إلى هناك لشراء السبانخ أو الكرنب. وكانت هناك أراضٍ فضاء واسعة تلعب فيها الكرة، وبعد سنوات صار الاحتفال بالولادة النبوي يجرى في صحراء العباسية وأصبح الموكب



المحمل بالكسوة الشريفة ينهي هناك ومع أن صلتنا لم تنته  
بحي الأزهري لأن جدتي وجدتي لأبي ظلا هناك، فإن هذه الصلة  
بدأت تفتر تدريجيا خصوصا بعدما ماتت جدتي فجأة  
بالسكتة القلبية عام ١٩٢٩ وانتقل جدتي للإقامة معنا في  
العباسية بعد ذلك بسنوات قليلة.

### الم فراق جدتي وأمي

ولقد كان حادث وفاة جدتي صدمة لي وأول مواجهة لعنى  
الموت وأنا في هذه السن الصغيرة، فقد كنا نحبها حبا جما،  
وبدا لي اختفاؤها المفاجيء أمرا شديدا الصعوبة. وكنا قد  
تعودنا أن ننتظرها بالساعات عند موقف ترام لعمرة حيث كان  
الترام رقم ٥ والترام رقم ٢٢ ينتهيان، عندما نعرف أنها  
ستأتي لزيارتنا، حتى إذا ما نزلت من الترام صحبناها أنا  
وإخواتي وأولاد عمي في زفة كبيرة من موقف الترام إلى  
البيت، ولا عجب في ذلك فقد كانت تحبنا ونفحننا بالنفود  
وأنواع الحلوى المختلفة، وحتى اليوم ما زلت أتذكر يوم هذا  
الحادث الجلل - حدث وفاتها - فقد دق بعض أقاربنا باب

منزلنا قبل الفجر بقليل وهول أبي وأمي بسرعة وهما يهتمان. فلما طلع الصباح أخذنا أخي حسن - نحن الأخوة الثلاثة الصغار - معه وزهنا مشيا إلى الدراسة عن طريق شارع مصنع الطرابيش وعندما اقتربنا من منزل جدي سمعنا صراخا وعويلا وبكى أخي حسن وقال لنا الخبر الحزين، ولقد كانت الصدمة الثانية والأكبر في حياتي إزاء الموت عندما ماتت أُمِّي عام ١٩٤٠ نتيجة الإصابة بالحمى، وكنت قد أنهيت إمتحان السنة التوجيهية وكان عمري آنذاك سبعة عشر عاما. وكنت شديد التعلق بأُمِّي وأدت بي هذه الصدمة إلى تحولى إلى إنسان نباتى لا أُنوق اللحم لسنوات ولم أستطع أن أخرج من إسمار هذه الأزمة إلا قرب سُخْرَجِي من الجامعة.

عندما انتقلنا إلى حي العباسية كان من الطبيعى أن يدخلنى أهلى مدرسة تناسب سنى، ولقد دخلت مدرسة البرامونى الأولية وقضيت بها عامين قبل التقدم لامتحان القبول بالمدرسة الابتدائية، وكانت هذه المرحلة - مرحلة

المدرسة الأولية - تعبسة بالنسبة لى، ولشرح ذلك ينبغي أن أوضح أنني قد تعرضت وأنا فى الثالثة الحاشية - ونحن مارلنا فى الأزهر - كانت تؤدى بحياتى، فقد وقعت من على سلم منزلنا وتزفت من جرح فى الأسنان واللثة، ولابد أن هذا الجرح قد أهمل أو عولج بالأساليب الشعبية مما أدى إلى حدوث غرغرينة فى اللثة العليا، وذهب بى أهلى إلى المستشفى الإيطالى بالعباسية وأجريت لى جراحة عاجلة أزيل فيها جزء من اللثة وعظمة الأنف وقضيت أياما بين الحياة والموت. فلما عوفيت انضح لأهلى أنه ترتب على هذه العملية بعض التشويه فى الفم، وفى المدرسة الأولية كان الأطفال وبعض المدرسين يعبرونى بهذا التشويه، وكان مدرس اللغة العربية يتلدينى للإجابة فيقول مقوم يا أشرم، إشارة إلى هذا العيب، وأعتقد أن الضجل والانطواء فى شخصيتى آنذاك إنما يعود إلى تلك الظروف، ولقد أدى هذا إلى كراهيتى للمدرسة والذهاب إليها وإلى شدة تعلقى بأمى وكان ذهائى إلى المدرسة كل يوم مشكلة فقيد كنت أبكى وأصرخ إلى أن

يحملني الخادم على كتفه إلى باب المدرسة وهناك يلقفني الشيخ ناجي المسئول عن ظابور الصباح فيأمر الفراش أن يطلع لي حذائي ثم يقوم هو بضمي على قدمي بضع خبزانات لاكون عبرة للأطفال الآخرين. وفي بعض الأحيان كنت أهرب من المدرسة في فترة بعد الظهر.

### معاناة الدراسة الأولى

ذكرت هذه الوقائع لأوضح أنني لم أتعلم الكثير في المدرسة الأولى، وعندما تقدمت عام ١٩٣١ لامتحان القبول بمدرسة الظاهر الابتدائية لم أنجح في الامتحان بل رسبت بجدارة، وعندئذ أسرع أخي إبراهيم بتسجيل أوداقي إلى مدرسة الحسينية الابتدائية ونجحت بالكاد في امتحان القبول وهكذا قضيت مرحلة التعليم الابتدائي في الحسينية الابتدائية (وهي قريبة من ميدان الجيش وقد شغلت المبنى بعد الثورة شركة مصر للمستحضرات الطبية) من عام ١٩٣١ إلى عام ١٩٣٥. كان التعليم الابتدائي بالمصروفات (عشرة جنيهات تدفع على ثلاث أقساط) إلا للمتفوقين أو نسبة ضئيلة جداً يتم

إعفاؤها بناء على تقديم شهادة فقر. ولم أكن من المتفوقين، ومع أن الأزمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩ ~ ١٩٣٢ قد أصابت أبى بضرر شديد وصل إلى حد الإفلاس إلا أننا لم نكن نرغب أن نتقدم بتبهاة فقر. ورغم هذه المعاناة فقد دفعوا لى المصروفات فى السنة الأولى وجزء من السنة الثانية، ثم أعفيت بعد ذلك من المصروفات بمناسبة شفاء الملك فؤاد وصعود قرار بإعفاء الخمسة الأوائل من كل سنة من سنوات الدراسة.

ومع بدايتى المتواضعة كان اهتمام أشفائى بى فى المذاكرة قد أوصلنى إلى أن أكون من الخمسة الأوائل فى نهاية السنة الثانية وظل هذا حالى فى السنتين الثالثة والرابعة وتعمرت بتفوق خاص فى اللغة العربية والحساب، وربما يعود تفوقى فى اللغة العربية إلى طبيعة اهتمامات الأسرة التى تخرج العديد من أبنائها من دار العلوم. أما شغفى بالحساب فلا شك أن لمدرسى آنذاك - الأستاذ الموصفى - فضلا لا ينسى فيه.

ويشكل ما استطاعت الاسرة أن تجتاز تلك المرحلة بصعوبة ودون خسائر فادحة. نلك أن أخى إبراهيم قد عين فى مدرسة خاصة بمرتبة عشرة جنيهاً. ومع أنه كان الثانى فى دفعة دار العلوم عام ١٩٢٠ إلا أنه لم يعين بمدارس الوزارة بسبب قرار صدقى باشا وقف التعيينات، وكانت شقيقتى الكبرى عائشة تعمل مبرسة بالمدارس الابتدائية وساعدنا ذلك على تدبير أقساط المصروفات لى وثلاثة من الأشقاء. لكننا اجتزنا هذه المرحلة بتضحيات وألام نفسية غير قليلة. ولعل تلك المرحلة هى التى لغست نظرى - ولاتزال - لمسألة الفقر فى الأوساط الشعبية والظلم الفادح الواقع على الملايين نتيجة الحرمان من التعليم، والخسارة التى تصيب الأمة كلها نتيجة هذه الأمية.

### الإبن القدوة

وينبغى أن أذكر هنا أن سلوك الإبن الأكبر فى العائلة فى طريق التعليم يكون له فى العادة أثر غير قليل على الأبناء الأصغر، فهو القدوة والمثل خصوصاً إذا كان شارق السن

كبيراً - وفى حالتنا كان لتفوق شقيقى الأكبر إبراهيم أكبر الأثر عندى طوال مراحل التعليم. فبعد سنوات قليلة من التدرّس أرسل فى بعثة إلى بريطانيا عام ١٩٣٤ وطول المدة التى قضّاها بالخارج كان يرسل لى كل فترة خطابات على المدرسة يشجعنى. فيها على التفوق الدراسى ويطلب منى أن أبعث له بأخبارى ومشاكلى. أتذكر مثلاً أننى عندما كنت فى ستة الشهادة الابتدائية بالمدرسة الحسينية أن دخل ضابط المدرسة يوماً إلى فصلى ونادى اسمى، فلما وقفت ناولنى خطاباً من أنجلترا، وبالطبع كانت سعادتى وفخبرى أمام زملائى فوق الوصف، وقد حدث نفس الشئ لأكثر من مرة عندما دخلت مدرسة فؤاد الأول الثانوية وقضيت بها السنة الأولى والسنة الثانية.

فى المرحلة الثانوية (١٩٣٥ - ١٩٤٠) قضيت بمدرسة فؤاد المنشين الأولى والثانية فلما فتحت مدرسة فاروق الأول أبوابها عام ١٩٣٧ كنت من ضمن المنقولين إليها وفيها قضيت السنوات الثلاثة الأخيرة من المرحلة الثانوية ومنها حصلت

على الشهادة التوجيهية عام ١٩٤٠ ، ولكن بحسن أن أشير إلى حادث مهم في حياتي وقع لي بعدسة فؤاد الأول في السنة الأولى من التحاقى بها ، ففي العام الدراسي ١٩٢٦/٢٥ قامت في مصر مظاهرات عارمة نهتف بسقوط وزير خارجية بريطانيا ، ومسويل مور ، بمناسبة تصريح له ، ولقد خرجنا من المدرسة في مظاهرة كبيرة إلى شارع العباسية حيث هاجمنا البوليس وضربنا بقسوة ، فعدنا إلى المدرسة وألقينا علي قوات البوليس الطوب والأخشاب . وكان شقيقي محمد في طليعة فرقة قذف الطوب ، وكنت أساعده ، وفي المساء جاءت قوات من البوليس إلى المنزل وسألت عني لأنهم وجدوا بعض كتبى على سطح المدرسة ، كنت في الثانية عشرة وأخذت إلى قسم الوايلي حيث قضيت الليل مع ثلاثين آخرين في زنزانة القسم ، وفي الصباح أخذونا إلى مبنى محافظة القاهرة حيث عرضنا على النيابة التى تولت التحقيق معنا ، ثم أفرجت عني لصغر سنى . كان هذا الحادث أول مواجهة لي - وأنا مازلت طفلا - لسلطة السلطة ، ولقد بقيت



عندما جاءت أمي لزيارتي في قسم البوليس لتكني عندما عدت إلى المدرسة في اليوم التالي حاولت أن أظهار بالشجاعة أمام زملائي، وبالطبع ترك هذا الحادث أثراً عميقاً في حياتي بعد ذلك، هازلت أذكره بتفاصيله كما أنني ما زلت أنكر جنازة ويصفاً واصف التي مرت عام ١٩٢٦ في شارع رمسيس أمام منزلنا ومخافتات شباب الوفد في تلك الجنازة المظاهرة كقولهم «إشكي الظلم لسعد ياويصا».

### تكويني الثقافي

وفي هذه المرحلة - مرحلة المدرسة الثانوية - واطلعت طوال الصيف على الذهاب إلى دار الكتب في ميدان باب الخلق للقراءة واستعارة الكتب، فقد كانت ظروفنا المالية لا تسمح بشراء كتب للقراءة العامة وإن كنت قد استفدت من مكتبة أخي إبراهيم بالمنزل التي تركها عند ذهابه إلى بريطانيا ومنها قرأت مقامات الحريري وديوان المتنبي وديوان الحماسة لأبي تمام وكتاب قدامة بن جعفر في نقد النثر وغيرها، ولست أدعي أنني فهمت كل ما قرأت في مكتبة أخي،

لكن ذلك كان مقدمة لمواظبتى على الذهاب كل يوم خلال الصيف إلى دار الكتب حيث أظل بها من العاشرة صباحاً حتى الواحدة ظهراً. وساعدنى على هذا أن خالى الأصغر كان آنذاك رئيساً لقسم الفهارس العربية بينما كان الشاعر أحمد رامى رئيساً لقسم الفهارس الأجنبية فى القاعة المقابلة، وكان موظفو قسم الفهارس العربية يرجعون بى ويساعدوننى، وفى تلك المرحلة قرأت معظم إنتاج طه حسين والعقاد وأحمد أمين والملازنى وتوفيق الحكيم وعبدالله عنان كما قرأت ديوان شوقي ومسرحياته وحافظ إبراهيم والبارودى، وكان العقاد يلفت نظري ويستحوذ على إعجابى بصفة خاصة خصوصاً كتابه «سعد زغلول سيرة وتحية» ومطالعاته فى الكتب والحياة وتأملاته فى الفلسفة وكتابه عن ابن الرومى، لكن كتب العقاد التى صدرت فى مرحلة متأخرة من حياته لم أجد فيها نفسه العميق القديم.

وفى تلك المرحلة أيضاً حرصت على قراءة بعض الكتب العربية التى نتناول قضايا الفلسفة بصورة مبسطة وشغلتنى

على وجه الخصوص سقراط وأفلاطون في الفلسفة اليونانية وأفكار المعتزلة في الفلسفة الإسلامية كما عرضها أحمد أمين. وكان لكل هذه القراءات أثرها في نشاطاتي بمدرسة فاروق الأول الثانوية، فمع مواظبتي على شراء مجلة الثقافة كنت مشتركاً في جمعية التمثيل بالمدرسة وأذكر أنني قمت بدور الكاهن «أنوس» في مسرحية كليوباترا لشوقي عندما قدمناها في آخر العام، وكنت ضمن هيئة تحرير مجلة المدرسة «الفجر» واشتركت مع آخرين في تكوين الجمعية الرياضية تحت إشراف المدرس الأول للرياضيات بالمدرسة، وقد شجعني هذا النشاط على مواصلة في مرحلة الجامعة حيث انتخبت رئيساً للجمعية الطلابية لعلوم الرياضية والطبيعية بكلية العلوم جامعة القاهرة لعام ١٩٤٤/٤٣.

ولقد واجهت مشكلة عسيرة عام ١٩٣٩ إثر حصولي على شهادة الثقافة العامة، إذ كان عليّ أن أختار إحدى الشعب الثلاث للغة التوجيهية (آداب، علوم، رياضيات). فقد كنت محباً للغة العربية والآداب والفلسفة، كما كنت محباً أيضاً

للرياضيات ومتفوقا فيها، ومع أنه بدا لي أن الجمع بين الرياضيات والفلسفة هو أمر طبيعي لأن أ فلاطون كتب على باب أكاديميته «لا يدخلها إلا المشتغلون بالهندسة» إلا أن نظام التعليم في جامعاتنا لم يكن يسمح بذلك، فلما أن ألتحق بكلية الآداب لدراسة الفلسفة أو بكلية العلوم لدراسة الرياضيات، ولقد اكتشفت فيما بعد أن الجمع بين الدراستين يتحقق بسهولة في الجامعات الأوروبية والأمريكية حيث تقوم الجامعة على الأقسام كالوحدات الأساسية وليس الكليات وحيث جدول الدراسة من المرونة بحيث يسمح بالجمع بين تخصصات تبلى متباعدة تعالما في جامعاتنا، وفي ظني أن إحدى نقاط الضعف الأساسية في جامعاتنا هو هذا الوضع الجامد الذي لا يسمح بالجمع بين الفلسفة والرياضيات معا أو بين الرياضيات والاقتصاد .. وهكذا.

وظللت في هذه الحيرة طوال صيف ١٩٢٩ ثم تصادف حضور أخي إبراهيم من لندن لزيارتنا فقام بإقناعي بدخول كلية العلوم لدراسة الرياضيات وقال أنذاك إن في مقعدي

دراسة الفلسفة أو الادب وحدى بالقراءة والمثابرة فى أشهر الصيف بينما أنا أدرس الرياضيات بكلية العلوم، لكن العكس صعب وإن لم يكن مستحيلا، وأذكر أنه قال لى كفاخر حجة فى جعبته إن الفلسفة والأدب لا يطعمان أحداً !

واقترعت ودخلت شعبة الرياضيات فى السنة التوجيهية ثم قسم الرياضيات فى كلية العلوم ولم أنتم على ذلك أبداً ، وفى مرحلة المراهقة والفرعات الافلاطونية بدت العلوم الرياضية - البحتة لا التطبيقية - ذات جمال خاص، وما كان يذهلنى حقا هو معنى هذه الحقائق الرياضية فى الهندسة والجبر التى بدت وكأنها مستقلة عن أى خبرة ، إنه عالم المثل إذن كما كان يقول افلاطون ، واحتضنت بقوة كتاب الرياضى الانجليزى الكبير هاردي «الرياضة البحتة» كما احتضنت أفكاره المثالية كذلك.

فى مايو سنة ١٩٤٤ حصلت على الدرجة الخاصة فى الرياضيات بكلية العلوم جامعة الملك فؤاد الأول (القاهرة) وعينت فى أوائل سبتمبر من نفس العام محيدا بكلية العلوم

جامعة الملك فاروق (الاسكندرية) ومع أنه كانت هناك فرصة لتعييني بجامعة القاهرة إذا انتظرت فإننى أثرت عدم الانتظار لأسباب عديدة فى مقبعتها أننى كنت حريصا على أن أعيش حياة مستقلة عن الأسرة خصوصا بعد وفاة والدى وبداية تفكك الأسرة بزواج الكثير من أبنائها .

لكنى ذهبت الى الاسكندرية وأنا أحمل فى داخلى ذكريات علاقات عديدة بالقاهرة لعبت دورا مهما فى تحديد مسار حياتى واهتماماتى بالاسكندرية . لقد ساعدت ظروف تربيتى وما صادفته الأسرة من مصاعب بسبب الحرص على التعليم على اهتمامى منذ وقت مبكر فى شغائى بالعمل العام وعلى توفر إحساس مبكر بالالتزام قبل الآخرين خصوصا إذا كانوا من الفئات المضطهدة والمظلومة والمطحونة اجتماعيا فمثلا عندما جاءت وزارة للوفد اثر أزمة فبراير سنة ١٩٤٢ بين الملك والانجليز - وسط غارات جوية المانية وإيطالية على القاهرة والاسكندرية - وكانت قوات روميل قد وصلت الى العلمين، تطوعت للالتحاق بمدرسة الوقاية من الغارات الجوية

بالزيئون التي كانت قد انشئت لتدريب المشرفين على أعمال  
الوقاية من الغارات ، وكان سنّي آنذاك لا يزيد على ستة عشر  
عاماً ، وعندما خصّصت الجمعية التعاونية للبترول خمسة في  
المائة من أرباحها السنوية للخدمة الاجتماعية وقامت بإنشاء  
مبنتين للأطفال الفقراء (مبرة الأميرة غادية بالدمرداش ومبرة  
الأميرة فريال بالقلعة ) سارعت وأنا طالب بالجامعة بالنطوع  
للعمل الجانى فى المبرة الأولى التي كانت قريبة من منزلنا ،  
وفضيت فترات الصيف لثلاثة أعوام متتالية أعمل متطوعاً  
بتلك المبرة فى فصول محو الأمية وفى الطواف على منازل  
الأطفال الفقراء بالمحمدي لبحث الحالة الاجتماعية لأسرة كل  
طفل واقتراح معونة مالية لها ، وكان يشرف على هذا العمل  
من قبل الجمعية التعاونية للبترول اثنان من كبار المولين  
فيها .. كامل عبد الرحيم وكيل الخارجية المساعد آنذاك وسفير  
مصر فى واشنطن بعد ذلك والمستشار عبدالمنعم رياض الذى  
كان من قضاة محكمة النقض .

## الشباب والخدمة الاجتماعية

ولقد استطعت اقناع بعض زملائي ومنهم د. محمد عجلان- بالاشتراك في هذا العمل التطوعي الخيري خلال فترة الصيف، ونجحت في ذلك مما أسعد المسؤولين عن هذه المبرة ، خصوصا كامل عبد الرحيم الذي كان يرى في هذا العمل نقطة تحول في توجهات الشباب نحو الخدمة الاجتماعية ، وساعد على توثق صلاتي به أنه قد بدأ يكتشف أن موظفي وزارة الشؤون المنتدبين للعمل بالمبرة كانوا يختلسون بعض الاموال المخصصة للانفاق عليها، فما كان منه إلا أن كلفني بمسئولية الانفاق على المبرة يوميا وتقديم كشف حساب له كل شهر. وعندما تخرجت من كلية العلوم وعينت معيدا بالاسكندرية أقام كامل عبد الرحيم حفلة شاي بمقره بمصر الجديدة لتحيتي وتوديعي وأهداني باسم المبرة أربعة كتب في الرياضيات قبل لي إنها سوف تفيدني في حياتي العلمية الجديدة .

كانت تلك إذن صورة سريعة لاهتماماتي بالعمل العام -



الخدمة الاجتماعية - عندما ذهبت الى الاسكندرية ولقد  
 اشرفت الى زكريات العلاقات الكثيرة مع زملاء لى التى  
 جعلتها معى عند زهابى الى الاسكندرية ، وهنا يجب أن  
 أشير إلى علاقتى بالكتور عبدالمعبود الجبلى - وزير البحث  
 العلمى فى السبعينيات ومدير مؤسسة الطاقة الذرية قبل ذلك  
 - كان عبد المعبود معيدا بقسم الكيمياء تخرج قبلى بعامين  
 وكان محل انبىاء الانظار بالكلية له لتفوقه العلمى وذكائه  
 واهتمامه بالشئون العامة ولقد حاولت اجتذابه للعمل معنا فى  
 الخدمة الاجتماعية بحبرة الأميرة فادية فلم أجد منه الحماس  
 الذى توقعته ، وأدى بنا هذا الى حوار طويل حاول فيه افناعى  
 بأن الخدمة الاجتماعية لن تؤدى إلى تغيير حقيقى فى  
 الأحوال المتردية للمجتمع المصرى وأنها لا تزيد على أن تكون  
 مسكنا من المسكنات مثل الاسبرين ، وأن الحل الحقيقى  
 الجذرى هو الثورة على النظام الملكى القائم، وأن مثل هذا  
 العمل فى حاجة الى إعداد طويل .

وشعينا فشينا بدأت أشك فى انه مرتبط بشكل ما

بتنظيها ماركسية غير معلنة ثم تيقنت من صحة هذه الشكوك عندما بدأ يتحدث معي ببعض الصراحة ويعبرني بعض الكتب الماركسية الانجليزية مثل «ما هي الاشتراكية» لإميل بيرنز وكتاب «الامبريالية» أعلى مراحل الرأسمالية» للنين، وملخص لكتاب «رأس المال» لماركس، وكتب أخرى ترضي اهتماماتي بالفلسفة مثل كتاب «الايدولوجيا الألمانية» «ضد هرونج» لماركس وكتاب «المادية والنقد التجريبي للنين» ولقد ألهمت كل هذه الكتب وتصورت انني فهمت وإن كنت قد أدركت في فترات لاحقة أن الفهم الحقيقي لا يتحقق إلا بمعرفة السياقين الاجتماعى والثقافى اللذين ألغت فيهما هذه الكتب. غير أن أهم كتاب اثار اهتمامى انذاك هو فى الحقيقة كتاب انجلز «جدل الطبيعة» وهو محاولة من المؤلف - على ضوء اكتشافات العلوم الطبيعية فى القرن التاسع عشر - لاستخلاص قوايين الجدل من تلك الاكتشافات. وهذا الكتاب بالذات كان محل انبهارى الشديد تلك الفترة من شبابه لأنه بدا لى أنه يقدم تجميعا مثيرا لبعض النتائج العلمية - فى

الرياضيات والفيزياء والبيولوجي - لم اسمع به من قبل، ولقد  
لقت نظري على وجه الخصوص كيف أن رجلا مثل انجلز  
يكون على هذا المستوى من المعرفة مع أنه غير متخصص في  
العلوم .

وبالطبع فعندما أنظر الآن الى هذا الكتاب أشعر أن هذا  
الامعاج المبهرك كان مصدره جهلى بأشياء كثيرة من العلم.  
وقد يكون كتابا جيدا بمعنى تاريخي ، لكن التطورات العلمية  
للقرن العشرين قد تجاوزت نتائجه بون شك، وبعض نتائجه  
فيما يتعلق بالرياضيات التي تبدو لي اليوم ساذجة كان  
مصدرها معرفة انجلز السطحية بهذا العلم .

### الثورة هي الحل

تلك كانت البداية إذن ... مناقشات مستمرة مع عبد  
المعبود الجبيلي وغيره من الاصدقاء وقراءة متصلة في كتب  
ماركسية كان يعبرني إياها . وكل هذا انتهى بي الى الاقتناع  
بوجهة نظره بأنه لا يوجد حل لمشاكل مصر الاجتماعية غير  
الثورة، وأن خير ما يفعله شباب مثلي هو المشاركة في

الاعداد لها ، وهكذا ارتبطت بمنظمة «اسكرا» التي كان الجبيلي أحد قياداتها وعندما تمت الوحدة بين «اسكرا» وبين «الحركة المصرية للتحرير الوطني» عام ١٩٤٧ وتكونت منظمة الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني «حدتوه» أصبحت واحدا من أعضائها .

ولقد كانت مصر - في ظل الازمة الطاحنة التي كان يجتازها النظام الملكي الحاكم - نموج بتنظيمات غير قانونية كثيرة من بينها بالطبع تنظيم الضباط الاحرار الذي كان يقوده البكباشي جمال عبدالناصر ومع أننى لم أكن على علم بتنظيم الضباط الاحرار فقد كنت اشعر بشكل غامض أن هناك شيئا يجرى داخل الجيش بين ضابطه الصغار ، وكان مصدر هذا الشعور أننى قابلت انذاك عددا من الضباط الصغار ذوي الميول الاشتراكية من بينهم الملازم أول أحمد حمروش ، وقد فهمت أنهم يؤيدون بعض الخدمات التنظيمية الثورية مستفيدين من سيارات الجيش .

ولقد كانت هناك حاجة شديدة لدى منظمة «اسكرا» لتكوين مجموعة مصرية قرية من المثقفين بالاسكندرية ، لقد

كان لها وجود نشيط ضمن أجناب الاسكندرية، لكن وجودها ضمن المصريين كان قريبا من الصفر، ولذا لا شك ان مجموعة المعيدين بكلية العلوم بالاسكندرية قد لعبت دورا رئيسيا في تشكيل مصرى فى أوساط طلاب الجامعة وشبابها . وساعد على ذلك اننا نجحنا فى إنشاء ناد ثقافى يحى الازاريين بالاسكندرية كان محل لقاء الشباب المتحمسة بالشئون العامة . وفى تأسيس رابطة للمعدين تدافع عن مصالحهم الثقافية . كما أن صدور مجلة «الجماهير» الاسبوعية بالقاهرة كان عنصرا مهما فى تجديد الفعاليات المتحمسة لقضية الثورة .

وبطبيعة الحال كانت هناك خواطر من الخبرة والريبة تلم بنا نفجحة ابراكنا أن هناك تنظيمات «الاسكرا» فى أوساط الاجانب لا نعرف عنه شيئا . ولكن مما خفف هذا الوضع علينا فى الاسكندرية اننا كنا نعمل بتجاسر كبير فى أوساط الطلاب والعمال وكان الانفصال الكامل بين التنظيمين المصرى والاجنبى يساعد على أن ننسى هذه المسألة على الأقل فى السنوات الأولى .

وكانت تلك الفترة (١٩٤٥ - ١٩٤٨) تتميز بجيشان جماهيري واسع وتحركات شعبية من السخط والاحتجاج ضد الاحتلال البريطاني الراض في القاهرة والاسكندرية وضد النظام الملكي الذي كان قد فقد شعبيته وبالتالي شرعيته تماماً وبشكل عام كانت أحوال المعيشة سيئة بالنسبة للغالبية من المطحونين اجتماعياً وكانت الاوينة تكتسح البلاد - الكواير - مثلاً - وتفتك بالآلوف ، وكان الرأي العام - وخصوصاً الشباب - معادياً للنظام الملكي ولغارقاً خصوصاً بالرغم من الجهود الحثيثة التي كان يبذلها الاخوان مصطفى وعلى أمين لتقديم صورة زائفة عن الملك واسرته امام الرأي العام .

### صراع مع الانجليز

وعندما أتأمل اليوم أحداث تلك الفترة تتدفع الى ذاكرتي أشياء عديدة قد يكون من المفيد أن أشير إلى أهمها باعتباري واحداً من شهودها او المشاركين فيها ، وأولها بطبيعة الحال اللجنة الوطنية للطلبة والعمال التي قادت مظاهرات ٢١ فبراير

سنة ١٩٤٦ ضد الاحتلال في ميدان التحرير وفي مواجهة  
ثكنات قصر النيل البريطانية (وكانت محل مبنى الجاسرة  
العربية وفندق هيلتون النيل) ، مما أدى الى سقوط العشرات  
من الشهداء برصاص قوات الاحتلال ، لقد كان هذا العمل  
الجماهيري المجيد حدثا تاريخيا بمعنى الكلمة ، وحتى اليوم  
مازال الطلاب في العالم يحتفلون بهذا اليوم (٢٦ فبراير)  
سنويا باعتباره (يوم الطلاب العالمى) .

ولاننى كنت فى الاسكندرية فلم يكن لى أدنى صلة لا  
بتشكيل تلك اللجنة ولا بمظاهرات ذلك اليوم المجيد، وإنما  
نكرته هنا لأن هذا الحدث الجليل كان له رد فعل غاضب  
بالاسكندرية يوم ٥ مارس حيث وقعت المصادمات التى كنت  
من شهودها بين مواقع البوليس الحربى البريطانى بمحطة  
الرميل والمنشية وثبت الى مصرع عدد من جنود الاحتلال .

بعد هذه الاحداث بنحو شهرين أو ثلاثة قيعا أذكر وقعت  
مصادمات أخرى بين طلاب جامعة الاسكندرية وقوات  
البوليس المصرى التى كانت تحاصر مبنى الجامعة فى محرم

بك حيث كانت توجد كلية العلوم وكلية الحقوق وانتهت بحادث  
 فاجع وهو مقتل ضابط من قوات الشرطة - وجن جنون قوات  
 الأمن فامطرت الجامعة سيلاً من الرصاص واعتقلت كل من  
 خرج من الجامعة سواء من الطلاب أو هيئات التدريس ، وظل  
 الحصار مضروباً حول الجامعة إلى منتصف الليل عندما  
 حضر وزير التعليم - محمد العشماوي - من القاهرة في  
 طائرة وأمر برفع الحصار وخلال فترة الحصار قمت مع  
 مجموعة من معيدى كلية العلوم بكتابة عريضة احتجاج على  
 الحصار وجمعنا توقيعات العديد من أعضاء هيئات التدريس  
 الذين كانوا معنا في الحصار بما في ذلك توقيع عميد كلية  
 العلوم - الدكتور حسين فوزي - وعميد كلية الحقوق الدكتور  
 عبد المعطى خيال. واتصلت تليفونياً بأحد الاصدقاء خارج  
 الجامعة وابلغته نص عريضة الاحتجاج طالباً منه أن يبرق  
 بها إلى صحيفة المعارضة الوفدية (صوت الأمة) . وبالفعل  
 صدرت الجريدة في صباح اليوم التالي وفي صفحتها الأولى  
 نص البرقية في يرواز كبير موقعاً عليه باسمي نيابة عن



الموقعين ، وكان ظهور اسمي بهذا الشكل مجرد مصادفة إذ أن موظف التلغراف أصبر على وجود اسم يتحمل مسؤولية هذه البرقية فكان أن اعطاه صديقي اسمي. واستفناط رئيس الوزراء - اسماعيل صدقي - غضبا وكلف وزير التعليم بالتحقيق في الموضوع . واعتقد انني كنت على وشك الفصل من الجامعة بسبب هذه العريضة لولا أن الوزير اكتشف أن عميدى العلوم والحقوق من الموقعين فضلا عن عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس ، ولم يكن من السهل إذن تحميلى المسؤولية.

### محاولات فاشلة لاعتقالى ١

ولابد أن تلك الواقعة كانت ذات صلة بوضع اسمي فى كشوف حملة اعتقالات اسماعيل صدقي التى نفذت فجر ١٩ يوليو سنة ١٩٤٦ واعتقل فيها العديدون من بينهم محمد زكى عبد القادر والدكتور محمد منور وعبد الرحمن الشرفاوى وهنرى كوريل وآخرون كثيرون ، التى قصدها فى حقيقة الأمر تصفية النشاط الجماهيرى البارز الذى كان البسار

المصري - بالتعاون مع الطليعة الوفدية - قد نجح في قيادته. ولم يتمكن بوليس الاسكندرية من اعتقالهم لأنهم ذهبوا الى عنوان كنت قد تركته منذ أسابيع قليلة . وثناء الحظ العاثر للضابط المكلف بالعملية أن يفتش منزل أحد نواب حزب السعديين بحثا عنى ، ورفض أن يعترف أن لهذا المنزل حصانة برلمانية . وفي اليوم التالي تقدم النائب باستجواب في البرلمان، وكانت العلاقة بين اسماعيل صدقي والسعديين قد بدأت تتوتر لأسباب أخرى فحمل النواب حملة شديدة على الوزارة واضطر رئيس الوزراء الى أن يلقى بيانا في البرلمان يشرح فيه ملاحظات خطأ الضابط الذي كان مكلفا باعتقالى ضمن الحملة، وقدم اسماعيل صدقي اعتذارا للنائب عما حدث وأعلن أن الضابط قد نقل الى الصعيد عقابا له.

قرأت كل هذا وأنا في مخبئي عند أحد الاصدقاء بالاسكندرية وقد تردد اسمى كثيرا في كل هذه المساجلات البرلمانية وفي أوائل سبتمبر كانت النيابة قد أفرجت عن جميع من اعتقلوا في حملة يوليو وحفظت التحقيق . فعدت الى

الجامعة وعند خروجي منها ظهرا في أحد الأيام وجدت ضابطا في انتظاري حيث قضيت في قسم محرم بك ليلة شديدة الطرقة، وفي الصباح توجهت الى النيابة بالمشية ، فما كان من وكيل النيابة إلا أن سألني بضعة أسئلة شكلية وتولى هو الاجابة عليها ثم رجاني أن اذهب الى الجامعة فور خروجي من مكتبه . ولم أقهم السبب في هذا الطلب إلا عندما علمت عند وصولي الى الكلية باضراب الطلاب احتجاجا على اعتقالى .

أما الواقعة الثالثة الجديرة بالإشارة هنا فنمعلق بأحداث ٦.٥ إبريل سنة ١٩٤٨ المعروفة باسم «اضراب البوليس» لقد كان لضباط البوليس وجنوده مطالب تتعلق بزيادة الرواتب وتحسين ظروف العمل. وقد فشلوا في اقناع رئيس الوزراء النقراشى الذي كان عنيدا الى هد الحماقة ، بعدالة تلك المطالب . وعندئذ دعوا الى اضراب عام لهم في يوم ٥ إبريل ، وكان لهذه الدعوة الى الاضراب امتدادات جماهيرية واسعة في الاسكندرية على وجه الخصوص . فقد تزامن هذا

الموضوع الخطير - اضراب البوليس - مع مطالب نقابية خاصة بالاجور اعمال الغزل والتسيج وغيرهم، كما تترامن مع موضوع طلابي آخر عرف انذاك باسم قضية سعد فريد .

كان سعد فريد طالبا بكلية العلوم قبض عليه في حي كرموز وقيل أنه كان يوزع منشورا يساريا عند أبواب شركة الغزل الاهلية. وفي اجراءات حكومية عاجلة ومقصودة للتخويف حوكم سعد فريد وصدر عليه حكم بالسجن ستة أشهر وقد أثار هذا الحكم تأثرة طلاب الجامعة لأنه كان اول حكم يصدر ضد طالب. كل هذا كان قد جرى قبل ٥ ابريل بشهر على الأقل. لكن غياب البوليس في هذا اليوم المشهود كان فرصة مواتية لمظاهرات عارمة التحم فيها العمال مع الطلاب مع جنود البوليس في مظاهرات ملأت ميدان الخشية وكان جنود ابوليس يرفعون سناكى بذائقهم وعلى قممها رضيع عيش اشارة الى مطالبهم. واتجهت بعض هذه المظاهرات الى سجن الحضرة لاطلاق سراح سعد فريد . ونزلت قوات الجيش بالذبايات والعربات المصفحة الى الميادين

وأطلقت النيران وسقط العديد من القتلى والجرحى، وفي هذا اليوم - أو ربما اليوم التالي ٦ أبريل - وزعت منشورات باسم (حدثو) كان عنوانها «تسقط الملكية وتحيا الجمهورية» وكانت تلك أول مرة توزع فيها مثل هذه المنشورات الثورية بين الجماهير. ولقد أشرت منذ سنوات في مكان آخر إلى هذه الواقعة وذكرت أن كاتب المنشور كان في الحقيقة الشاعر كمال عبد الحليم الذي كان آنذاك المسؤول السياسي في (حدثو) لمنطقة الاسكندرية ، وأن كاتب هذه السطور هو الذي قام بطبع المنشور في أحد مطابع محرم بك وتنظيم توزيعه . وكنت آنذاك مسئول الدعاية والتنقيف في نفس لجنة المنطقة .

### اعتقالات بالجملة

لقد كان هذا المد الثوري بالاسكندرية والقاهرة هو السبب الحقيقي لقيام حكومة النقراشي باعلان الاحكام العرفية في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ رغم أنها أخذت من موضوع فلسطين تكتة لهذا الاعلان ، ولعل الدليل الواضح على ذلك انها لجأت الى اعتقال كل القوى السياسية المناهضة للنظام بانته باليسار

ثم قوى الطليعة الوفدية ثم الاخوان المسلمين بعد ذلك بشهور، وكنت بالطبع واحدا من المعتقلين الذين اودعوا في معتقل (أبو قبير) بالاسكندرية ثم نقلت بعد ذلك بشهور مع آخرين الى المعتقل المخصص للقاهرة (معتقل الهاكستيب) ثم نقلت مع آخرين الى معتقل (الطوز) على ساحل البحر الاحمر بالقرب من بير سانت كاترين ، وقد تجمع في هذا المكان الذي كان أصلا مخصصا للحجر الصحي الالاف من اليسار والاعوان المسلمين .

وكان الهدف هو عزلهم تماما عن القاهرة والعالم الخارجي ، وكانت وسيلة الاتصال الوحيدة بين المعتقل وبين السويس هي الباكخرة ، عابدة ، التي كانت تأتي لنا بالمؤن واللكولات والخطابات كل أسبوعين .

وقد قضيت في تلك المعتقلات نحو عام ونصف مرضت في آخرها ونقلت إلى مستشفى الدمرداش وبقيت فيه من سبتمبر سنة ١٩٤٩ حتى أفرج عني في ١٠ يناير سنة ١٩٥٠ عندما

أُجريت الانتخابات العامة وعادت الحكومة الوفدية مُتأرجحة  
عن جميع المعتقلين .

ومن الضروري الإشارة إلى أن قصة الاعتقالات هذه قد  
تزامنت مع الانقسامات العديدة التي وقعت في صفوف  
اليسار وأدت إلى تضعُّع نفوذه . صحيح أن الخلافات  
وبداية الانقسامات كانت قد بدأت قبل إعلان الأحكام العرفية  
والاعتقالات، وذلك بانقسام شهدي عطية الشافعي الذي عرف  
آنذاك بـ «تكتل سليمان»، ولكن قضية فلسطين والموقف من  
مشروع التقسيم وبداية اعتقالات ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ .. كل  
ذلك خلق مناخا مواتيا لانقسامات أوسع بين مؤيدي مشروع  
التقسيم ومعارضيه في صفوف اليسار، وكان من الطبيعي أن  
يشور في هذا المناخ وضع الأجانب واليهود داخل قيادة  
(حديثو) وخصوصا هنري كورييل .

ولقد حاولنا في الاسكندرية تجنُّب انقسامات القاهرة  
ونجحنا في ذلك إلى حد كبير في أول الأمر ، لكن اشتداد  
حملة الاعتقالات ثم ذهابنا إلى معنقل الهاكسثيب حيث

الانقسامات كانت مكرسة بالفعل أدى بطبيعة الحال الى أن أصبحت الاسكندرية جزءا من هذه الانقسامات التي صارت أمرا واقعا ، ولقد حلت الحكومة موضوع الأجانب في مصر ولم يعد لهذه المشكلة وجود داخل مصر وإن كان بعض هؤلاء المتصرين من اليهود قد حاولوا انشاء تنظيم لهم في باريس باسم (مجموعة روما) ، ولا شك أن الانقسامات قد اضعفت نفوذ اليسار الى حد كبير وأصبح من الواضح لكل ذي عينين انه إذا قهر للييسار أن يستعيد حيويته ونفوذه في يوم من الأيام فإن ذلك سوف يستغرق زمنا طويلا .

عندما أفرج عني في ١٠ يناير سنة ١٩٥٠ عدت الى جامعة الاسكندرية كما عاد زملائي الآخرون من المعيدين ، لكننا وجدنا تقاعسا من الكلية في تسليمنا العمل من جديد. وعدت إلى القاهرة ساعيا لمقابلة وزير التعليم الجديد بالوزارة الوفدية - الدكتور طه حسين - لشرح الأوضاع له ولقد نجحت في ذلك بفضل سكرتيره الخاص (حسين عزت) ومدير مكتبه ((سعيد العريان) . ولقد كان موقف الوزير رائعا علي



الرغم من أنه لم يكن يعرفنى أصلا .. أنصت باهتمام كعائته لكل ما قلته ثم اشار الى حسين عزت أن يطلب له مدير جامعة الاسكندرية تليفونيا . ووفيت فى غرفة حسين عزت الى ان استدعانى الوزير مرة أخرى لمقابلته فإذا به يطلب منى أن أذهب إلى الاسكندرية لتسلم عملى ، وقد علمت بعد ذلك عندما عدت الى الاسكندرية أنه تشدد على مدير الجامعة بضرورة عودتنا الى عملنا .

### بداية مرحلة جديدة

ولقد كانت عودتى الى العمل بكلية العلوم بداية لمرحلة جديدة انتهت فيها - بعد مراجعة فكرية طويلة - إلى ضرورة اتخاذ موقف جديد من النشاط السياسى نتيجة ما استجد من ظروف .. لقد تمزقت قوى اليسار الى كيانات صغيرة بلا وزن حقيقى، واتضح لى سداجة تفكيرنا السياسى الذى كان يتوهم أن ثورة بقيادة قوى اليسار هى على الأبواب، ولقد كنا محقّين فى الوصول الى نتيجة أن نظام فاروق قد أصبح كالثمررة البعثة التى على وشك السقوط ، لكن الخطأ كان فى

تصور أن اليسار كان قائرا على التصدي لقيادة التحول،  
ولقد ثبت تاريخيا أن ضباط الجيش يتوجههم الوطني العام  
(وإن ضمعوا عناصر تنضم إلى اليمين والوسط واليسار) هم  
الذين كانوا مؤهلين لقيادة معركة التحول في معركة سرعان  
ما تم التخلص فيها من عنصر اليسار الموجود في القيادة  
(خالد محيي الدين) .

وكل هذا التحليل قد انتهى بي إلى ضرورة السفر إلى  
الخارج للحصول على الدكتوراه ما تمت سابقى في الجامعة.  
وطلبت من صديق لي كان قد عاد من بريطانيا بعد حصوله  
على الدكتوراه أن يحجز لي مكانا في إحدى كليات جامعة  
لندن، وعندما تم هذا بدأت أستعد علميا للسفر ، إذ مشاكل  
العمل السياسي كانت قد أبعدتني عن اهتماماتي العلمية،  
وهكذا سافرت في أوائل سبتمبر سنة ١٩٥٠ إلى لندن .

ومن المفارقات الغريبة التي وقعت لي قبل سفري بأقل من  
شهرين أن وزير الداخلية في وزارة الوفد - فؤاد سراج الدين  
- استدعاني إلى مقابلة في مكتبه بلاطون على في يوليو سنة

١٩٥٠ كما استدعى زميلي د. محمد عجلان ، وقد أجرى معنا حوارا سياسيا طويلا حول أفكارنا وبرنامجنا السياسي تحدثنا معه بصراحة حول قضايا الإصلاح الزراعي وبرنامج النهوض بالريف وحول قضايا التأمينات (خصوصا شركة قناة السويس) وحقوق الحركة العمالية النقابية. الخ .

وكان رأي الوزير أن الكثير مما ندعوه موجود في برنامج الوفد ولم نوافق بالطبع علي هذا الرأي . وقد فهمت السبب الاساسي لدعوته عندما قال ان تقارير القسم المخصوص تقول اننا مستثمرون في نشاطنا السياسي غير القانوني ، ولم يكن هذا صحيحا بالمرء فقد كنت استعد للسفر إلى لندن ومشغولا باعادة تأهيل نفسي من الناحية العلمية .

ولقد اوضحت هذا للوزير الذي فوجئ . بنبتة استعدادي للسفر إلى لندن . ولقد ذكرته في الرد على تقارير القسم المخصوص الزائفة بما كان يهتم هو به عام ١٩٤٩ . من نفس هذه الاجهزة بأنه يدير مؤامرة لاغتيال رئيس الوزراء انذاك النقراشي - وتم يهلك الوزير إلا أن يستسلم ويسكت عند

سماعه كلامي، وعن طرائف هذا اللقاء أن ضابط القسم  
المختص الذي حضر هذا اللقاء واستمع إلى هجومى على  
تقارير القسم المختص هو ممدوح سالك الذى صار رئيسا  
للوزراء بعد ذلك فى عهد السادات .

قضيت فى بريطانيا عامين بالإنعام والكمال من سبتمبر  
سنة ١٩٥٠ إلى سبتمبر سنة ١٩٥٢ لاعداد رسالة الدكتوراه  
فى الاحصاء الرياضى بإحدى كليات جامعة لندن. ومع أنى  
قضيت فيما بعد نحو خمس سنوات أخرى فى بريطانيا  
كمدرس بالجامعة ( طوال سنتي ١٩٥٥ - ١٩٥٩ ) وكاستاذ  
زائر لأحدى جامعتها (ثلاث سنوات خلال السبعينات ) إلا أن  
فترة الدكتوراه كانت نقطة تحول شديدة الأهمية فى حياتى  
العلمية وتكوينى الثقافى ..

وفى العادة يستغرق الاعداد للدكتوراه فى الفروع المعملية  
للعلوم الطبيعية حوالى اربع سنوات أو أكثر ، لكن فى  
الرياضيات بالذات يصبح من الممكن - ولو انه نادر - أن  
ينتهى الطالب من اعداد رسالته خلال عامين ميلاديين إن

ساعده الحظ في موضوع البحث وارفق نفسه بالعمل  
 المتواصل . وهو ما حدث معي ان رغم سوء حظي في  
 مناسبات عديدة من حياتي فإن الموضوع الذي اقترح على  
 بحثه كان أصلاً قد بدأ على يد المهندسين المدنيين . وقد وصل  
 الى استاذي من خلال استاذ الهندسة المدنية بنفس الكلية  
 التي التحقت بها الكلية « الامبراطورية » . والموضوع يتلخص  
 في أن مهندساً استشارياً بريطانياً مرحوقاً - هيرست - عمل  
 في مصر ستين طويلة وارتبط اسمه بدراساته المنشورة عن  
 نهر النيل كان قد نشر في مجلة الهندسة المدنية الأمريكية  
 بحثاً مهماً يحاول فيه بناء نظرية للتخزين القرنى (مائة سنة)  
 للمياه في بحيرة فكتوريا . وقد صانف هذا البحث العديد  
 من المسائل النظرية العامة في علم الاحتمالات والاحصاء  
 وكعادة المهندسين فقد حاول هيرست أن يعطى اجابات  
 تقريبية على مسائل من نوع : كم يكون حجم الخزان اذا أريد  
 له ألا ينضب خلال المائة سنة وعلى أساس تصرف مائى  
 متوسط معين كل عام ؟ ولقد كان المطلوب منى هو معالجة

منهجية لهذه القضايا واعطاء اجابات دقيقة غير تقريبيه عليها، وهذا ما نجحت فيه فى نهاية الامر وأدى إلى علاقة خصبة مع هيرست بعد ذلك .

ولقد اقتضى هذا العمل المتواصل صباحا فى حضور محاضرات لطلبة الدراسات العليا وطلبة ما قبل البكالوريوس . وبعد الظهر فى الذهاب إلى مكتب الكلية ومكتبة المتحف العلمى البريطانى . وفى المساء فى مواصلة القراءة بالمنزل فى كثير من الأحيان ، ولا شك أنها كانت مرحلة أساسية فى تكوينى العلمى .

### تكوينى الثقافى

غير أن هذه المرحلة لم تكن أساسية فى تكوينى الرياضى فحسب وإنما كانت أيضا شديدة الأهمية فى تكوينى الثقافى العام إذ انفتحت فيها على الجوانب الإيجابية العظيمة فى الثقافة الغربية عموما وفى الثقافة الانجليزية خصوصا ، ومن حسن الحظ أن الكلية التى التحقت بها كانت فى أحد أحياء لندن المشهورة «سوث كينز نجتون» وهو حى المشاهف

الكبيرة... متحف فيكتوريا وألبرت، المتحف العلمى  
البريطانى... متحف التاريخ الطبيعى .. الخ، كما أن به قاعة  
ألبرت الشهيرة والتي كانت تعقد بها الحفلات الموسيقية  
الكبيرة والاجتماعات الجماهيرية الضخمة ، وكل هذا كان  
يبعد عن غرقى بالكلية خطوات، ولا شك أنني مدين لقاعة  
ألبرت بتدوقى للموسيقى الكلاسيكية خصوصا بيتهوفن  
ومؤسارت وهما أحب موسيقيين الى قلبي ، كما حرصت فى  
مطلات نهاية الاسبوع على التردد على المسرح البريطانى  
والاستمتاع بروائعه. ولم أفلح مع ذلك فى تدوق الاوبرا  
والاهتمام بها .

كما كانت إقامتى فى بريطانيا فرصة للقراءة فى الادب  
الانجليزى وحضور ندوات ثقافية واجتماعية وسياسية وزيارة  
العديد من المدن البريطانية . ورغم هذا البرنامج الحاشد لم  
أفقد اهتمامى بتتبع شئون مصر السياسية ومشاكلها وكتبت  
بين الحين والآخر مقالات لصحيفة بيلى وركز البريطانية باسم  
(ص . الابوبى)، كما حرصت على التردد على الفنان المصرى

يومي السبت والاثنين للائقاء بزملائي الدارسين لمناقشة  
الاضاع في مصر. وقد استطعنا تشكيل اللجنة الوطنية  
لتابعة الموقف في مصر والاستجابة له بالعمل الطلابي  
الصحيح. وأذكر من أعضاء هذه اللجنة د. حكمت أبو زيد  
وزيرة الشؤون الاجتماعية خلال المرحلة الناصرية ود. فائق  
فريد نائب وزير الكهرباء الأسبق .

وقد قامت هذه اللجنة بأعمال مهمة عديدة ومنها أنها كانت  
تصدر نشرة غير دورية عما يجرى في مصر سياسيا وثقافيا  
عرفت باسم «السلام والاستقلال» وكنا نرسلها إلى النقابات  
والهيئات البريطانية بالبريد. والحقيقة أن هذه النشرة كان  
يصدرها أصلا د. عبدالمجيد الجبيلي في باريس وكان  
يرسلها لي فتتولى ترجمتها إلى الإنجليزية وطبع أعداد كافية  
منها وأرسلها إلى النقابات والهيئات .

ولقد نجحت اللجنة الوطنية في عقد مؤتمرات مختلفة  
للطلاب المصريين في بريطانيا ، بالنادي المصري في  
المناسبات السياسية والاجتماعية المختلفة ، وقد تميزت تلك



الفترة في مصر بأحداث سياسية واجتماعية مهمة ومتداخلة  
 مما ساعد على اهتمام الطلاب المصريين بحضور تلك  
 المؤتمرات في لندن .. غير أن أهم عمل اضطلعت به تلك  
 اللجنة ونجحت فيه المؤتمر الضخم الذي عقد بالنادي المصري  
 إثر هجوم القوات البريطانية على محافظة الاسماعيليه وحريق  
 القاهرة في ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ . وكانت نفوس الطلاب  
 تقلى سخطا على الاوضاع في مصر التي أدت الى تلك  
 الكارثة الرهيبة، ولقى هذا الاجتماع تحدثت طويلا عن المؤامرة  
 التي دبرها الاحتلال مع الرجعية المصرية لاسقاط وزارة الوفد  
 وحرق القاهرة، كما تحدث غيرى من الطلاب في هجوم  
 صريح على النظام الملكي في مصر محملين فاروق وقوات  
 الاحتلال المسئولية الاولى فيما حدث، بل لقد وقف احد  
 الدارسين (د. عبدالحميد امين) وطالب بضرورة ان يتنازل  
 الملك فاروق عن العرش كبدية لحل الازمة المستحكمة . ولقد  
 صفق الطلاب طويلا لهذا الاقتراح ولكنه تسبب في احراج  
 شديد لمدير مكتب البعثات - د. عبدالعزيز عتيق - الذي كان

زوج شقيقة عبد الحميد امين وهو نجل كاتبنا الكبير أحمد  
امين .

ولم بعض على هذا المؤتمر سوى شهر قليل حتى تحول  
المضباط الاحرار للاستيلاء على السلطة فيما عرف باسم ثورة  
يوليو سنة ١٩٥٢ ، وفي هذه المناسبة دعونا لمؤتمر حاشد من  
جميع مدن بريطانيا لمناسبة الوضع الجديد . وكانت المعلومات  
المتاحة شحيحة عن طبيعة وتوجهات هذه الحركة الجديدة . إلا  
ان الحدث الذي دفعنا الي تأييد حركة الجيش بشكل حاسم  
هو طرد فاروق من مصر وتنزله عن العرش ، فقد كان هذا  
مطلباً من مطالبنا في مؤتمر أواخر يناير سنة ١٩٥٢ وارسلت  
باسم اللجنة والمؤتمر برقية تلييد للثورة انيقت من راديو  
القاهرة ، وازدانت قناعتى بصحة هذا الموقف عندما أعلنت  
الجمهورية لاحقاً .

### قرار بالفصل من الجامعة

بعد وقوع الثورة بشهرين قدمت رسالة الدكتوراه ونجحت  
في الحصول علي الدرجة وعملت الي مصر متفائلاً ببداية

مرحلة جديدة ، ولم أذهب الى جامعة الاسكندرية كما كان مفروضاً وإنما صدر قرار وزارى بنقلى الى كلية العلوم جامعة القاهرة لأحل محل د. طلحة عريضة الذى كان قد أعير الى العراق وبقيت فى قسم الرياضيات بالبحثة بالكلية المبرهن الوحيد بين عدد من الاساتذة المساعدين واستأذا واحدا اتحمل عبء تدريس ١٤ ساعة اسبوعيا حتى وقعت أزمة مارس سنة ١٩٥٤ فانتحزت الى دعوة للديمقراطية مع خالد محبى الدين ومحمد نجيب ، وكنت من الموقعين على العريضة التى طالبت بعودة الجيش الى ثكناته . وكان إن صدر قرار من مجلس قيادة الثورة فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥٤ يفصلنى مع ٤٢ عضوا من هيئات التدريس بالجامعات محظومهم من الذين اتخذوا هذا الموقف، وكان من بين هؤلاء د. عبد المنعم الترقاوى . ود لويس نوحى ، ومحمود أمين العالم ود . فوزى منصور ( من جامعة الاسكندرية ) وآخرين كثيرين .

ولقد كان صدور هذا القرار صدمة كبيرة لى فقد كنت قد قضيت عامين فى جامعة القاهرة أدرس وأبحث وأكتب مقالات

فى الادب والثقافة فى جريدة المصرى ومجلة روز اليوسف .  
 وفى مايو سنة ١٩٥٤ طلبت اجازة فى الصيف للسفر الى  
 بريطانيا لاستكمال بعض الابحاث العلمية هناك، وقد وافقت  
 جامعة القاهرة وسافرت فعلا وقضيت الصيف كله فى لندن  
 منقطعا لباحثى وعدت الى القاهرة بالفعل يوم ٢٨ سبتمبر  
 سنة ١٩٥٤ ودون أن أعرف أن قرارا من مجلس قيادة الثورة  
 قد صدر يوم ٢٤ سبتمبر بفصلى من جامعة القاهرة، ومن  
 المفارقات الغريبة ان استاذى فى جامعة لندن الذى أشرف  
 علي رسالة الدكتوراه استدعاني لمقابلته قبل ترك لندن بأيام  
 وفاجأني انه قد طلب منه أن يرشح أحد تلاميذه لشغل وظيفة  
 محاضر فى الاحصاء باحدى كليات الجامعة وانه قد خطر في  
 ذهنه أن يرشحني لشغل هذه الوظيفة. وقد اعتذرت فورا وقلت  
 له إن جامعة القاهرة أولى بجهودي - وبعد هذا اللقاء بأيام  
 عدت فعلا الى القاهرة لاجد قرار مجلس قيادة الثورة فى  
 القاهرة بلا عمل وبالطبع أبرقت الى استاذى أخبره اننى  
 قبلت عرضه وأن خطابا فى الطريق بشرح لماذا غيرت رأى .

ولست أنسى فضل الذين حاولوا مساعدتي في هذه الظروف ومنهم د. عبدالمنعم الشماغمي الذي كان آنذاك وكيلًا لوزارة الشؤون ، والذي رشحنى للعمل في معهد الاحصاء الدولي (فرع بيروت) وبالفعل سافرت الى بيروت في نوفمبر سنة ١٩٥٤ وتخصّصت هناك نحو أربعة شهور ادرس فيها لطلاب معهد الاحصاء الدولي. ومن بيروت سافرت الى بريطانيا في فبراير سنة ١٩٥٥ وبقيت فيها نحو عامين محاضرة بكلية تشلسي للعلوم والتكنولوجيا حتى تأميم قناة السويس في يوليو سنة ١٩٥٦ وعشيدت قررت أن أقدم استقالتى من عملى لأنقرغ للدفاع عن قرار التأمين أمام المأبى العام البريطانى ، والغريب أن إحسان عبد القبوس - وكتب على صلة به وأبعث له مقالائى فينشورها فى روز اليوسف - كان قد كتب فى فبراير سنة ١٩٥٥ مقالا طويلا على صفحتين فى مجلته عنوانه «الرجل الذى سرقه الانجليز» يدعو فيه الى إعادتي الى جامعة القاهرة ويطالب الثورة بتصحيح هذا الخطأ ، وكان مقالا شجاعا فى تلك الظروف .

ثم جاءت مسألة التأميم واستقالتي من عملي في لندن  
فوضعت القيادة في مصر في موقف حرج والغريب أن الملحق  
العسكري في السفارة المصرية بلندن طلب مني ألا أشتري  
في العمل الجماهيري في بريطانيا المدافع عن التأميم  
والناقص للحرب لأنه كان يتصور أنني سأقف في هذا العمل  
معارضاً لعبد الناصر باعتباري مخلصاً من الجامعة لكنني  
رفضت طلبه بالطبع واتخذت الموقف الذي أملاه عليّ ضميري  
الوطني وهو الدفاع عن التأميم وعن عبد الناصر في موقفه  
من الجزائر وباندونج .

ولقد تعاونت في هذا النشاط مع حركة تحرير  
المستعمرات، التي كان للجناح اليساري من نواب حزب  
العمال هو القيادة الحقيقية لها (توني بن وأخرون)  
واشتركت بهذه الصفة في اجتماعات جماهيرية حاشدة في  
الندن البريطانية المختلفة، انتهت إلى اجتماع ميدان  
«الطرف الأغر» بعد بدء العدوان الثلاثي على مصر بأيام ،

وبعد هذا الاجتماع بليام عدت الى القاهرة عن طريق  
الخرطوم التي بقيت فيها حتى حضور أول طائرذ من القاهرة  
فوصلت للقاهرة في أوائل ديسمبر لأجد عرضاً من خالد  
محيي الدين بالعمل معه في صحيفة المساء. وقبلت العرض  
وتحولت من أستاذ جامعي إلى صحفي منقطع للعمل في بلاط  
صاحبة الجلالة.

## مسيرة حياتي الجامعية

---



على غير ما اعتاد أساتذة الجامعات أنصح لي أن أعمل في  
الجامعات الثلاث الأساسية في مصر - جامعة القاهرة ،  
جامعة عين شمس ، وجامعة الاسكندرية .

لقد تخرجت في كلية العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٤٤ ،  
وعندما سارعت جامعة الاسكندرية بتعييني معيدا في قسم  
الرياضيات كلية العلوم رحبت بهذا التعيين على الفور ، وأثرت  
البقاء في الاسكندرية ، رغم أنه عرض علىّ بعد ذلك بشهور  
فكرة تعييني بعلوم القاهرة لكنني اعتذرت .

كنت مسبهورا بمدينة الاسكندرية وجوها ، بعد أن زرتها  
أول مرة في صيف ١٩٤٢ مع بعض أقرابي ومكثنا فيها  
شهرًا . وكنت أيضا حريصا على أن أعيش مستقلا عن  
عائلتي في القاهرة ، معتمدا على نفسي في تدبير شئون  
حياتي بدلا من الاعتماد على شقيقاتي اللاتي أخذن مسؤولية  
والدتي في المنزل بعد وفاتها عام ١٩٤٠ .

والأهم من ذلك أنني كنت قد بدأت في العام الأخير من دراستي بكلية العلوم بالقاهرة أتحصل بعدد من المعيدين بالكلية ، وعلى رأسهم عبد المعبود الجبيلي وشكري سالم وعبد الرحمن الناصر ، الذين بدأوا في تشكيل حلقات ماركسية لمناقشة الأوضاع في مصر ، وعلى وجه الخصوص الاحتلال البريطاني ، والإصلاح الزراعي ، نقابات العمال وتحسين أوضاعهم ، وفي النهاية ضرورة الإعداد للثورة على الأوضاع الراهنة .

وزادت قناعتى بهذه الأفكار وقرأت عددا من الكتب الماركسية في الاقتصاد والفلسفة والسياسة . وبدأت أنتظم في حضور نبوات دار الأبحاث بشارع نوبار . وعندما عينت معيدا . بالاسكندرية وجدت لها فرصة سانحة لبدء حركة اشتراكية مصرية جديدة في أوساط الطلاب الجامعيين والمعيدين ، وأكد لي أصدقائي من المعيدين أهمية بقائي بالاسكندرية لفتح جبهة نشاط سياسي مصري فيها . وقد رشحت في سنوات ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ لبعثات أجنبية ، لكنني لم

أذهب لأننى كنت أنذاك منهمكاً فى العمل السياسى  
بالاسكندرية وكنت مقتنعا أن الثورة على الأبواب وأن  
المساهمة فيها أهم من الحصول على درجات علمية مثل  
الماجستير والدكتوراة .

### محاولة اعتقال

والحقيقة أننى كنت منهمكاً فى الاسكندرية فى العمل  
السياسى فى الفترة ١٩٤٤ - ١٩٥٠ ، وتعرضت لمحاولة  
اعتقال فى يوليو سنة ١٩٤٦ ضمن حملة صيفى المشهورة .  
لكننى أفلت من الاعتقال وبقيت مختفياً بالاسكندرية حتى  
أُفرج عن جميع المعتقلين بعد شهرين عندما عدت إلى  
الجامعة.

وفى مايو سنة ١٩٤٨ أصدر النفراسى أمراً باعتقالى  
ضمن آخرين عبيدين ، ومع أننى نجحت مرة أخرى فى  
الهرب إلا أننى وقعت فى المصيدة عندما ذهبت لمضور أحد  
الاجتماعات فى سققة بسيدي بشر ، وكان المقيمون فيها قد  
اعتقلوا قبلى . وبقيت فى معتقل أبو قبر عدة شهور ثم نقلت  
مع آخرين إلى معتقل الهايكستب (فى طريق الاسماعيلية) ثم

نقلت مع آخرين إلى معتقل الطور حيث بقينا فيه حتى الانتصار الانتفاهي للوقد في يناير سنة ١٩٥٠ فافرجت عنا حكومته الجديدة .

ولست معنيا في هذا المقال بالحديث عن نشاطاتي السياسي بالاسكندرية فربما أعود إلى ذلك في مقال آخر . لقد أريت فقط في هذا المقال الإشارة إلى أفني عدت إلى كلية العلوم بالاسكندرية فور الإفراج عني في أول عام ١٩٥٠ ، كما عاد الكثير من المعيددين الذين سبق اعتقالهم مثلي ، أو الذين كانوا : أفلحوا في الهرب . وأظن أن عددا كان ثمانية أو تسعة . لكننا أحسبنا أن ثمة ثقاعسا بالكلية عن تسليمنا العمل من جديد . ويبدو أن الفكرة التي سيطرت على قيادة الجامعة آنذاك هي نقلنا من الجامعة إلى التعليم العام . وأظن أن هذه الفكرة كانت تدور في ذهن مدير الجامعة آنذاك صابق جوهر الذي كان معروفا عنه صلفه الوثيقة بالسراي الملكية .

لكن طه حسين كان وزيرا للتعليم ، وقد نجحت في مقابلته وشرحت له الوضع ، كما نجح آخرون في عرض قضيتنا

عليه ، فجاء موقفه حاسما بضرورة عودتنا إلى كليتنا ، وهذا ما تم في نهاية المطاف .

بعد الإفراج عنى عام ١٩٥٠ كان تفكيري قد تغير عما كنت اعتقدته عند تخرجي بالتفاؤل المبالغ فيه بقرب قيام الثورة الاشتراكية ، قد انتهى بطبيعة الحال ، لقد ظلت ثقتي في أفكارى قائمة ، كما هى ، لكننى أدركت لأول مرة أن الزمن سيطول قبل حدوث مثل هذا التحول الذى كنت أحلم به ، وعلى هذا فلا بأس من بقائى في الجامعة ومن الحصول على شهادة الدكتوراه ، وهو شرط البقاء في الجامعة .

### في لندن

وهكذا سافرت إلى انجلترا في سبتمبر سنة ١٩٥٠ والتحقّت بالكلية الاعبراطورية بجامعة لندن ، ووفقت في الحصول على الدكتوراه في الإحصاء ، الرياضى في سبتمبر ١٩٥٢ وعدت إلى مصر بعد قيام ثورة يوليو بشهرين وبالطبع لم أنقطع عن النشاط السياسى وأنا في لندن . فأتذكر أننى أنشأت مع آخرين اللجنة الوطنية المصرية وكان من أعضائها

الدكتور فائق فريد والدكتورة حكمت أبو زيد ، وقد عرفنا اجتماعا ضخما في النادي المصري بلندن حضره مئات من الطلاب المصريين بعد حدوث حريق القاهرة في يناير سنة ١٩٥٢ ، وأعلننا احتجاجنا على الأوضاع في مصر ضد الأحكام العرفية ، وضد عزل حكومة الوفد ، وأنذكر أن الدكتور عبد الحميد أمين (نجل الكاتب الكبير أحمد أمين) وقف في الاجتماع مطالبا بتنازل الملك فاروق عن العرش .

كما أيدت هذه اللجنة (بعد دعوة أخرى للطلاب في يوليو سنة ١٩٥٢) ثورة الضباط خصوصا بعد قيامهم بإسقاط فاروق والإعلان عن نيّتهم في الإصلاح الزراعي .

عدت إذن في سبتمبر سنة ١٩٥٢ إلى مصر ، وذهبت إلى الاسكندرية لاستلام العمل ، لكن جامعة الاسكندرية لم يكن يبدأ العام الدراسي فيها إلا في أواخر أكتوبر في تلك الأيام ، وهكذا أقمت في القاهرة حتى تبدأ الدراسة في الاسكندرية عندما حدث لي تحول مفاجئ .

اتصل بي الدكتور طلبة عويضة ، وكان المدرس الوحيد في قسم الرياضة البحتة بكلية العلوم جامعة القاهرة ، وأبلغني أن رئيس القسم - الدكتور محمد مرسى أحمد (وزير التعليم العالي بعد ذلك أيام السادات) يريد أن يرأى . وكنت أرتبط معه تاريخيا برباط الود والتقدير منذ أن كنت رئيسا للجمعية الرياضية الطبيعية وأنا طالب في سنة البكالوريوس . وهكذا ذهبت إلى مقابلته بالكلية بالجيزة فإذا به يفاجئني بعرض تعييني في قسم الرياضة البحتة بعلوم القاهرة في مكان طلبة عويضة الذي كان سوف يعار لجامعة بغداد . وعندما أهديت له شكلي في أن توافق جامعة الاسكندرية على ذلك ، قال لي :  
المهم أن توافق أنت واترك الباقي لي .

وبالفعل وافقت وأنا لا أصدق أن هذا سوف يتم . لكن قرار من وزير التعليم بنقل من جامعة الاسكندرية إلى جامعة القاهرة صبر بعد هذا اللقاء بأربعة أيام ، رغم استياء جامعة الاسكندرية ومحاولاتها تعطيل هذا النقل بعض الوقت .

## أزمة مارس

استلمت عجلي إذن مدرسا في قسم الرياضة بالبحثة  
بعلوم القاهرة في أكتوبر سنة ١٩٥٢ ، وكانت سنوات  
١٩٥٢ - ١٩٥٣ ، ١٩٥٣ - ١٩٥٤ صعبة للأحداث السياسية  
التي وقعت فيها ، ويكفى أن أذكر محاكمة خميس  
والهقري في كفر الدوار أمام مجلس عسكري والحكم  
بإعدامهما وتنفيذ هذا الحكم الجائر ، وأن أذكر الصراع  
الذي جرى بين رئيس الجمهورية محمد نجيب وبقية  
أعضاء مجلس الثورة ، وموقف خالد محيي الدين في هذه  
اللمعة ، وكنا بطبيعة الحال نتعاطف معه ، ومحاكمات  
الضابط التي جرت في تلك السنوات ، وما جرى في  
أزمة مارس ١٩٥٤ .

ولقد بدا لنا - نحن أساتذة الجامعة - أن الحل الصحيح  
إزاء كل هذه الأحداث العاصفة هو في عودة الحياة النيابية  
وحل مجلس قيادة الثورة وعودة الجيش إلى ثكناته ، ووقع  
عدد منا مذكرة بهذا المعنى لرفعها إلى المسؤولين .



وسافرت في أول صيف ١٩٥٤ إلى إنجلترا لاستكمال بعض أبحاثي العلمية التي كانت في حاجة إلى حسابات لم تكن متاحة بالقاهرة . وفي لندن عرض عليّ أستاذي وظيفته محاضر «Senior Lecturer» في كلية تشيلسي للعلوم والتكنولوجيا فاعتذرت لأنني كنت أترك أن جامعة القاهرة لن توافق علي ذلك . وعندما عدت إلى مصر في أواخر سبتمبر سنة ١٩٥٤ فوجئت بصنوبر قرار من مجلس قيادة الثورة في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٤ بفصل ٤٢ من أساندة الجامعات معظمهم ممن وقعوا على المذكرة إياها في مارس سنة ١٩٥٤ ، وكان من بين هؤلاء محمود العالم ، عبد المنعم الشرقاوي ، توفيق الشاري ، لويس عوض ، فوزي منصور ، وكاتب هذه السطور .

وأيرقت إلى أستاذي الإنجليزي بنوافقتي علي تعييني في لندن ، وشرحت له في خطاب خاص ظروف قصصلي من الجامعة . وقد استقطعت السفر إلى بيروت في نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، ومكثت بها أربعة شهور محاضرة في فرع معهد

الإحصاء الدولي ببيروت حتى صدر قرار تعييني في لندن في أول سنة ١٩٥٥ فممافرت إلى انجلترا وبدأت عملي هناك بالجامعة .

كنت - منذ عودتي إلى مصر عام ١٩٥٢ - مواظباً على نشر مقالتي الأسبوعية في مجلة روز اليوسف ، بل لقد وصل الأمر - عندما التحق فتحي غانم بأخبار اليوم - أن كلفني الأستاذ إحسان عبد القدوس بتحرير باب «أدب» في المجلة وواظبت على هذا شهوراً عدة .

ولقد حرصت بعد أن استقر بي الحال في لندن على مراسلة مجلة روز اليوسف بمقالاتي في قضايا الثقافة والعلم والأدب . وكتب إحسان عبد القدوس في مارس سنة ١٩٥٥ مقالاً الشهير (الرجل الذي سرقه الانجليز) دعا فيه إلى عودتي إلى الجامعة في مصر - ورست عليه بمقال موجز أرحب فيه بهذه العودة إن وافق المسئولون .

### التفرغ للواجب الوطني

لكن المسئولين لم يوافقوا بالطبع ، وهكذا بقيت في لندن حتى يوليو سنة ١٩٥٦ عندما أمم جمال عبد الناصر قناة

السويس . وأحسست بطبيعة الحال أن واجبي أن أدافع عن هذا العمل وأن أشرح غي اجتماعات النقابات في بريطانيا تاريخ المثلثات التي وقعت على شعب مصر عند بناء هذه القناة وسيطرة الأجانب عليها .

وحرصا مني على عدم إخراج الكلية التي أعمل بها قررت الاستقالة من عملي والانفرغ لهذا الواجب الوطني . وبالفعل ذهبت إلى مدن بريطانيا المختلفة حيث كان الطلب شديدا على توضيح وجهة نظر مصر في التأميم . وكانت الاجتماعات هي في الأساس اجتماعات دعت إليها نقابات العمال التي عارضت الحرب ضد مصر . وانتهت الأمور إلى اجتماع الطرف الآخر الشهير الذي خُلب فيه نواب حزب العمال كما خطبت فيه شارحا وجهة نظر مصر . ولقد قدر أيامها أن عدد من حضروا هذا الاجتماع الجماهيري يزيد عن الخمسين ألفاً .

وهكذا عدت إلى القاهرة من جديد في ديسمبر سنة ١٩٥٦ ولم أكن أدري ماذا سأفعل بالقاهرة . وبعد وصولي

بأبام فوجئت باتصال من خالد محبى الدين - وكان قد بدأ  
فى إصدار جريدة المساء - يعرض على أن أعمل معه فى  
الجريدة .

### أصبحت صحفياً

بطبيعة الحال وافقت لأنه لم يكن هناك عمل آخر ، وهكذا  
أصبحت صحفياً بعد أن كنت مدرسا جامعيا ، وبدأت أكتب  
فى الشؤون العربية وساعد على ذلك أن الجريدة أرسلتني فى  
زيارات عربية متعددة ، منها مثلاً أنتى كنت أول صحفى  
مصرى يتخطى قطاع غزة بعد جلاء اليهود عنها فى يناير سنة  
١٩٥٧ ، كما سافرت إلى الأردن وسوريا ولبنان والعراق ،  
 واجتمعت بعدد من زعماء تلك البلدان ، وأدى عملى الصحفى  
إلى توثيق صلتى بهم .

وقد ظللت فى هذا العمل الصحفى إلى يناير سنة ١٩٥٩  
حيث جرى اعتقالى مرة أخرى ضمن حملة اعتقال جميع  
اليساريين المشتغلين بالعمل العام - ومن أطراف ذكريات تلك  
المرحلة (مرحلة العمل فى جريدة المساء) أننى كنت قد أرسلت

بـحثين علميين إلى مجلة بيومتريكا "Biometrika" البريطانية وأنا في لندن . ولم تتيسر الموافقة على نشرهما ونشرتهما فعلا إلا بعد تركي بريطانيا والحقاقي بجريدة المساء . ولا أعرف كيف أرسلت المجلة العلمية نسختها من بصوتي على جريدة المساء . وطبعاً كنت منهما آنذاك في شئون الصحافة حتى بدت لى هذه الأبحاث وكأنه شيء غريب علىّ مع أنتى كاتبها منذ سنتين .

والأغرب من هذا أننى فوجئت ذات صباح فى جريدة المساء بمدير جامعة أسيوط - الدكتور سليمان حزين - بطرق بابى ورحبت به كثيراً وإن كنت لم أدرك سبب الزيارة . وقال لى إنه كان فى زيارة لأستاذى محمد مرسى أحمد . وكان آنذاك وكيلاً لجامعة القاهرة يسأله أن يرشح لجامعة أسيوط . أستاذاً مساعداً للرياضة البحتة فى كلية العلوم . وأن الدكتور مرسى رشحنى !!

وقلت له أننى شارق لأننى فى عملى الصحفى بالقاهرة وأنا أفضله طبعاً على عملى بأسيوط وعلى أية حال ، فقد كان

تقديري أن كمال الدين حسين وزير التعليم آنذاك لن يوافق على عودتي إلى الجامعة .

لكن سليمان حزين كان حريصا على تعييني بأي شكل . وقال لي أن هناك طائفة يومية بين القاهرة وأسيوط وأن المطلوب فقط هو أن أذهب إلى أسيوط يومين أسبوعياً أحاضر فيها في الرياضة البحتة . ولا مانع من أن أستمّر في عملي بالصحافة بقية أيام الأسبوع ، أما مواقعة كمال الدين حسين فقد قال حزين : أترك لي هذا الأمر وأنا كفيل بإقناعه .

وبالفعل أعلنت جامعة أسيوط في الصحف عن وظيفة أستاذ مساعد في الرياضة البحتة ، وخوفاً من أن أكون لم أنتبه للإعلان أرسل لي سليمان حزين نسخة منه وطلباً للتعيين لكي أملاه وبالفعل أرسلت طلب التعيين إلى جامعة أسيوط بعد أن ملأته . وبقيت منتظراً النتيجة .

إلى أن فوجئت بدخول سليمان حزين مرة أخرى إلى مكتبي في جريدة المساء وقال وهو في أشد حالات الخجل أنه

فمثل في إقناع كمال الدين حسين بالمواقفة على تعييني  
أستاذاً مساعداً بجامعة أسيوط .

وهكذا بقيت في عملي الصحفي إلى أن جرى اعتقالى في  
حملة أول يناير سنة ١٩٥٩ ضمن مئات من اليساريين  
المصريين ، ثم جرى تقديمى إلى مجلس عسكري برئاسة  
اللواء هلال عبد الله هلال مدير سلاح المدفعية ، وكان معى  
فى المحاكمة الدكتور فؤاد مرسى والدكتور إسماعيل صبرى  
والاستاذ محمد سيد أحمد والاستاذ محمود العالم وآخرون ،  
وربما كان العدد الذى قدم للمحاكمة واحداً وستين .

مع أن هذا المجلس العسكري حكم ببراءتى إلا أنى بقيت  
فى معتقل الواحات حتى ٢ إبريل سنة ١٩٦٤ عندما صدر  
قرار عبد الناصر بالإفراج عن كل اليساريين ، لقد بقيت فى  
المعتقل خمس سنوات وثلاثة شهور . خرجت بعدها وأنا لا  
أعرف إن كنت سوف أعود للعمل للصحافة أم لا .

لكننى فوجئت بمصير قرار جمهورى بتعيينى مديراً عاماً  
للبحوث فى وزارة الضرانة فى يوليو ١٩٦٤ ، وكان وزير

الخرافنة آنذاك (الدكتور نزيه ضيف) زميلا لى فى الدراسة بالمرحلة الثانوية ، وكان هو الذى أبلغ عبد الناصر باحتياجه لى للعمل معه بالوزارة .

ومع أننى لم أكن متحمساً لبدا للعمل بالدواوين الحكومية إلا أننى بالطبع شكرت الدكتور نزيه على مبادرته ، وقيمت أعمل معه فى مكتبه نحو عام ونصف العام إلى أن انفصل بى أسنانى الدكتور محمد مرسى أحمد - وكان آنذاك مديرا لجامعة عين شمس - وأبلغنى أن كرسى الرياضة البحتة فى علوم عين شمس قد أصبح شاعراً بوفاة شاعره ، وأنهم ينوون أن يعلنوا عن هذه الوظيفة فى الصحف واقترح أن أقدم ضمن المتقدمين .

### عبد الناصر يوافق على تعيينى بالجامعة

وبالفعل تقدمت بطلب لشغل هذا الكرسي ، وخوفاً من أن أواجه معارضة أجهزة الأمن فى عودتى إلى الجامعة - أرسلت خطاباً إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل أشرح له الموقف وأرجوه التدخل حتى لا يتعطل الموضوع مرة أخرى



كما حدث في الجامعة أسيوط ، وكان الأستاذ هيكل كريما  
في موقفه ، فقد اتصل بالرئيس عبد الناصر فعلا ثم اتصل  
بى هاتفيا وأكد لى موافقة الرئيس عبد الناصر على عودتى  
إلى الجامعة إن رأت الجامعة أنها فى حاجة لى .

وقد اختارتنى اللجنة العلمية لشغل كرسي الرياضة اللجنة  
فعلا ، وبقيت شهرين بعد ذلك إلى أن أصبح مجلس جامعة  
عين شمس قرارا بتعيينى .

وهكذا عدت إلى الجامعة فى يناير ١٩٦٦ وبقيت فيها  
أدرس وأشرف على رسائل علمية حتى اليوم .

## ذكريات الإسكندرية

---

عُيِّنت في الإسكندرية ست سنوات (١٩٤٤ - ١٩٥٠) معيداً بكلية العلوم بجامعة الإسكندرية ، وذكرياني السياسية عن تلك الحقبة - إنما تعود إلى أكثر من خمسين عاماً - ومع أنني اشتهرت في شبابي بقوة الذاكرة ، إلا أن وضعي الحالي - وقد بلغت السابعة والستين - لا يسمح لي بالثقة الكاملة في هذه الذاكرة ، وقد حاولت أن أستعيد مع بعض الأصدقاء معن زاملوني في تلك الحقبة بالإسكندرية ، بعضاً من هذه الذكريات وأحداثها .. ولذلك فإنني أرجو ألا أكون قد أخطأت في بعض التفاصيل .

ولقد أشرت في مقال سابق (هلال - ديسمبر ٢٠٠٠) إلى مجموعة المعيدين في كلية العلوم الذين شكلوا حلقة دراسية ماركسية لمناقشة الأوضاع في مصر ، خصوصاً الاضطلال البريطاني ومشكلة الفقر ، وكانت هناك بالقاهرة حلقات أوسع بكلية العلوم كانت لنا نموذجاً يحتذى .

وبالطبع سعينا إلى تدعيم صلاتنا بقوى المعارضة الأخرى في أوساط الشباب ، وخصوصاً شباب الطليعة الوفدية ، وإلى

حدد ما شهاب مصر الفتاة من الطلاب ، كما سعينا إلى تجنيد أعداد من طلاب الجامعة إلى وجهات نظرونا وإلى خلقتنا ونجحنا في ذلك نجاحاً كبيراً فتصبحت لدينا أعداد غير قليلة في كليات العلوم والحقوق والطب والآداب في زمن قصير ، وهكذا تشكل تقظيم ماركسي داخل جامعة الاسكندرية . ومع أن اهتمامنا انصرف في مبدأ الأمر إلى تثقيف الأعضاء بالفكر اليساري ، مع تجنب العمل السياسي قبل أن تتكون مجموعة فكرية يوثق بها ويعتمد على مبادئها ، فإن أحداث البلاد السياسية المتسارعة قد اضطرتنا إلى دخول حلبة العمل السياسي مستعجلين في ذلك بصلاتنا القوية بالطليعة الوافية التي كانت تتقارب في آرائها السياسية مع آرائنا .

ولقد وقعت أحداث ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٦ بالقاهرة وفادت هذه الأحداث اللجنة الوطنية للطلبة والعمال التي كان الماركسيون القاهريون عمادها ، وكان اسماعيل صدقي هو رئيس الوزراء آنذاك . ولقد أطلق جنود الاحتلال البريطاني من ثكنات قصر النيل (مكان فندق هيكسون النيل ومبنى

الجامعة العربية اليوم) النار على المتظاهرين فسقط عدد من الشهداء والجرحى وأدى هذا إلى غليان وطنى عارم .

ومع أن الاسكندرية لم تشترك في أحداث ٢٦ فبراير ، فإن أحداث ٥ مارس بالاسكندرية كانت نجوايا مع ما حدث بالقاهرة ، وإن كانت أكثر عنفاً من جانب المتظاهرين الذين أحرقوا مراكز حراسة القوات البريطانية في محطة الرمل وفي أماكن أخرى ، ومات في هذه الأحداث عدد من الجنود البريطانيين .

لقد كانت هذه السنوات هي سنوات مفاوضات إسماعيل صدقي مع وزير خارجية بريطانية إيرنست بيغن ، التي انتهت في آخر الأمر بما عرف باتفاق صدقي - بيغن ، وكانت كل القوى الوطنية في مصر معارضة لمشروع هذا الاتفاق ، وكان حزب الوفد بما له من نفوذ واسع في مقدمة المعارضين .

## معارضة اتفاق

صدقي - بيفن

وأنتذكر أنه في شهر أبريل من عام ١٩٤٦ قامت مظاهرة من كليتي العلوم والحقوق بجامعة الاسكندرية (وكانت هاتان الكليتان تشغلان مباني مدرسة العباسية الثانوية التي نقي على ربوة عالية في حي محرم بك) للتعبير عن معارضة مشروع اتفاق صدقي - بيفن ، وكانت قوات الشرطة تقف أسفل الربوة لاعترض المظاهرة وتفريقها بالقوة إن لزم الأمر.

ثم وقع حادث مفاجئ، فملنا له جميعاً ، ذلك أن طالباً من فوق الربوة أطلق النار على أحد ضباط الشرطة فأراه قتيلاً، وحتى اليوم لا تعلم من هو هذا الطالب الذي قام بهذا العمل الاستفزازي النضوي وإن كانت شكوكنا آنذاك اتجهت إلى شباب مصر الفتاة من الطلاب .

وبالطبع كان رد فعل الشرطة عنيفاً ، إذ حوصرت مباني الكليتين بالكامل وأطلق الرصاص على مباني الكلية بشكل

عشوائى وألقى القبض على أعضاء هيئة التدريس الذين حاولوا الخروج إلى الطريق العام - وظل هذا الحصار مضروباً حول الجامعة من الصباح إلى منتصف الليل عندما حضر وزير التعليم (محمد العشماوى باشا) من القاهرة بالطائرة وأمر برفع الحصار عن الجامعة التى احتلتها قوات الجيش فى الصباح .

وقمنا ونحن محاصرون بكتابة مذكرة احتجاج على هذا الحصار ، ونجحنا فى الحصول على توقيع عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس على المذكرة ، وكان فى مقبلة الموقعين عميد كلية العلوم الدكتور حسين فوزى وعميد كلية الحقوق الدكتور عبد المعطى خيالى ، وإن كان بعض اساتذ كلية العلوم قد رفضوا التوقيع .

وكانت المشكلة بعد جمع التوقيعات هى كيفية إرسال المذكرة إلى صحيفة المعارضة الرئيسية : الوفد المصرى ، وتفتى زعمى عن حل ، وهو أن اتصل بـ تليفونيا بصديق لى بالإسكندرية وأن أملئ عليه نص المذكرة التى كانت قصيرة

على أى حال ، ولما ذهب هذا الصديق إلى مكتب التلغراف لإرسال البرقية رفض موظف البريد إرسالها وعليها توقيع عام مثل أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ، وصمم على وجود اسم لشخص يمكن مسالته . ولم يجد هذا الصديق مقرا من إعطاء اسمى . وهكذا ظهرت برقية الاحتجاج فى اليوم التالى فى صحيفة الوفد المصرى وعليها التوقيع التالى : أعضاء هيئة التدريس (عنهم عبد العظيم أنيس) .

وبالطبع هاج صدى باشا من هذه البرقية وطلب من العشماوى باشا التحقيق فى الموضوع . وظن الوزير أن الموقع على هذه البرقية استاذ بالجامعة وليس معيداً صغيراً واستدعانى إلى مكتب مدير الجامعة للتحقيق معى وحضرت فى صحبة الدكتور حسين فوزى عميد الكلية ، وكان من حسن حظى أنه كان فى جيبى نص مذكرة الاحتجاج وعليها التوقيعات بما فى ذلك توقيع عبيدى العلوم والحقوق ، وعندما قدمتها للوزير وأكدت له أن هذا كان عوقفا جماعياً أسقط فى يده ولم يستطع معاقبتي .



لكن اسمي ظل محفوظاً لدى السلطات في انتظار مناسبة أخرى للانتقام . وجاءت هذه المناسبة في يوليو عام ١٩٤٦ في حملة صليفي المشهورة التي أعتقل فيها العشرات من المثقفين المصريين بما في ذلك محمد مندور وزكي عبد القادر . وكنت بطبيعة الحال في طليعة المطلوب اعتقالهم بالاسكندرية .

### الحظ في صالحى !

لكن الحظ لعب دوره مرة أخرى في مساعدتى . فقد كنت كثير التردد على منزل نائب سعدى يصهرم بك بالاسكندرية لخدمة تربطنى بأولاده . وظن البوليس أنني أقيم هناك . وهكذا ذهبوا لتفتيش منزله وهم لا يعلمون أنه نائب البرلمان . فلما سألهم إن كان لديهم أمر من رئيس البرلمان بذلك أسقط في أيديهم ثم اتصلوا بحكمدار الاسكندرية يسألونه الرأى قبل تفتيش المنزل فأمرهم بتفتيش المنزل مهما كان الأمر .

وبالطبع لم يجدونى ولم يجتوا أى شيء يهمهم ولم يمسكت النائب إذ تقدم باستجواب فى البرلمان ، وكانت العلاقات قد بدئت تسوء بين رئيس الوزراء وحزب السعديين ، فاشتعلت

جلسة البرلمان هجوماً على الحكومة وعلى رئيسها ، وألقى  
صديق باشا بياناً في البرلمان قال فيه إن التفتيش تم بحشاً  
عن معبد شيوخى ، وأن الضابط الذى قام بذلك نقل إلى  
أسوان عقاباً له على هذا الخطأ ، وصدرت الصحف بمانشيت  
عريض فى الصفحة الأولى بوقائع الجلسة واسمى بطبيعة  
الحال موجود فى ذلك المانشيت !

وقد قرأت كل ذلك وأنا أقبع عند صديق قاهرى يملك فيلا  
بالاسكندرية ولم أسلم نفسى للشرطة حتى انتهت القضية  
بالإفراج عن الجميع . فعدت إلى الجامعة وسانتى وكيل النيابة  
أسئلة شكلية ثم أفرج عنى فى الحال خصوصاً عندما علم  
بإضراب طلاب كلية العلوم احتجاجاً على اغتفالى ، وطلب  
وكيل النيابة منى الذهاب إلى الكلية فوراً حتى يرانى الجميع  
وينتهى الموضوع ، وهو ما تم بالفعل .

\*\*\*

الحديث الثانى المهم الذى جرى بالاسكندرية وأدى إلى  
اشتعال مد ثورى بها هو موضوع إضراب الشرطة يومى ٥ و

٦ أبريل من عام ١٩٤٨ ، وبالطبع فهذا الإضراب شمل القاهرة والإسكندرية وبعض المدن الأخرى . وكان الأساس في هذا الإضراب هو المطالبة بزيادة الرواتب ، وبالطبع كان لهذا الحدث طعم خاص لأنه لم يسبق له وقوع ، ولم تكن قوى التمرد في مصر يد فيه ، ولكنه أخذ طعماً خاصاً بالإسكندرية إذ تحول إلى هبة شعبية شملت كل طوائف الشعب ، وخصوصاً العمال والطلاب الذين ساندوا المظاهرات التي قامت بها قوات الشرطة بالإسكندرية وانضموا إليها وامتلأت بهم ساحات الميادين العامة وخصوصاً ساحة المنشية وكان جنود الشرطة يمشون في مظاهراتهم رافعين بنادقهم إلى السماء وعلى أعلام كل سونكي منها رفيف عيش .

ويشعر الشعب أنه بلا حكومة تتحكم في أعماله ، حتى أن بعض الظرفاء من أبناء الشعب كانوا يصيحون في الشوارع وهم يضحكون : « ما فبش حكومة ، اللي عايز يشلح النهاردة يقبره » .

وقد كان لهذا الهيجان الشعبي بالاسكندرية أسبابه الخاصة ، وأتذكر على وجه الخصوص مسألتين ساهمتا في هذا الاضطراب الشعبي أولاهما مطالب العمال بعدما توقفت بعض المصانع عن العمل أو استغنت عن بعض العمال أو خفضت أجورهم وبمعنى آخر كان هناك اختصار ثوري عمالي خصوصاً في أوساط عمال مصانع كرموز كالفرز الأهلية ، ولقد كان الطلبة ومعينو الجامعة اليساريون متحمسين للدفاع عن مطالب العمال وتعبئة الرأي العام السكندري في صفهم . وساعد على ذلك أن زملائنا في القاهرة كانوا قد بدأوا في إصدار صحيفة أسبوعية تسمى « الجماهير » وكنا نحن المعيلين نقوم بتوزيع هذه المجلة علناً في أحياء العمال بالاسكندرية وعلى محطات ترام الرمل ، وكان هذا محل اندهاش أمساتة الجامعة الذين كانوا يشاهدونا وهم في الترام ونحن على الارصفة نقادى على جريدة الجماهير كأى بائع صحف .

أما المسألة الثانية ذات الصلة فهي ما عرف بالاسكندرية بمسألة سعد فريد .

كان سعد فريد طالبا بكلية العلوم قام بشوزيع منشور مساند للعمال في حي كرموز ، وقد قبضت عليه الشرطة قبل أحداث ٥ و ٦ إبريل ومع العديد من نسخ المنشور ، ويبدو أن الحكومة قد رأت فرصة في هذا الموضوع لتأنيب طلاب الاسكندرية المشاغبين فأجرت لسعد فريد محاكمة سريعة وحكمت عليه المحكمة بسنة أشهر سجنًا ، وقد أثار الحكم على سعد فريد تأثرة طلاب الجامعة ، فقد كان هذا قول حكم بالسجن يصير على طالب بالجامعة لعمل سياسي.

وبدأت إضرابات الطلاب ، لكنها لم تحقق نتيجة في مسألة سعد فريد . ثم جاء إضراب البوليس وامتلات ساحات الاسكندرية - وخصوصاً المنشية - بالجماهير الغائرة ، وأثار الطلاب المشتركين في المظاهرات مسألة سعد فريد من جديد . وقررت مجموعة منهم الاتجاه إلى سجن الحدة لإخراج سعد فريد منه لكن سلطات سجن الحدة أوفهمتهم أن سعد فريد أفرج عنه فعلاً .

فى هذا الجو الجماهيرى الثائر ينبغى أن أذكر واقعيتين هامتين .

الأولى أننا قررنا توزيع منشور باسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى يساند المطالب الشعبية سواء مطالب الشرطة أو العمال أو الطلبة ، وقد صدرنا هذا المنشور بشعار جديد «تسقط الملكية وتحيا الجمهورية» . وكان هذا أول منشور يوزع فى مصر تحت هذا الشعار الثورى ، وقد أشارت إليه صحيفة الأهرام فى اليوم التالى وإن لم تذكر الشعار نفسه واكتفت بالقول إن منشورا ثوريا وزع بالاسكندرية .

وللتاريخ كان الشاعر كمال عبد الحليم هو الذى كتب الصياغة الأولى للمنشور وإن كنت قد عدلت فيه . وقمت بطبع المنشور فى مطبعة عادية فى محرم بك قبلت طبعه لأنه لا توجد حكومة ! وأشرفت على توصيله لمن قاموا بالتوزيع فى أحياء الاسكندرية المختلفة .

أما الواقعة الثانية فتتعلق برز حكومة النفراسى على ما جرى بالاسكندرية . فقد أنزلت قوات الجيش وملأت دباباته

المباديين العامة وبدأت قواته في إطلاق الرصاص على المتظاهرين فسقط عدد من القتلى ، وجرى هذا خصوصاً في ميدان المنشية ، وكنت من مشاهدي أحداثه .

### إعلان الأحكام العرفية !

وفي ظني أن أحداث الاسكندرية الثورية كانت من العوامل التي جعلت حكومة النفراسي تنهز فرصة إرسال قوات مصرية إلى فلسطين لكي تعلن الأحكام العرفية في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ وتعتقل كل القوى النشطة سياسياً من اليسار وشباب الوفد ، ثم جرى بعد ذلك اعتقال شباب الإخوان المسلمين عندما توقفت الحرب في فلسطين وأعلنت الهدنة .

ومع أنني أفلت بالمصادفة من الاعتقال في ١٥ مايو فإني اعتقلت في شهر يونيو ، وكنت ذاهباً لحضور اجتماع في منزل د. شريف حنانه بالسيوفى ، لكنه كان قد تم اعتقاله قبل ذلك بيوم هو والشاعر كمال عبد الحليم ، ورتبت الشرطة كميناً داخل المنزل للقبض على كل من يزور المنزل ، وهكذا

وقعت في كمين ونقلت إلى معتقل أبو قير ، وبقيت فيه لمدة سنة أشهر ثم نقلت مع آخرين من اليساريين وشباب الوفد إلى معتقل هاكستيب في طريق الاسماعيلية . وبعد عدة أشهر نقلت مع آخرين إلى معتقل الطور على البحر الأحمر إضراباً عن الطعام استمر فيما أنكر لمدة أسبوعين مطالبين بتحسين ظروف معيشتنا . وقد أدى هذا الإضراب إلى مرضى بعد أن كان قد انتهى بوعده من المسؤولين المحليين بتحسين ظروف حياتنا .

وكانت وزارة حسين سرى قد عادت للإعداد للانتخابات وكان فوز سراج الدين (باشا) وزيراً للزراعة في تلك الحكومة وتحدث أخي الكبير ابراهيم معه عن طريق بعض أصدقائه من الوفديين حول ظروفى الصحية وأدى هذا إلى نقلى إلى معسكر هاكستيب حيث حضرت لجنة طبية لفحصى ثم أوصرت قرارها بنقلى إلى مستشفى الدمرداش للعلاج من التهاب كبدى وبانى . وبقيت فى المستشفى قريباً من منزل



أعلى حتى جرت الانتخابات في آخر عام ١٩٤٩ ، وحصل  
الوفد على أغلبية مقاعد البرلمان وتشكلت حكومة الوفد التي  
أفرجت عن جميع المعتقلين في يناير عام ١٩٥٠ .

\*\*\*

بقيت نقطة واحد ينبغي توضيحها ، فقد ورد في أحد كتب  
الدكتور رفعت السعيد في وصفه لأحداث الاسكندرية أنني  
وقفت في ميدان المنشية بين المتظاهرين وألقيت فصيدة هذا  
مطلبها .

عساكر الجيش والبوليس خطبكمو

خطب البلاد فعابوا من بجانبها  
وبالطبع وسط أزيز رصاص دبابات الجيش لم يكن هناك  
مجال لإلقاء قصائد ولا يحزنون . والحقيقة أن هذه القصيدة  
ألقيت في احتفال بمعقل الطور بعد مرور سنة على إضراب  
البوليس ، وقد حضر جنود وضباط الشرطة بعد في المعتقل  
هذا الاحتفال وصدقوا كثيراً للخطب والقصائد التي أقيمت  
فيه .

---

## ذکریات لندن

---

عشت في لندن فترتين متقاربتين من حياتي . الفترة الأولى هي التي كنت أعد فيها رسالة الدكتوراه ، وهي من سبتمبر ١٩٥٠ حتى سبتمبر ١٩٥٢ وبعدما عدت إلى القاهرة حيث عينت مدرسا بكلية العلوم جامعة القاهرة ، قسم الرياضة البحتة .

وجاءت لي فرصة تعييني مدرسا بإحدى كليات جامعة لندن في الفترة من مارس ١٩٥٥ حتى نوفمبر ١٩٥٦ . وهكذا عشت الفترة الثانية في لندن حتى جاء تأميم قناة السويس في يونيو سنة ١٩٥٦ فأنثرت الاستقالة من عملي في لندن حتى أتفرغ للعمل الجماهيري الذي كان مطلوباً في بريطانيا للبقاء عن وجهة نظر مصر في تأميم القناة .

ولقد فكرت في الفترة الأولى - فترة دراسة - الدكتوراه - كيف يمكن خدمة شعب مصر ونحن في الخارج؟ وانتهيت مع زملاء آخرين إلى فكرتين أساسيتين : الأولى أن نعرف الشعب البريطاني بحقيقة ما يجري في

مصر قدر الإمكان ، ومن وجهة النظر الشعبية ، أى من وجهة نظر العمال والفلاحين والطبقة الوسطى وخصوصا شرائحها المتخفية .

والفكرة الثانية هى أن نكون على اتصال بالأحداث المهمة التى تجرى فى مصر وأن نبدي رأينا فيها قدر الإمكان حتى يشعر المسئولون فى مصر أن طلاب البعثات المصريين يفكرون فى مصر ويطالبون أن يأخذ رأيهم فى الحسبان .

### تشكيل لجنة وطنية

وقد وصلت إلى قناعة أن الخطوة الأولى لتحقيق هاتين الفكرتين تتمثل فى تشكيل لجنة وطنية تكون بمثابة المحرك الأول لكل هذا العمل ، وهكذا تشكلت اللجنة الوطنية من الدكتور فائق مبريد والدكتورة حكمت أبو زيد (التي أصبحت وزيرة الشؤون الاجتماعية خلال حكم عبد الناصر) والدكتور محمد عبد الحليم وكاتب هذه السطور .

وكان العمل الأول لما هو إصدار نشرة غير دورية توزع على النقابات البريطانية اسمها «السلام والاستقلال» وكان لهذا الاسم قصة فود أن أشرحها ، لقد سبقنا في هذه العمل الصديق عبد المعبود الجبيلي الذي كان يدرس لدكتوراه النولة في معمل كوري بباريس ، وقد أرسل لي نسخة من نشرته التي كانت تكتب بالفرنسية طبعها وتوزع على النقابات الفرنسية وتحتوي على المهم من أخبار مصر التي يهمنا إطلاع الرأى العام الأوروبى عليها .

وأرسل لي عبد المعبود نسخة من نشرته وابتدأنا في أول الأمر بترجمتها إلى الانجليزية وتوزيعها على النقابات البريطانية بالبريد ، ثم أخذنا بعد ذلك في تغيير مادة نشرتنا عن نشرة باريس وإن احتفظنا بالاسم نفسه «السلام والاستقلال» .

كما قمت عند وقوع أحداث مهمة في مصر بكتابة مقال تفسيرى في صحيفة الحزب الشيوعى الانجليزى - الديلى ويكر باسم مستعار هو «ص الأيوبى» Aouby ولكن لم يكن للجنة الوطنية علاقة بهذا العمل ،

أما خدمة الفكرة الثانية التي تمثلت في أن نكون على صلة بأحداث مصر وأن نكون رأينا قدر الإمكان معروفا وذا تأثير على هذه الأحداث فقد تمثل ذلك في دعوة اللجنة الوطنية طلاب البعثات في مدن بريطانيا المختلفة إلى الاجتماع في النادي المصري بلندن ومناقشة هذه الأحداث ثم بإرسال رأينا إلى المسئولين في مصر بعد ذلك .

وقد حققت هذه الفكرة نجاحا كبيرا ، وتجحنا في تنظيم عدة مؤتمرات في لندن في المناسبات الوطنية المختلفة ، في مقدمتها مناسبة قيام الوزارة الوفدية بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وحوادث الصدام بين قوات البوليس المصري والجيش البريطاني في الاسماعيلية ، وبالطبع أعلننا تضامنا مع إلقاء المعاهدة وأبنا العمل البريطاني الوطني في أحداث الاسماعيلية .

### أكبر مؤتمرين

إلا أن أكبر مؤتمرين دعونا إليهما ونوافق الطلاب المصريين من كافة المدن لحضورهما فكانا بمناسبة حريق

القاهرة في يناير ١٩٥٢ ثم بمناسبة وقوع الثورة في يوليو ١٩٥٢ .

في المؤتمر الأول الذي انعقد في ٢٨ يناير ١٩٥٢ (بعد حريق القاهرة) كان الطلاب في حالة غلبان ، ومع أننا لم نكن نعرف على وجه اليقين من هم الذين قاموا بعملية الحريق ، فإن شكوكنا آنذاك كانت حول دور السراي الملكية في هذه العملية المشعة للتخلص من الوزارة الوفدية لكننا بالطبع لم نكن نملك أدلة حاسمة . المهم أن هذه الشكوك انعكست في المؤتمر حين قام أحد طلاب البعثات الدكتور عبد الحميد أمين بنجل الكاتب المعروف أحمد أمين وطالب الملك فاروق أن يتنحى عن العرش ، وأحتبست الأنفاس بعد سماع كلمة عبد الحميد ، وما زاد من الحرج أن وكيل مكتب البعثات (دكتور عبد العزيز عتيق) كان حاضرا المؤتمر ، وهو بالمناسبة زوج شقيقة الدكتور عبد الحميد أمين !

المهم انتهى المؤتمر بسماع إقالة وزارة مصطفى النحاس ، وبقينا مشغورا عدة في حالة غلبان وإن كنا لا نعرف ماذا تفعل .

حتى فوجئنا بوقوع ثورة الجيش في ٢٢ يوليو ١٩٥٢ . وقد  
أثار هذا الحديث الكبير حيرتنا في مبدأ الأمر ، إذ كيف  
يستولى الجيش على السلطة والقوات البريطانية موجودة في  
القنال ما لم يكن هناك تنسيق بينها وبين قادة هذا العمل ؟  
كان هذا الخاطر الأول لنا . لكننا سمعنا أن هناك ضابطا  
(أحمر) في قيادة الثورة هو خالد محبي الدين ، وهذا يناقض  
الخطر الأول .

واتجهت خواطرننا أيضا إلى نور أميريكي في هذه الحركة  
يوم أذيع أن على صبرى كلف بالاتصال بالسفارة الأميركية .  
لكننا حزننا أمرنا في نهاية الأمر بتفريد الثورة عندما  
أعلن عن رحيل الملك وتنازله عن العرش ، وعن قانون جديد  
للإصلاح الزراعي ، واتخذ مؤتمرنا قرارا بهذا التأييد  
وأرسلت به برقية إلى الإذاعة المصرية حيث أذيع على الفور .

\* \* \*

والآن أتحوّل إلى الفترة الثانية التي عشتها في لندن  
مدرسا بإحدى كليات الجامعة .



لقد وصلت إلى لندن لتسلم عملي بالجامعة في فبراير (أو مارس) ١٩٥٥ قادمة من بيروت ، وكنت قد غادرت القاهرة في نوفمبر ١٩٥٤ (بعد فصلي من جامعة القاهرة) لتدريس مقرر في الإحصاء باللغة العربية في فرع معهد الإحصاء الدولي ببيروت لمدة ثلاثة شهور .

وقد قبلت القيام بهذا العمل في انتظار قرار اختياري أو اختيار غيري في وظيفة لندن ، ولحسن الحظ قررت الكلية اختياري وأرسلت لي خطابا على بيروت بذلك ، وكانت فترة بيروت هي الفترة التي كتبت فيها مقالتي الثلاثة عن الرواية المصرية واتفقت فيها مع دار نشر بيروتية على نشر كتاب (في الثقافة المصرية) وهو الكتاب الذي احتوى على مقالتي ومقالات الصديق محمود أمين العالم في النقد الأدبي ، وتكفل الصديق اللبناني محمد دكروب بالإشراف على إخراجه كما قام الشهيد حسين مرده بكتابة مقدمة ، وقد أثار هذا الكتاب في السنوات الأولى لصدوره ضجة كبيرة في أوساط الشباب.

المهم تفرغت في لندن لعملى العلمى من إعداد المحاضرات والتركيز على البحوث بحيث لم يكن عندى وقت للعمل السياسى ، وكنت أكتفى فى ذلك بحضور الاجتماعات السياسية المهمة ، وبثوثى علاقتى بحركة «تحرير المستعمرات» التى كانت بمثابة مظلة واسعة تحطم جميع أعوان اليسار المعادى للاستعمار بقيادة نائب عمالى يسارى معروف فينر بروكواى ، وكان اهتمام هذه الهيئة الأساسى بالمستعمرات البريطانية فى أفريقيا آنذاك مثل غانا وأوغندا ونيجيريا .. إلخ .

وعند انتهاء عملى بالكلية فى أواخر يونيو ١٩٥٢ قررت الاستجمام أنا والعائلة (زوجتى واينثى منى) فى جزيرة من جزر المانش تدعى جيرنسى فيما أذكر ذهبنا لقضاء شهر يوليو هناك ، وتمعنا بجمال الطبيعة ، وبحو الريف الذى افتقده دائما باعتبارى قاهرى قح ، مثلاً أتذكر أن الخضرة والأبقار كانت تملأ مساحة الفضاء أمام الفندق الذى نزلنا فيه .

## تأميم القناة

حتى جاء يوم في يوليو قضيناه بطوله خارج الفندق  
وعندما عدنا في المساء ونزلنا لتناول العشاء، كالعادة  
في قاعة الطعام فوجدنا بالحاضرين وكأن على رؤوسهم  
الطير ، لكن صديقا هندي انحنى علي وقال بصوت خافت  
«ألم تسمع ؟ لقد أعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس»  
ولم أصبى في مبدأ الأمر وحسبته بهزل كالعادة ، ولكن  
أكد الخبر وطلب مني أن أسمع C . B . B للتأكد .

وقضيت تلك الليلة نون نوم عجلية ، أفكر ماذا أفعل في  
مثل هذا الوقت ، هل أستقيل من عملي مثلاً وأتفرغ للدفاع  
عن تأميم القناة ؟

وفي الصباح اتصلت بسكرتيرة «حركة تحرير  
المستعمرات» وهي سيدة انجليزية تمتاز بالنشاط والعمل  
الجهاديين الواسع ، وقالت لي : أين أنت ؟ إننا نبحث عنك  
في كل مكان ، لأننا في حاجة إلى مثقف مصري يشرح  
لأعضاء النقابات في الاجتماعات التي نعدها في المدن

المختلفة وجهة نظر مصر ، قلت : إنتى سوف أعود إلى لندن  
بعد يومين ،

وكانت هذه الكلمة الهاتفية حاسمة فى اتخاذ قرارى  
بالاستقالة من عملى متما لإخراج كليتى من ناحية ، ولأخذ  
كابل هريش فى هذا النشاط الجديد ، وأبرقت إلى الصديق  
محمود العالم بقرارى الاستقالة فى اليوم نفسه الذى أرسلت  
فيه خطاب استقالتي لعميد الكلية .

### نشاط مكثف دفاعاً عن القناة

وعدت إلى لندن ، وبدأت أسافر إلى مدن بريطانيا  
المختلفة وفق الجدول الذى وضعت « حركة تحرير المستعمرات »  
للحديث فى اجتماعات النقابات العمالية .. فى مانشستر ،  
وتشفيلد ، وأدنبره ، وليفربول ، وبرمنجهام .. إلخ ، ونصارف  
حضور اثنين من العاملين فى الإذاعة المصرية هما عبد العزيز  
فهس ويحيى أبو بكر فقاما بحضور بعض هذه الاجتماعات  
وتسجيل ما جرى فيها ، خصوصاً الكلمات التى كنت ألقاها  
دفاعاً عن التأميم وشرحا للمظالم التى حاقّت بمصر عند بناء  
القناة .

والغريب فى كل هذا النشاط أن السفارة المصرية فى لندن لم تحاول أن تحصل على المساعدة ، وأنا شخصيا لم أكن أعرف أحدا فى السفارة ، وكنت أخشى من الاتصال بالسفارة باعتبارى مقصولا من جامعة القاهرة بقرار لمجلس قيادة الثورة ، أى أن السفارة سوف تعتبرنى - إن اتصلت بأحد فيها - معاديا للنظام فى القاهرة .

وقد تبينت صحة هذه المخاوف عندما فوجئت وأنا فى قمة نشاطى هذا للدفاع عن تأميم القناة باتصال هاتفى من الملحق العسكرى فى السفارة المصرية بمرجئى أن أمر عليه فى مكتبه .

كان آنذاك قد تحدد الاجتماع الجماهيرى الكبير للبريطانيين فى ميدان الطرف الأغر أواخر أكتوبر ، وكان قد أعلن عن المفكرين فى هذا الاجتماع وكنت منهم فإذا بالملحق العسكرى يطلب منى أن أعذر عن الاشتراك فى هذا الاجتماع الكبير ! وفيما يبدو خوفا من أن نهاجم النظام فى مصر ، ولكنى رفضت طلبه وقلت له : إن الاجتماع الذى

سوف يبدأ بمظاهرات من ماربل ارش غدا تنتهي عند الطرف  
الأغر ، ويضم خمسين ألفا من البريطانيين ، فرصة ذهبية  
للدفاع عن تفعيم القناة فكيف يمكن أن اعتذر عنه !

## اجتماع الطرف الأغر

وبالفعل حدث الاجتماع الذي تكلم فيه نواب حزب العمال  
فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٦ كما تشكلت غبه وكان حزب العمال  
معارضاً للحرب ، والغريب أُننى بعد عودتى إلى القاهرة فى  
أوائل ديسمبر ١٩٥٥ فوجئت بشخص يسلم على بحرارة فى  
مترو مصر الجديدة وهو فى ملابس مدنية ، ولم أعرف فى  
مبدأ الأمر من هو وسألنى . ألا تتذكرنى ؟ فقلت : أسف مش  
واخذ بالى .

وإذ به الملحق العسكرى الذى كان يطلب منى ألا أتحدث  
فى اجتماع الطرف الأغر ، وإذ به يعتذر عن طلبه هذا ويقول  
إنها كانت تعليمات من القاهرة وأنه أدرك خطأها بعد ذلك .  
ولقد كان الدكتور مصطفى كمال حلمي - رئيس مجلس  
الشورى اليوم - من حضور هذا الاجتماع الجماهيرى وقد

سعى إلى مهنتنا بعد سماع كلمتي ، وطبعاً فإن صداقتنا  
قديمة لأننا خريجو كلية العلوم .

ومن المفارقات المشيرة للضحك أن إحدى الصحف  
البريطانية وأظنها «الديلي تلجراف» كتبت بعد اجتماع  
الطرف الأغر مقالا ادعت فيه أن عبد الناصر أرسل واحداً  
من مساعديه الإعلاميين للتحدث في الاجتماع ، وربما كان  
المقصود الأستاذ محمود أنيس الذي كان يعمل في مصلحة  
الاستعلامات .

ثم أدركت الصحيفة خطأها واتصل بي أحد محرريها  
تليفونيا وتأكد أنني مدرس بلنزل فكتب اعتذاراً بعد ذلك  
عن هذا الخطأ .

وقررت العودة إلى مصر أنا وأسرتي ، خصوصاً أن  
الأجهزة البريطانية بدأت تطاردني وتساأل عني أصحاب  
المنازل التي أقمت بها ، ولكن كيف الذهاب إلى مصر ، ومطار  
القاهرة مغلق بسبب الحرب ، ولا يوجد طيران منى بين  
مصر وبريطانيا ؟

لا مفر إذن من الذهاب جواً إلى الخرطوم ومن هناك نتدبر  
الأمر إلى القاهرة .  
وبالفعل وصلنا إلى الخرطوم وبقينا فيها مع عدد من  
الأصدقاء والأقارب حتى جاءت أول طائرة مصرية أخذتنا إلى  
القاهرة في أوائل ديسمبر ١٩٥٦ .



## ذكريات المساء

ليس هذا عنوانا رومانسيا ، وإنما أشير هنا إلى نكرايتي  
في صحيفة «المساء» المصرية عندما عدت من بريطانيا أثر  
العنوان الثلاثي على مصر في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ بعد أن  
استقلت من عملي في لندن ، اتصل بي الاستاذ خالد محيي  
الدين عارضا علي أن أعمل معه في صحيفة المساء ، فقبلت  
لأنه لم يكن أمامي من عمل آخر ،

ولابد أنه في تخميني قد استثنين عبد الناصر قبل أن  
يشعل بي وأن عبد الناصر وافق علي ذلك ، واخبرت أن أهتم  
بالشئون العربية في صحيفة المساء ،

كانت تلك الفترة من تاريخ مصر ، مشرقة ومليئة بالآمال .  
لقد هزم العدوان الثلاثي واضطرت القوات الإسرائيلية إلى  
الانسحاب من سيناء ومن قطاع غزة بعد أن دمرت خط  
السكة الحديد الذي يربط مصر بغزة ، كما انسحبت القوات  
البريطانية والفرنسية من منطقة القناة . ولاشك في أن  
الولايات المتحدة قد ضغطت على حلفاء العدوان الثلاثي

للانسحاب بالإضافة إلى تهديد خروشوف بالتدخل العسكى إن لم يتم الانسحاب .

وكان موقف الولايات المتحدة هذا - وايزنهاور بالذات - يعود إلى أن بريطانيا وفرنسا أخفتا عن واشنطن تفاصيل مشروع العنوان الذى تم التوقيع عليه سرا فى معاهدة «سيفر» . ولم يغفر إيزنهاور لإيدن هذا العمل وكان التهديد بزعمرة الجتيه الاسترلينى فى الأسواق الدولية كافيا . لا للانسحاب فحسب بل لإخراج إيدن من زعامة حزب المحافظين بعد ذلك . وبالطبع كانت أمام أمريكا فرصة ذهبية لكى تحل مكان القوى الاستعمارية الهرمة (بريطانيا وفرنسا) فى الشرق الأوسط ، وهكذا بدأ تقديم «مشروع إيزنهاور» لملء الفراغ فى المنطقة كما يزعمون ، بعد الانسحاب مباشرة .

وبالطبع كان عبدالناصر يدرك أهداف مشروع إيزنهاور ، لكنه فى ظنى كان فى حرج للدور الذى لعبته أمريكا فى

تحقيق الانسحاب ، ولذلك أثر أن تبدأ الحملة على مشروع  
إيزنهاور في صورة خطابات من الرأي العام إلى جريدة  
الشعب (وكان الاسناد لطفى واكد رئيسا لتحريرها آنذاك)  
تدين المشروع . وبالطبع كانت جريدة المساء ضد المشروع  
وكتبت فيها مقالات عديدة ثمينه وتقصص مرامي . لكن هذا لم  
يكن كافيا إذ أراد هو أن تعرف واشنطن أن الشعب كله ضد  
المشروع .

وهكذا اتصل بي الاسناد لطفى واكد ذات صباح وطلب  
أن أزرده في مكتبه بصحيفة الشعب . فلما ذهبت وجدت على  
صبري حاضرا الجلسة ولو أنه انصرف قبل انتهاء اللقاء .  
وقال لي لطفى واكد : إنه يريد من قوى اليسار أن تفرق  
جريدة الشعب بخطابات ضد مشروع إيزنهاور وأنه يطلب  
منى المعونة في هذا ، وبالفعل اتصلت بالعديد من قوى  
اليسار راجيا منهم إرسال خطابات إلى جريدة الشعب بإدانة  
مشروع إيزنهاور . ونشرت الجريدة بالفعل العديد من  
الخطابات الأمر الذي لعب دورا في قتل المشروع في المهد .

## انتصارات الحركة الوطنية العربية

وبالطبع لم تسكت واشنطن ، خصوصا بعد أن تعددت انتصارات الحركة الوطنية العربية ، فطرده الجنرال جلوب من الأردن وحل محله على أبو نوار كقائد للجيش وتحركت الأحزاب الوطنية في الأردن لتحقيق حكم وطني برئاسة سليمان النابلسي حيث كان الكثير من زعماء الأحزاب الوطنية وزراء في تلك الحكومة ومنهم على سبيل المثال شفيق أرشيدات للتعليم وعبدالحليم النمر للداخلية .... إلخ .

على أن هذا التحول في الأردن لم يظل طويلا إذ جرى انقلاب وزاري آخر وإن لم يكن انقلابا كاملا ، إذ ظل سليمان النابلسي وزيرا للخارجية بعد أن كان رئيسا للوزراء وظل عدد من وزرائه في مواقعهم ، بينما تولى الرئاسة أحد المواليين للملك حسين .

كانت هذه بداية التهديد التركي بغزو سوريا من الشمال ، وكان التهديد جديا ولعبت الأحزاب المعادية للقومية العربية دورا في اهتزاز الأوضاع في سوريا باغتيال العقيد عتقان

المالكي الذي كان يشغل منصباً حساساً في الجيش السوري  
فيما أتذكر ، كل هذا كان في سبتمبر سنة ١٩٥٧ .

واختار عبدالناصر أن يرسل وحدات من الجيش المصري  
إلى اللاذقية واستقبلت تلك القوات استقبالا يفوق الوصف في  
سوريا ، وكانت هذه هي الظروف التي سافرت فيها إلى  
سوريا مؤمداً من صحيفة المساء .

ومع أهمية البحث عن الوضع في سوريا بعد وصول  
القوات المصرية ، إلا أنني أدركت أهمية زيارة عمان أيضاً  
حيث كان الصراع على أشده بين الأحزاب الوطنية في الأردن  
ورجال الملك حسين ، وهكذا سافرت إلى عمان لقضاء ثلاثة  
أيام فقط ونزلنا في فندق نادي عمان وكان يقيم به عدد من  
الوزراء الأردنيين الذين يعيشون أصلاً خارج العاصمة ،  
وهكذا توثقت صلاتي بعدد منهم من بينهم شفيق أرشيدات  
وعبدالحليم النابلسي وسعيت لمقابلة سليمان النابلسي وفهم  
الأوضاع منه فوجدت منه غتابة على عبدالناصر لأنه يشتد في  
رأيه في معاملة الملك حسين . لكن الجو كان مكوريا خصوصاً

أن الأحزاب الوطنية قد قررت عقد مؤتمرها في نابلس وكان الملك حسين مصمما على إفشال المؤتمر ومنع المقيمين من أعضائه في عمان من السفر إلى نابلس ، إذ أنه حاصر مخارج عمان بقوات الشرطة .

وفي هذه الظروف حدث أغرب ما يمكن أن يحدث لصحفي خالي الذهن عن العمليات السرية ، فقد اتصل بي المحقق العسكري المصري في الفندق وطلب مني أن أمر عليه في مكتبه فلما ذهبت إليه يطلب مني أن أسافر إلى نابلس فوراً ومعى اثنان من قيادة الحركة الوطنية في سيارة من سيارات السفارة . ولما سأله كيف ستسمع الشرطة الأردنية بخروجنا من عمان أجاب ببساطة : لا تحمل هم ذلك ، وطلبت منه أن أعود إلى الفندق لأحضار بعض الملابس معي إلى نابلس ، ولكنه رفض ثم سألني فجأة : هل نَجيد إطلاق الرصاص ؟ فضحكت وقلت له إنني لم أمسك مسدساً طوال حياتي ، فقال : إذن يذهب معك قارو القاضى لأنه يجيد إطلاق النار .

## العصر إلى نابلس

وهكذا سافرنا في ظلام الليل إلى القدس ومعنا اثنان من قادة الأحزاب . فائق وراة الذي أصبح أميناً عاماً للحزب الشيوعي الأردني بعد وفاة فؤاد نصار ، والآخر هو عيسى مدانات أحد قيادات الحزب ، وفي ظلام الليل لم أعرف من ركب معنا السيارة أنا وفاروق القاضي ، ولكن خطر في بالي أنهما رجلان في ملابس شبه نسائية ، وبالفعل عندما وصلت السيارة إلى نقطة التفقيش في مخارج عمان أهرزنا للشرطي جواز سفرى وجواز سفر فاروق القاضي فـأشار إلينا بالذهاب، ولم أصدق أننا بهذه السهولة اخترقنا نقاط حصار الملك حسين ، وكان المطلوب منا هو توصيل الرجلين إلى منزل القنصل المصري في القدس ، ووصلنا بالفعل إلى منزله حوالي الساعة الثالثة صباحاً فوجدناه في انتظارنا ورحب بنا غاية الترحيب وتمنا بضع ساعات في غرفة الجلوس ، ثم قامت أنا وفاروق القاضي بالسفر وحدنا إلى نابلس مارين برام الله حيث استرحنا في منزل كمال ناصر (الذي اغتاله



الاسرائيليون في بيروت بعد ذلك بستين طويلاً) وتناولنا الغداء في منزله ثم ودعناه إلى نابلس التي وصلناها في المساء ، ووجدت أن المنظمين للمؤتمر قد رتبوا لي النزول في منزل قدرى طوقان ، فاتجهت من فوري إلى قاعة المؤتمر في نابلس حيث حضرت جلسته الختامية ، وقابلت د. عبدالرحمن شقير زعيم الجبهة الوطنية آنذاك وفؤاد نصار أمين عام الحزب الشيوعي الأردني وفهمي السلفيتي وبقية قيادة الاحزاب الارمنية . وربما يتيح لي الزمن أن أتحدث عن متعة الإقامة في بيت طوقان والاحاديث الجميلة التي دارت بيني وبين قدرى طوقان والشاعرة فتوى طوقان وحافظ طوقان ، وكيف ظللنا نتحاور في الأمور المختلفة حتى الصباح تقريباً .

وكان من الواضح لي أن الملك حسين يستعد لضربة رداً على قرارات الاحزاب الوطنية ، وبالفعل فلم أكد أعود إلى عمان وأنزل في نادي عمان حتى أعلن الملك حسين الأحكام العرفية وغيّر الوزارة بوزارة من الموالين له ، ومنع الخروج من نادي عمان بالأمر العسكري .. وبذلت السفارة المصرية

جهودها لتصريح لي بدفاعة عمان . وبالفعل غادرت عمان إلى دمشق . لكن عبدالرحمن الخميسي كان قد طير خبراً لجريدة الجمهورية باعتقالي في عمان . ولم يكن الخير بالطبع صحبها ، وعندما وصلت إلى دمشق وعلمت بالموضوع وسألت الخميسي لماذا فعلت هذا ؟ أجاب وهو يضحك : « من باب الاحتياط ! »

### التهديد التركي لسوريا

عندما وصلت إلى دمشق كانت أزمة التهديد التركي لسوريا في أشدها ، وكانت القوات المصرية قد أخذت مواقعها فرأيت أن من المناسب أن أزور عدداً من المدن السورية لاستكشاف الاستعدادات لمواجهة الغزو التركي المحتمل . وبالفعل ذهبت إلى المكتب الثاني (المخابرات) وقابلت عبدالحميد السراج (رئيسه آنذاك) وطلعت منه ترسيب التصريح لي بزيارة عدد من المواقع .. في حمص واللاذقية وحلب .. إلخ .

فرحب بذلك وأصدر لي تصريحاً بزيارة هذه الأماكن ومقابلة قادتها . وعندما علم بعض الصحفيين المصريين في دمشق بذلك أبدوا رغبةهم في أن يكونوا معي . كان معنا في السيارة حسن شاه الهاكع وأحمد سعيد مراسل وكالة الشرق الأوسط في دمشق وصحفية ثالثة من أخبار اليوم هي فاطمة سعيد . وبالفعل غادرنا دمشق في الفجر في سيارة مكتوب على زجاجها الأمامي (صحافة مصرية) .

ومهما حاولت أن أصف حفاوة الشعب السوري بنا قلن أستطيع ، سوف أذكر قصة واحدة تشير إلى ذلك . عندما وصلنا إلى الميدان الرئيسي في حمص أوقفنا بعض الأهالي وصمموا على أن ننزل لتناول الإفطار في منزل أحدهم : فلما أخبرناهم أننا تناولنا بعض الإفطار في السيارة ونحن في الطريق وشكرناهم علىكرمهم رفضوا الاستماع إلينا وحلف أحدهم بالطلاق أنه لايد عن أن نتناول الإفطار في منزله وبالفعل رضخنا لهذا الكرم المماثي وأفطرونا مرة أخرى .

ثم ذهبنا بالسيارة إلى موقع القيادة حيث قابلنا الضباط السوريين والمصريين الذين رحبوا بنا ثم ذهبنا إلى مكتب محافظ حمص حيث واجهنا أعظم مفاجأة !

كان الزملاء المصريون ممن قد اتفقوا على أن أتولى - باعتباري أكبرهم سناً - تقديمهم إلى الجهات المختلفة التي نزرعها - وقد قمت بهذا عند وصولنا لمكتب المحافظ ، فوجدت منه حفاوة شديدة بأحمد سعيد الذي معنا فلما منه أنه أحمد سعيد المشرف على صوت العرب ، وأتركت بسرعة المشكلة وحاولت أن أشرح بهذا ، للمحافظ أن الصحفي الذي معنا ليس أحمد سعيد صوت العرب . فإذ به يفعل ويقول إن ما وصله من المكتب الثاني من أسماء لصحفيين مصريين من بينهم أحمد سعيد جعله يدعو شعب حمص للاجتماع في الميدان الكبير بين الظهر والاستماع إلي خطاب من أحمد سعيد صوت العرب .

وبالفعل كانت الميكروفونات الثابتة والمتحركة في سيارات تدعو إلى اجتماع بعد الظهر لسماع أحمد سعيد . وأدركنا أننا في ورطة ! ماذا نفعل ؟

حاولت أن أقنع أحمد سعيد الذي معنا في الوفد أن يتكلم  
فرفض بإصرار وهدد بالعودة إلى دمشق فوراً . قلت له :  
سوف أكتب لك القسمة وما عليك إلا قراءتها فرفض . إنه  
شاب خجول لا يجيد الخطابة أمام الناس (وهو بالمناسبة  
أصبح وكيل الكيفزيون المصري بعد ذلك بستين طويلاً) .

وبالتالي فلم يكن هناك مفر من أن أتكلم أنا . وأنا طبعاً  
لست أحمد سعيد . ووقفنا في شرفة المحافظة .. ممثلو  
الأحزاب الوطنية السورية ورجال الدين مسلمين ومسيحيين  
وبعض الضباط والصحفيين المصريين . وتكلم رجال سوريا  
أولاً ثم عندما جاء الدور علينا لم تستمع الجماهير إلي  
اسم الشخص الذي سوف يتحدث لأن إطلاق النار من  
الأعلى ترحيباً قد غطى على كل شيء .

وبعد انتهاء الاحتفال نزلنا إلى السيارة لمقابلة حمص إلى  
اللاذقية فأصرت الجماهير السورية على إخراجي من السيارة  
للترحيب بي وتقبلي ، وبعضهم لاشك قد أدرك أنني لست  
أحمد سعيد ، وإن كانت كلمتي قد سرتهم .

وقد اكتشفت بعد ذلك أن أهل حمص معروفون في الشام بطبيعتهم وسذاجتهم تماما كما نتحدث نحن عن أهل الشرقية الذين عزموا القطار أو من الصعيدي الذي اشترى الترام . عرفت ذلك من عفيف البرزى قائد الجيش السوري آنذاك ، وعندما أخذني بعد ذلك في سيارته أنا وخالد محيي الدين لزيارة حمص مرة أخرى ألفتناه يضحك مع المحافظ ويعيد قصة أهل حمص مرة أخرى .

بعد وصولنا إلى اللاذقية كنت متلهفا للوصول إلى حلب إذ كان واضحا لي أن أولى معارك الجيش التركي - لو قرر الهجوم فعلا - سوف تكون في حلب .

وفي حلب وجدت الاستعدادات العسكرية تجري على قدم وساق ، حفر خنادق وإقامة استحكامات ، وكانت قلعة حلب هي ، المكان الذي تطل منه على ما يجري في المدينة .

الغريب أنني وجدت من بين الضباط المصريين الذين كانوا يقومون بتدريب الميليشيات على أعمال المقاومة الضابط حسن صبرى الخولي (الذي أصبح فيما بعد المبعوث

الشخصي للرئيس عبدة الناصر في أعمال سياسية عربية  
(كثيرة) .

وكنّت أعرف حسن صبحي الخولي من العباسية حيث  
نشأ سويا وظللت على علاقة به بعد الثورة . لذا فرحت جدا  
بلقاءه . وقد دبر - ترحيبا بنا - زيارة للحدود السورية  
التركية عبر الجبال الشاهقة والطرق الضيقة .

\* \* \*

بقي أن أذكر أنني كنت أول صحفي مصري يزور قطاع  
غزة بعد جلاء الإسرائيليين عنها وعودة الإدارة المصرية  
(أعتقد أن ذلك تم في يناير سنة ١٩٥٧) . حيث أن  
الإسرائيليين دمروا خط المسكة الحديد الذي كان يصل بين  
غزة والقنطرة شرق فلم يكن هناك مفر من تفجير تاكسي في  
القنطرة شرق يأخذني إلى غزة . وكان في السيارة أناس  
آخرون ذاهبون إلي هناك وقبل وصولنا إلى غزة بنحو ربع  
الساعة فوجدنا يرتل من السيارات يسد الطريق تماما .  
وعندما وصلنا إلى السد أدخل أحد الواقفين رأسه في

سيارتنا وسأل عني وعرفت بعد ذلك أنهم يمثلون وفدا من شباب غزة عرفوا لا أدري كيف أنى قادم إلى غزة وأنهم خرجوا للترحيب بي ، وقضيت أسبوعا في غزة نزلت خلاله في منزل جمال الصوري وقابلت قيادات غزة الوطنية : حيدر عبدالشافي وجمال الصوري وسعين بسيسو والبقية . وكنت أتناول الغداء يوميا في أحد منازل أهل غزة ، وكان الغداء التقليدي هو المنسف والكنافة النابلسية .

والمنسف هو طبق كبير من الأرز والعيش واللحم ، ياكلونه بأيدهم على طريقة الاعراب . أما الكنافة النابلسية فهي من أجمل ما ذقت من الحلويات .

ومن نتائج هذه الزيارة أني كتبت مقدمة ديوان معين بسيسو « صارد من السنايل » عن المقاومة التي نظمت ضد الاحتلال الاسرائيلي آنذاك وحتى اليوم لا يزال الكثيرون من رجال غزة يزوروني في القاهرة ونذكر سويا أيام هذه الزيارة الجميلة التي أوقدت حبي لأهل غزة ونضالها .



## انتخابات الدائرة السادسة

---

لتجهت الثورة إلى إجراءات انتخابية لأول مرة بعد انتهاء  
العنوان الثلاثي وهزيمة أهدافه . وتحدد شهر يوليو سنة  
١٩٥٧ موعدا لإجراء الانتخابات . وبالطبع لم تكن هناك  
أحزاب رسمية تُقدم للدخول هذه الانتخابات ، وإنما يتقدم  
الأفراد الراغبون في دخولها إلى لجنة يرأسها عبدالناصر  
وتضم في عضويتها عبدالحكيم عامر وزكريا محيي الدين  
وكمال الدين حسين فيما أذكر .

ولقد تقدم إلي هذه اللجنة عدد من اليساريين المعروفين  
طالبين الترشيح فرفضتهم ، وتقدمت أنا بطلبى إلى اللجنة ،  
فوافقت اللجنة على ترشيحي لمجلس النواب . وكان سبب  
الموافقة فيما أعتقد هو موقفى فى بريطانيا عند تأميم القناة ،  
مدافعا عن التأميم فى اجتماعات بريطانية مختلفة كان آخرها  
الاجتماع الحاشد فى ميدان الطرف الأغر فى ٢٦ أكتوبر  
سنة ١٩٥٦ .

وقد اخترت أن أتقدم للدائرة السادسة (الوايلي) لأن أهلى  
جميعا من عائلة الأب أو الأم يقيمون فى العباسية طوال

حياتهم ، وقد نشأت في العباسية وتعلمت في مدارسها ،  
حتى كلية العلوم التي التحقت بها جامعا كانت في العباسية  
آنذاك .

وتحسست لترشيحي كل فصائل اليسار في مصر باستثناء  
جماعة « حيتو » التي اختارت أن تؤيد في هذه الدائرة عاملا  
من عمال الشراخ ( عبدالعزیز مصطفى ) وقيل حينذاك أنهم  
قرروا تأييده لأنه عضو في تنظيمهم ، بينما قال الشيخ مبارك  
بعد ذلك بسنوات طويلة في ذكرياته أنهم أيّدوا عبدالعزیز  
مصطفى لأنه عامل ، أي أنهم فضلوا العامل على المثقف وهي  
حجة سخيفة أمام أي فكر يساري عاقل .

ولقد بلغ حماس المثقفين لترشيحي أن وقع عدد من كبار  
المثقفين بيانا يعلنون فيه تأييدي ويدعون الناس في الدائرة  
السادسة إلي الوقوف معي . ومن هؤلاء أُنْتُكِر أسماء إحسان  
عبدالقدوس رئيس تحرير روز اليوسف وكامل الشناوي رئيس  
تحرير الجمهورية وأحمد بهاء الدين الكاتب المعروف والدكتور  
لويس عوض ، ومع أنتى لم أَسع للحصول على توقيع نجيب

محفوظ إلا أنني عندما كنت أزور بعض المنازل في منطقة «بين الجنابين» حيث كان يسكن هو آنذاك أفاجأ بمن يشهرني من السكان أن الأستاذ نجيب محفوظ قد زارهم بيتا بيتا مؤكدا عليهم أهمية انتخابي . وبالطبع كان مثل هذا الخبر تأثير عظيم في قلبي وتقدير أعظم في نفسي ، مع أنني حتى ذلك الوقت لم تكن على صلة قريبة من الناحية الشخصية وإن كان قد أهداني ثلاثيته عندما صدرت .

وتحمس أيضا لترشيحي الطلاب العرب في الجامعات المصرية من فلسطينيين وأردنيين وسوريين ولبنانيين ويمنيين حتى أن اجتماعاتي الانتخابية لم تكن تخلو في يوم من الأيام من حضورهم وهنأقاتهم ، مما خلق جوا عربيا احتفاليا في الدائرة السادسة .

### موقفه مضاد

وقد أصبح من الواضح لي بعد أيام من النشاط الجماهيري في الدائرة أن هناك قوى في الدولة تقف ضد انتخابي ، اتضح هذا من مضاميات البوليس لي ورفض

التصريح بعقد الاجتماعات أو اشتراط عدم استعمال  
الميكروفونات ، حتى عندما بدأ زملائي في جريدة المساء في  
التبرع المالى لمساعدتي انصل أحد المسئولين بشاكة محبي  
الدين رئيس التحرير طالبا التوقف عن ذلك .

وعندما نظمت اجتماعا جماهيريا واسعا في ميدان  
الروابي قرب يوم الانتخابات أخذ بعض رجال الحكومة وزملاء  
من «خيتو» الذين كانوا يناصرون عبدالعزيز مصطفى  
يتصلون بالناس هاتفيا أو بالمقابلة يثنونهم عن حضور المؤتمر  
بحجة أن بعض الأشرار سوف يلقون «ماء ناره» على وجوه من  
يحضرون ، ومع ذلك فقد حضر الكثيرون وكان يجلس معي  
على المنصة أحمد بهاء الدين ، ولويس عوض ود. عبدالمجيد  
أبو حجلة (من قيادات الأردن آنذاك) وآخرون لا أذكرهم ،  
وأمثلا السرايق بالآف من أهل الدائرة والزارعين ، وابتدأ  
الاجتماع بكلمة جامعة منى ومن الآخرين - فلما أدرك  
البوليس أن مساعديهم باتت بالقشيل هجموا بالقوة على  
السرايق وأمعنوا في ضرب الناس لإخراجهم من السرايق ،

بل لقد حاولوا الوصول إلى بهدف الاعتداء أيضا لولا أن عبدا  
من الزملاء أحاطوا بى وأخرجونى سالما من باب خلفى ، ولا  
أنسى فى هذا الصدد النور الكبير الذى لعبته الفنانة العظيمة  
محسنة توفيق التى كانت آنذاك طالبة فى الثانوية العامة  
شديدة الحماس الانتخابى .

وقد تبين يوم الانتخاب أثنى حصلت - رغم كل ماحدث -  
على أعلى أصوات ضمن تسعة كانوا مرشحين فى تلك  
الدائرة ، منهم الممثل سراج منير . لقد حصلت على أكثر من  
خمسة آلاف صوت ويلبى بعد ذلك عبدالعزيز مصطفى الذى  
حصل على ألفى صوت .

وحيث أن عدد الأصوات فى الدائرة كان حوالى ١٢ ألف  
صوت ، فقد كان لابد من الإعادة بينى وبين عبدالعزيز  
مصطفى .

ولما كانت وزارة الداخلية تعلم أن غالبية أهل الدائرة  
يؤيدونى ، فقد لجأت إلى استبدال صناديق الانتخاب  
بصناديق أخرى أدخلت إلى قسم اللوايل فى المساء باعتبارها  
أنها الصناديق الحقيقية .

وكننت قد اتفقت مع بعض أنصارى على مراقبة القسم ليلا خوفا من حدوث هذا وكانت النتيجة أن قبض عليهم وضربوا ضربا مبرحا ومتهم رشدى خليل رحمه الله .

وأعتقد أن أكبر خطأ وقعت فيه أُنْتِي لم أُنعم على الصناديق كما يفعل بعض المرشحين ، خصوصا أن بعض أنصارى طردوا من اللجان الفرعية خلال الانتخابات .

ومن المصادفات الغريبة أُنْتِي بعد هذه الأحداث بسنوات عدة وكننت معتقلا آنذاك بسجن الواحات ، قابلت بالصدفة رجلا كان مشتركا فى عملية تبديل الصناديق وحكى لى تفاصيل القصة وقال لى : إنه كان أسفا على ذلك ولكنها كانت تعليقات لا بد من تنفيذها .

لقد كنت ناهيا من سجن الواحات إلى مستشفى بأسبوط للعلاج ، وحضرت سيارة بها ضابط ومخير وسائق طبيعا ، وكان الضابط يجلس إلى جانب السائق بينما جلست أنا والمخير فى السيارة البوكس فى الخلف وفى الطريق بدأت الدريشة العادية مع المخير إلى أن سألنى إن كنت أذكره .

قلت : لا أبدا ، فضحك وقال : إنه كان فى قسم الوايلى عام ١٩٥٧ وحكى لى قصة الصناديق التى استبدلت فى الدائرة السادسة لإسقاطى وإنجاح عبدالعزیز مصطفى .

أتذكر أنه فى اليوم الذى هجم فيه البوليس على الاجتماع الجماهيرى قبل الانتخابات بآيام قليلة ذهبت بعد الحادث إلى جريدة الجمهورية وشاهدت كامل الشناوى - (وكان صديقا حميما لى بواحد من أنصاري) وحكى له ما حدث . وبينما نحن نتحدث فى الموضوع دخل إلى الغرفة أنور السادات (وكان آنذاك رئيس مجلس إدارة الجمهورية) وطلب منى كامل الشناوى أن أعيد القصة أمام أنور السادات ففعلت ، فقال أنور السادات بعد برهة : أكتب تقريرا بما حدث وسأرسله إلى الرئيس جمال عبدالناصر وأعطانى كامل الشناوى بعض الأوراق فأخذت فى كتابة القصة كاملة وأنا فى حالة انفعال كامل . .

ولا أنرى حتى اليوم إن كان ما كتبتة قد وصل عبدالناصر حقا ! وكل ما أعرفه ما حكاه خالد محيى الدين لى بعد ذلك



عند لقائه بعبد الناصر من أنه عائبه على الأقوال السائرة  
أنذاك بتزوير انتخابات الدائرة السادسة ، لكن خالد محيي  
الدين تعسك بصحة هذه الأقوال وقدم لعبد الناصر أمثلة على  
هذا التزوير . فمثلا في إحدى الشياخات الفرعية كان هناك  
من أقاربى حوالى ١٢ شخصا ذهبوا جميعا لانتخابى فى  
الاعادة بينما النتائج فى هذه الشياخة تقول أنى حصلت على  
٤ أصوات فقط ! .

المهم أن هذه الانتخابات وما حدث فيها قد خلقت جوا من  
الريبة بينى وبين عبد الناصر ، حتى أنه أخذ يستمع لبعض  
القيادات البعثية ، وخصوصا ميشيل علفى الذى لم يكن  
يعينى وكنت أبادله نفس المشاعر .

وحدث أن كتبت مقالا فى صحيفة المساء استخدمت فيه  
تعبير (الحركة الوطنية العربية) فإذا بعيشيل علفى بقتع  
عبد الناصر أننى معاد للقومية العربية ، واتصل عبد الناصر  
بخالد محيي الدين مهددا باعتقالى ، وقد دافع خالد عنى

بقاعا مجيدا ، وكنت بالمصادفة في غرفته عندما حدث اتصال  
عبد الناصر به ، وفي النهاية أمر أن أتوقف عن الكتابة .  
وأتفق خاله معي على أن أستمّر في الكتابة دون توقيع ،  
فكنت أكتب المقال بتوقيع «مراقب» ، ومن يعود إلى صحيفة  
المساء عام ١٩٥٨ سوف يرى العديد من المقالات بهذا  
التوقيع .

واستمر الحال على هذا المنوال حتى حملة أول يناير  
سنة ١٩٥٩ الشهيرة التي تم فيها اعتقال مئات من  
المصريين وكنت منهم ، وعندما فتشوا منزلي لم يجدوا فيه  
غير بيان كنا نجمع عليه التوقيعات يطالب الرئيس عبد الناصر  
بالديمقراطية السياسية .

## موقف من المرحلة الناصرية

قال صديقي وزميلى فى جامعة عين شمس فى يوم من أيام عام ١٩٨٤ ، وكان يداوم على قراءة مقالاتى فى صحيفة «الأهالى» بشكل منتظم :

«إنك تحيرنى بدفاعك المجيد عن المرحلة الناصرية وعن عبدالناصر فى مقالاتك بصحيفة الأهالى على أننى أعرف من ملازمى لك طوال هذه السنين منذ عينا نحن الاثنين معيدين بالجامعة حتى اليوم أنك لم تلقى عننا فى حياتك مثل ما لقبته خلال المرحلة الناصرية فثنت فصلت من جامعة القاهرة عام ١٩٥٤ بقرار من مجلس قيادة الثورة وأنت اعتقلت ضمن مئات آخرين من الشيوعيين اليساريين فى أول يناير ١٩٥٩ حتى أبريل ١٩٦٤ .

ولاقيت مع زملائك خلال الاعتقال ما لقيتموه من عنف وتعذيب مسجل فى كتابك «رسائل الحب والحزن والثورة» ولقدمت أنت وستون من رفاقك للمحاكمة أمام مجلس عسكري بالاسكندرية فى نوفمبر ١٩٥٩ ، ومع أن هذا المجلس العسكري أصدر حكما بإعدامك أنت وصديقك محمود أمين

العالم إلا إنكما بقيتما في معتقل اللوحات الخارجة إلى أن  
افرج عن الجميع في أبريل ١٩٦٤ ومع ذلك فلم أقرأ دفاعا  
مجيذا عن عبدالناصر ومرحلته كما قرأت في مقالاتك  
بصحيفة الأهالي فهل نسمع في تفسير هذه الفترة ؟ .  
قلت :

ليس في الأمر ضرورة ولا يحزنون فمعياري في الحكم على  
المرحلة الناصرية لم يقدّم أساسا بما حدث لي شخصيا ،  
ولنما بما حدث للشعب مصر خلال تلك الفترة ، وأي شخص  
قادر على الحكم الموضوعي لابد أنه سيذكر أنه في حساب  
المكاسب والخسائر ، الإيجابيات والسلبيات فإن المرحلة  
الناصرية قد حققت للشعب المصري الكثير من المكاسب  
المهمة التي كنا نطالب ببعضها قبل الثورة .. الإصلاح  
الزراعي ، القطار العام ، وبناء الصناعة الوطنية على نطاق  
واسع لأول مرة ، إنهاء الاحتلال البريطاني ، تأمين قناة  
السويس ، التوسع في مجانية التعليم في مراحل المختلفة ،  
تحسين صحة الشعب ومستوى معيشته مقارنة بما قبل

الثورة، بناء السد العالي ، وقوف مصر النولة إلى جانب  
تضال الشعوب العربية في نضالها ضد السيطرة الأجنبية  
ودعم ثوراتها ، بل ودعم ثورات أفريقية .. إلخ وربما إذا اردت  
تعداد كل الأعمال العظيمة التي صنعها عبد الناصر خلال  
حكمه أن أكتب مقالا كاملا عن هذا الموضوع .

شي واحد وأساسي كان محل خلافي مع المرحلة  
الناصرية وقادتها .. هو غياب الديمقراطية السياسية  
الحقيقية .. فقد كنت ومازلت أعتقد أن تلك هي نقطة  
الضعف الأساسية في المرحلة الناصرية ، وهي التي غطت  
على السلبيات الأخرى التي وقعت آنذاك وكان هناك حرص  
على التستر عليها وهذه المسألة هي في رأيي المسئولة عن  
التستر على الفساد داخل الجيش آنذاك ، وهو الفساد في  
القيادات الذي اتضح أنهاده عند وقوع كارثة سنة  
١٩٦٧ ، وهي أيضا المسئولة عن هشاشة التنظيمات  
الشعبية التي بناها عبدالناصر وامتلات مع الأسف بالعناصر

الانتهازية التي تلعب دورا مهما في الردة التي صاحبت نظامي السادات ومبارك .

ولقد أخذت هذه القضية في نظري بعدا حيويا إثر إبرام الوحدة المصرية السورية في فبراير سنة ١٩٥٨ وعندما تم القبض على في أول يناير سنة ١٩٥٩ كان من ضمن المضبوطات بيان كنا أعدناه عن قضية الديمقراطية السياسية وأهميتها كدعاية أساسية للوحدة ، وكان من الموقعين على هذا البيان أنور عبدالمك وسعد التانه ومحمود العالم وكاتب هذه السطور وآخرون لا أذكر اليوم اسماءهم .. والغريب أنه خلال تحقيق النيابة معي وخلال المحاكمة أمام المجلس العسكري كان هناك حرص من الجانبين على تجنب السؤال عن هذا البيان ، بينما كنت أنا حريصا على الإشارة إليه في كل مناسبة .

هذا اذن الموقف على حقيقته ، أما دفاعي عن عبدالناصر وحكمه فسقد وقع في زمن الردة الشاملة ، زمن نظامي

السادات ومبارك ، عندما سحبت بالتدريج كل المكاسب  
العديدة التي حققها شعب مصر خلال حكم عبدالناصر ،  
وعندما التحق كثيرون ممن كانوا في التنظيم الطليعي بركاب  
الردة وخيانة مصالح هذا الشعب من أجل الوجاهة والمال  
والسلطان .

أكتب هذه الكلمة لأقول : إن عهد عبدالناصر لم يخل من  
سلبات معظمها هو ثمرة غياب ديمقراطية سياسية حقيقية ،  
ديمقراطية قائمة على تعبئة الجماهير في عملية ابداء الرأي  
واتخاذ القرار (وهذا بالمناسبة هو المطلب القاتل الذي دمر  
الانظمة الاشتراكية في روسيا وشرق أوروبا) . بل لقد وقعت  
جرائم في عهد عبدالناصر مثل إعدام خميس والبقرى في كفر  
الدوار بعد محاكمة غير عادلة .

لكن الحكم العام على المرحلة الناصرية هو في رأيي  
إيجابي لأن حق للشعب العديد من المكاسب واكسب مصر  
احترام العالم . ومن المهم ابراز هذا الجانب الايجابي في زمن



الردة زمن سلب الشعب كل فكاسيه في المرحلة الناصرية  
زمن الخضوع للأجنبي وبيع القطاع العام ، زمن «السلام»  
الزائف مع الصهاينة ، ولأنه سلام إذعان ، فلا يمكن أن يكتب  
له النوام !

**باقية ورد لاحسان عبدالقدوس**

---

## الاستنارة والشجاعة

أحسست وأنا فعمشى فى جنازة الأديب الراحل احسان عبدالقنوس أننى أجز ورائى ذكريات ٥٠ عاما من الصبا والشباب والكهولة ، ذكريات جميلة حقا لكنها بدت وكثفتها تختصر أحداث تلك الحقبة الطويلة من تاريخ مصر .

كنت واحسان فى مدرسة ثانوية واحدة هى مدرسة فؤاد الاول الثانوية (الحسينية الآن) بالعباسية ، وكنت فى السنة الأولى بينما هو فى السنة الخامسة . وكنا نضرب عن الدرامسة ونتظاهر فى شارع العباسية احتجاجا على تصريحات وزير خارجية بريطانيا «صمويل هور» .

كان احسان فى مقدمة المظاهرة ، بينما كنت أنا فى الثانية عشرة من عمرى فى المؤخرة ، وانتهت المظاهرة بالتصادم مع البوليس ونجا احسان ، بينما وقعت أنا فى ايديهم وقضيت فى حجز قسم شرطة الوايلي يوما واحدا حتى أفرج عنى .

لم يكن احسان يعرفنى شخصيا ، لكنى فوجئت بعد ثورة يوليو بعدة شهود بذكرنى ، وهو يستقبلنى فى مكتبه برؤس اليوسف ب تلك الواقعة التى كان قد انقضى عليها ١٧ عاما .

ولقد تميز احسان بخصلتين مازلت أذكرهما له ، وأحسبهما من أجمل شمالكه على الرغم من الخلافات السياسية والأدبية التى فصلت بيننا ، وإن لم تؤثر على صداقتنا ... هاتان الخصلتان هما سعة أفقه وشجاعته .

بعد ثورة يوليو بأسابيع عدت من البعثة فى بريطانيا ، وعينت مدرسا بكلية العلوم بجامعة القاهرة ، وبدأت أكتب اسبوعيا بصفحة الألب بصحيفة المصرى .

وأذكر أننى كتبت مقالا طويلا تعرضت فيه بالنقد الحاد لقصاص احسان وإذا ببعض الاصدقاء من العاملين معه يتصلون بى ، ويقولون إنه يريد أن يراى .

وبالفعل ذهبت إلى لقائه فى مكتبه ، فإذا به يعرض على أن أكون من كتاب رؤس اليوسف

وبدأت بالكتابة فيها كل اسبوع ، ثم قمت بمصير باب  
«أدب» بعد انتقال فتحي غانم لأخبار اليوم .

وظل هذا هو الوضع حتى نهايات عام ١٩٥٤ - عندما  
صدر قرار مجلس قيادة الثورة بفصلنى من الجامعة ضمن  
آخرين ، وذلك بسبب موقف اليسار من الثورة وخلافها معها  
حول قضية الديمقراطية .

وعندما عرضت على وظيفة مدرس بجامعة لندن قبلتها  
مضطرا لأنتى عشت فى القاهرة شهورا بلا عمل ، ومن لندن  
ظلت أرسل بعض المقالات الثقافية لاحسان فيقوم بنشرها  
رغم علمه أننى من المفضوب عليهم .

ثم تجلت شجاعته حقا فى مقال نشره عنى فى  
روز اليوسف عام ١٩٥٥ بعنوان «الرجل الذى سرقه الانجليز»  
قال فيه أشياء طيبة كثيرة عنى لا أستطيع ذكرها هنا . ثم  
دعا فى ختام المقال إلى إعادتي لمصر ، وإلى جامعة القاهرة .  
بعد أيام من نشر المقال ، كان احسان فى طريقه إلى  
بافونج فى صحبة الزعيم جمال عبدالناصر فسأله عن المقال

وعنى ، وقام احسان بشرح وجهة نظره فى اسهاب - لكن  
عبدالناصر ختم الحديث بقوله: «إن الشيوعيين يضحكون  
عليك ويستخدمونك يا احسان» !

تذكرت هذه القصة وأنا أسير يوم الجمعة الماضى حزينا  
فى جنازته. ضمن ذكريات عديدة جمعتنى بالصديق الراحل -  
فاذا بالدموع تنساب ولا أستطيع كتمانها .

## شهادة للتاريخ

التقيت بها بالصدفة على مائدة العشاء عند بعض الأصدقاء في الأسبوع الماضي ، ولم تكن تعرف عنى غير أننى أستاذ بالجامعة ، ولم أكن أعرف عنها غير أنها انجليزية مهتمة بقضايا التعليم وانها ليست بعيدة عن نشاط المجلس البريطاني الثقافى فى القاهرة .

ولأن مكانى على المائدة جاء مجاورا لمكانها . ولأن أبى الحوار يقتضى نوعا من الحديث والحوار فقد سألتها ان كانت مقيمة بمصر منذ مدة طويلة ؟ .. قالت : أربع سنوات . قلت : وهل تروق لك الحياة بمصر ؟ قالت : نعم باستثناء المناعب المعروفة ، المواصلات ، الضوضاء ، الجارى .. إلخ لكنى أحب هذا الشعب الكريم المضياف والصبور أيضا ..

ومضى الحديث على هذا النحو التقليدى حتى فاجأتنى بسؤال أطار النعاس من عيونى والملل من نفسى ،

قالت . قل لى بالله كيف تسمح انظمتكم التعليمية بدخول الحاصلين على الثانوية البريطانية «المستوى العادى» الجامعات المصرية مع أن هذه الشهادة فى بلادنا لا



نؤصل الحاصل عليها إلا للخروج من المدرسة الثانوية إلى  
 العمل ، وإن الطالب في بريطانيا عليه أن يعطى عامين في  
 الدراسة قبل أن تقبله الجامعة وكيف ثقل جامعاتكم طلبه لم  
 يدرسوا لغتكم القومية ، اللغة العربية ، في السنتين  
 الثانية والثالثة الثانوية ، إن الوضع الذي أراه هنا هو أن  
 أعدادا هائلة متزايدة كل عام من الطلبة المصريين بعد  
 نجاحهم في امتحان السنة الأولى الثانوية في مدارسهم  
 المصرية يتقدمون لامتحان ، المجلس البريطاني في الشهادة  
 الثانوية البريطانية ، وهي لا تتضمن بالطبع امتحانا في  
 اللغة العربية ، ويحصلون عليها خلال عام ويعدوا يدخلون  
 جامعاتكم ، فكانهم بذلك قد وفروا عاما كاملا من دراستهم  
 ووفروا مشقة دراسة اللغة العربية سنتين كاملتين ، وجامعاتكم  
 تقبلهم على ذلك ! هل يمكن أن تفسر لي هذا اللغز ؟ وكيف  
 يتسق كل هذا مع مبدأ تكافؤ الفرص الذي يتحدثون عنه  
 كثيرا ؟

قلت : هذا سؤال جدير بأن توجهه إلى وزير التعليم في مصر ، وأمين المجلس الأعلى للجامعات ، ورؤساء الجامعات المصرية ، الذين قبلوا على أنفسهم هذا الوضع المهيئ لشهادة الثانوية المصرية ، والذين رضوا عن طيب خاطر بسياسة افتقر من حقوق القواعد الديمقراطية لتدخل الجامعة مجاملة لبعض الفئات الفادرة في مصر وصاحبة الصوت العالي ، ولقد فات عليك أن تذكرى أن طالب الثانوية البريطانية المصري قد وفر على نفسه أيضا مشقة دراسة الرياضيات في المناهج المصرية لمدة عامين ، لأنك ، كما لا شك تعرفين ، أن مناهج الرياضيات في الثانوية البريطانية أدنى كثيرا من مناهج مصر ..

قالت : نعم أعلم ذلك ، وهذا أمر طبيعي لأن شهادتنا هذه لا تؤهل أحدا لدخول الجامعة ، ولو حاول أحد طلابكم ، من الحاصلين على الثانوية البريطانية ، التقدم إلى جامعة بريطانية لرفض طلبه طبعاً ، وبالنسبة لم أفهم ، أيضا ، كيف قبلت السيدة جيهان السادات أصلا كطالبة في قسم

اللغة العربية ، في كلية الآداب ، مع انها لم تؤد امتحانها في  
مناهج اللغة العربية للمرحلة الثانوية ؟ ألم تتقدم إلى جامعة  
القاهرة بشهادة الثانوية البريطانية ؟

قلت - وأنا ازداد خجلا - هذا سؤال جدير أن يوجه  
لرئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب ولعميد كلية الآداب  
ورئيس جامعة القاهرة آنذاك ؟

وسألتها عن عدد الطلاب المصريين المتقدمين هذا العام  
للتأشوية البريطانية ، فقالت على الفور : لدى المجلس  
البريطاني موعدان للجلوس إلى هذا الامتحان .. يناير ويونيه  
، والعدد المتقدم من الطلاب المصريين في كل موعد يزيد على  
الآلاف ! ، فكم يكون العدد بعد عدة سنوات ؟

\* \* \*

ولأن العشاء انتهى بسرعة فقد حمدت الله على انصرافنا  
دون أن أضطر إلى اجابة السيدة الانجليزية على هذه  
الاسئلة المخرجة. لكنى فكرت وأنا عائد إلى منزلي أن  
هذه قضية جديرة أن تفتح على صفحات الصحف مرات

ومرات ، وأنه ، رغم أنه قد سبق لى أن أثرت الموضوع على صفحات «الاهالي» منذ عدة شهور ، فإنه من الضرورة القاء أضواء جديدة على الظروف التى ظهرت فيها هذه «الموضه» الجديدة التى يقل عليها بأعداد متزايدة أبناء القابزين والاثرياء لدخول الجامعة من الباب الخلفى !

إننى اعتقد أن هذا الباب الخلفى قد فتح على مصراعيه فى عام ١٩٧٤ عندما كان ابن رئيس الجمهورية السابق طالبا فى الثانوية العامة . كنت آنذاك ومُبتقى الصلة بوزارة التربية والتعليم ، فقد كنت رئيسا للجنة القومية لتعليم الرياضيات فى التعليم العام. وكنت مستشارا للوزارة ومتمرفا على تدريب المدرسين فى الرياضيات المعاصرة ، وكنت أنور المدارس الثانوية التى طبقت المناهج الجديدة ، وأناقش نخلار المدارس فى توزيع جدول الرياضيات على المدرسين وفي اختيار المدرسين أنفسهم للتدريس فى الفصول المختلفة ، واحضر كثيرا من الحصص بنفسى . ومن بين هذه المدارس التى كنت أزورها آنذاك مدرسة

بورسعيد بالزمالك ، حيث كان جمال السادات ، وكان معروفا  
بالحرسه أنه يستحيل عليه أن ينجح في امتحان الثانوية  
العامة المصرية (القسم العلمي) ، فما بالك بالحصول على  
مجموع يدخله كلية مثل كلية الهندسة !

في هذا الوقت ، بدأت صحف الحكومة فجأة تتحدث عن  
سعيه مناهج الثانوية العامة ، وإلى هنا فإن الامر  
طبيعى إلى حد ما . لكن الاغرب من ذلك أن الموضوع دخل  
مجلس الوزراء .، نعم أخذ مجلس الوزراء يناقش صعوبة  
مناهج الثانوية العامة ، وكان د . عبدالقادر حاتم يرأس  
المجلس ، وقرر تشكيل لجنة وزارية لبحث الموضوع ! إن  
الشكوى من مناهج التعليم العام أمر طبيعى والآراء بين  
الفرعيين متفارقت حول هذا الموضوع ، لكن الطبيعى أن  
ينور الجدل حول هذا في أروقة الوزارة المختصة .، وزارة  
التعليم . أما أن يجد مجلس الوزراء الوقت لمناقشة مناهج  
الثانوية العامة بالذات وفي عام ١٩٧٤ بالذات عندما كان  
جمال السادات طالبا بالثانوية العامة . فلابد أنه كان  
مصادفة سعيدة !

وقد شكلت اللجنة الوزارية لبحث هذا الموضوع من  
 المرحوم د. حسن الشريف وزير التأميمات ، ود. محمود  
 عبدالحافظ وزير الاسكان ، والدكتور كامل لجلة وزير التعليم  
 السابق ، والرحوم الاستاذ علي عبدالرازق وزير التربية  
 والتعليم . واستدعيت أنا لحضور اجتماعات اللجنة مع  
 أساتذة آخرين من الجامعات ومن رجال الوزارة في مكتب  
 وزير التأميمات . يشهد على هذه الواقعة كثيرون من رجال  
 الجامعات الأحياء منهم : د. صبحي عبدالحكيم رئيس مجلس  
 الشورى الحالى والذي كان يمثل مادة الجغرافيا ، والدكتور  
 محمد أنيس والذي كان يمثل مادة التاريخ ، والدكتور  
 محمد الناصي الذي كان يمثل مادة الطبعة . ولقد قلت  
 للصديق المرحوم د. حسن الشريف ساخرا في التليفون : « ان  
 العلاقة بين التأميمات ومناصب الثانوية العامة لابد وثيقة ، والا  
 ما عقبتم الاجتماع في وزارة التأميمات » :

ولقد كان واضحا أن الاستاذ علي عبدالرازق لم يكن  
 راضيا عن هذا العمل ، ولذلك لم يحضر الاجتماع وحضر

الدكتور كامل ليلة الاجتماع قرب نهايته ، ودارت المناقشة  
أساساً بين المستشارين وبين وزيرى القاصينات والاسكان .  
وكان واضحاً منذ أول الاجتماع ، ان مادة الرياضيات هي  
المستهدفة بالاختصار الشديد ، ولذا دارت مناقشات حادة  
بينى وبين وزير الاسكان طالبت لأكثر من ساعة ، وصممت  
على موقفى برفض طلب وزير الاسكان بالغاء كتاب التفاضل  
والتكامل من مناهج الثانوية العامة ، ولقيت دكتور محمود  
عبدالحافظ إلى المرحوم دكتور حسن الشربف وقال  
بالانجليزية بصوت مسموع ، لا فائدة .. لا يوجد طريق  
للتفاهة .

وأرسل لى أستاذ جامعى تحت متصدة الاجتماع ، ورقة  
سلمها لى دكتور صبحى عبدالحكيم - الذى كان يجلس  
بجوارى ، يقول فيها ، كفى .. انك لن تقنع هؤلاء الناس  
بشيء أبداً .

وانفض الاجتماع وأنا على موقفى ورجال الوزارة من  
أساتذة الرياضيات متضامون معى في هذا الموقف مقتنعون  
بالاسباب التى ابدتها فى رفض طلبات وزير الاسكان .

كان هذا فيما أذكر في يناير سنة ١٩٧٤ ، وبعدها  
نسيت الموضوع . وانشغلت بأعمال كثيرة منها وضع  
امتحان الثانوية العامة لدور يونيو سنة ١٩٧٤ في  
الرياضيات ، ومنها الاعداد لسفرى إلى بريطانيا لمدة  
سنة أشهر - من مايو إلى أكتوبر - كاستاذ زائر في  
احدى جامعات بريطانيا .. حتى كان يوم جمعة خلال  
شهر مارس سنة ١٩٧٤ خرجت فيه مع أسرتى لقضاء النهار  
في «برج التوقية» وتناول الغداء هناك .

وعندما عدنا بعد الظهر أخبرنا الجيران أن سيارة  
رئاسة الجمهورية جاءت تسأل عني مرتين ، وإن رجلا  
بالسيارة ترك لدى الجيران ورقة لتسليمها لى . وعندما  
فتحت الورقة وجدت أنها من مكتب الرئيس ومكتوب عليها  
بالحبر «رجاء الاتصال بأرقام التليفونات .....» ثم توقيع  
غير واضح . وأدركت قرع من التليفون بأحد هذه الأرقام وقلت :  
«أنا قلان ..... ماذا تريبون منى ؟» وعرفت أن الذى يود  
على التليفون هو رجل قال عن نفسه انه العقيد رؤوف ،



وإنه يريد أن يعرف متى يرسلون سيارة من الرئاسة  
لحضوري إلى منزل الرئيس لأن جمال لديه أسئلة في  
الرياضيات يريد أن يسألني فيها ؟

وامتلأت نفسي بالغضب وقلت لحدثني وأنا أحاول أن  
أضبط أعصابي ، إنك لاشك لا تعلم أن استاذ الجامعة يحال  
إلى مجلس تأديب إذا أعطى دروسا خاصة .

قال في برود : « لا أعرف » .

وقلت : « أنا واثق من ذلك » ، واثق أيضا أنك لا تعرف  
أننى وازع امتحان الثانوية العامة ! .

قال في برود أيضا : « لا » ، لا أعرف ، وأعطينه اسم أحد  
المدرسين الأوائل بالمدارس الثانوية ليتصلوا به حتى  
يجيب عن أسئلة جمال السادات في الرياضيات ، ووضعت  
السماعة .

لكنى بقيت في ثورة غضب طوال الليل ، وحاولت المرحومة  
نرجس أن تهدئ من غضبي ، وفي الصباح ذهبت إلى وزير

التعليم .. المرحوم الاستاذ على عبدالرازق لاخبره بما حدث  
ولاعرف منه إن كان على علم بهذه المهزلة أم لا .

لقد كنت ومازلت أكن لهذا الرجل محبة ، لسابق معرفتي  
به ، ولم أكن أتصور أن يكون له صدا بهذا الموضوع ، ولقد  
أنسى الرجل على موقفى ، لكنى وجيتة يحاول أن يقنعنى  
بالذهاب مرة واحدة إلى منزل السادات لتقييم « الولد » كما قال  
: فأمة مفزعة بسبب حالته وفى تخشى عليه من الرسوب فى  
الامتحان ولا تعرف ماذا تصنع !

وقسمت من الوزير أنها كثيرة الاتصال به فى هذا  
الموضوع ، وأنه يشعر بحرج شديد .  
قلت له :

«لماذا لا ترسل لهم أحد مفضلى الوزارة أو مدرسيها  
الأوائل لتقييم الولد ، ان كانت المسألة مجرد تقييم ، إنتى  
أريد أن أعرف من الذى أعطاهم اسمى بالذات .  
قال الوزير :

«ان اسمك موجود على الكتب ، والكل يعرف انك تزود

المدارس كثيراً لمقاومة مشروع الرياضيات المعاصرة الذي بدأ مع اليونسكو .

وصممت على رفض طلب الوزير وقد حاول أن يستخدم معي حججاً أخرى ، فقد قال :

« إن السادات خارج من حرب أكتوبر ، وليس لديه وقت للإشراف على الولد » .

ومضت ، وقالت :

« هل تريد أن تقنعني أن السادات لو لم يكن خارجاً من حرب أكتوبر لمساعد ابنه في الرياضيات ؟ انني بصراحة لا أتوقع من وزير التعليم أن يطلب مني هذا الطالب » .

وانصرف من مكتب الوزير حزينا وتملكني الشعور بأن ما حدث بالأمس ليس إلا المحاولة الثانية ، بعد فشل المحاولة الأولى في اختصار المناهج بشدة على يد اللجنة الوزارية ، وكان أشد ما أحزنتني هو الشعور بأن مصر تدار كعزبة .. وعلى الخولى والتملى والانقار أن يكونوا في خدمات السيد صاحب العزبة ، وإن الحديث عن سيادة القانون هو عبث في عبث .

ولم يمض على هذه الواقعة أكثر من شهر حتى حدث  
 تحميل وذاري ! وخريج المرحوم على عبدالرازق من وزارة  
 التربية والتعليم ، وعين دكتور مصطفى كمال حلمي مكانه في  
 أبريل سنة ١٩٧٤ ، وذهبت إليه مهنتا كصديق قديم - لكنني  
 حكيت له القصة بأكملها وسألته إن كان يعرفها فقال إن  
 هذه أول مرة يسمع بها ، قلت على الفور :  
 «على أي حال لقد رويت تلك القصة حتى لا يحاولون  
 محك».

كان هذا في أبريل سنة ١٩٧٤ ولم يبق على امتحان  
 الثانوية العامة المصرية غير شهرين ، وقد مررت بعد ذلك أن  
 شخصاً ما تقدم لهم بالحل العبقري .. وهو اخراج ابن  
 السادات من امتحان الثانوية العامة المصري ، وإخاله  
 امتحان الثانوية الانجليزية في يونيو ، حيث لا يوجد امتحان  
 في اللغة العربية ، وحيث امتحان الرياضيات هو امتحان في  
 الضرب والقسمة !

أما من هو الشخص لم أعرف .. وهذا ذلك الحين اكتشف  
ابناء القادرين وتلاميذ المدارس الخاصة ما اكتشفه ابن  
السادات عام ١٩٧٤ ، وهو ان هناك بابا خلفيا لدخول  
الجامعات المصرية حتى ولو كنت لا تعرف أى شئ عن لغتك  
القومية ، كما لا تعرف شيئا فى الرياضيات ، وهذا الباب  
الخلفى يدعى «الثانوية الانجليزية» .

فممتى يتحرك وزير التعليم لتصحيح هذه الأوضاع  
المشينة..



## **الباب الثاني**

---

### **شخصيات في حياتي**

## ذكريات مع طه حسين

رغم أنني لم أكن من تلاميذ طه حسين وحوارييه ، رغم أن عدد مرات لقائي معه لم تزد على أصابع اليد الواحدة ، إلا أنني أحسست منذ شهور برغبة عارمة في أن أكتب عنه في هذه الذكرى الأخيرة ، فطه حسين واحد من القلائد من جيل كبار كتاب ومفكرى عصر المحدثين الذين اختلفت معهم فكريا وإن كنت أحببتهم ، وظل هذا الحب والاعزاز كامنا في القلب والضلوع على طوال السنين .

ولقد نشأت وترعرعت في ظل عائلة بسيطة ذات ميول وفدية ، وتغشجت براعم ذهني في الثلاثينات على اسم طه حسين كأسطورة شبه مقدسة ، لا لأنه صاحب دعوة «التعليم كاللواء والهواء» فحسب ، ولا لأنه صاحب «الأيام» التي هزت وجدان صباي فحسب ، ولا لأنه كان كاتباً وفدياً كبيراً فحسب ، وإنما لأنه فوق كل شيء «مثقف مصري صادق الوعد لا يفصل بين تفكيره ومواقفه العملية ، مستعد للتضحية من أجل عقيدته الديمقراطية ودفاعه عن الشعب .



فقد كان طه حسين العدو اللدود لـ دكتاتور مصر في  
الثلاثينات اسماعيل صدقي ، فصله من منصبه كعميد لكلية  
الآداب فلم يتراجع العميد عن موقفه .

كان طه حسين مفكرا مناضلا عندما تراجع أنصرون من  
المثقفين وأثروا السلامة !

ولعل من الأسباب التي دعّنى إلى الكتابة عنه هذا العام  
أننى قرأت منذ شهر كتاب زوجته السيدة سوزان طه حسين  
عنه بعنوان «صحك» ولقد هزنى الكتاب بشدة ، هزنى عاطفيا  
لجمال المشاعر الإنسانية التي عبرت فيه السيدة الفاضلة -  
وبأسلوب شاعري أدق - عن عواطفها تجاه زوجها المفكر  
الكبير . لكن الكتاب أفرغنى في نفس الوقت !

فمن يقرأه قد يخرج بانطباع أن طه حسين كان مفكرا  
فرنسيا وليس مصريا من صميم ريف مصر وطينة فقرائها .  
ولست أستطيع أن ألومها كثيرا في ذلك لأنها تكتب عما رآته  
من طه حسين في داخل منزلها ورحلاتها الصيفية في  
ربوع أدوليا ، ولقاءاته مع المفكرين الغربيين . كما أنها

بطبيعة كونها فرنسية الأصل كانت معزولة عن كثير مما  
يجرى خارج المنزل من طه حسين وله .

أن الذين كتبوا عن طه حسين في السنين الأخيرة لم  
يبرزوا جانباً أساسياً في شخصيته ، أعني ولاه لشعب مصر  
، وعندما أذكر هنا شعب مصر فإنما أعني جماهير فقرائها  
الذين يمثلون الغالبية الساحقة لهذا الشعب . ولقد برز هذا  
الولاء على النطاق الوطني في كتبه وعلى الأخص كتاب  
«المعذبون في الأرض» كما برز في سياسته التعليمية عندما  
كان مستشاراً لوزارة التربية والتعليم أولاً ثم عندما كان  
وزيراً للتعليم بعد ذلك . ومن أجل هذا الولاء خاض طه حسين  
معارك كثيرة - فكرية وشخصية - وتحمل كثيراً . وكان  
القصر آنذاك في طليعة الناقمين عليه بسبب مواقفه  
الديمقراطية في التعليم وبسبب كتاب «المعذبون في الأرض» ،  
حتى أن فاروق تردد كثيراً في تعيينه وزيراً للتعليم عندما  
عادت وزارة الوفد في يناير سنة ١٩٥٠ إلى الحكم أثر  
انتخابات عامة جبرت فيها الجماهير عن إرادتها الحازمة  
بشكل ساحق .

وكل هذا معروف بطبيعة الحال وموثق تاريخيا ، لكن ما لا يعرفه الكثيرون أن طه حسين كان على المستوى الشخصي راعيا ومشجعا لكثير من شباب مصر المغمورين ، دافعا لهم لمزيد من التعليم ، سعيدا بهم سعادة الأب بأبنائه حتى عندما كانوا يختلفون معه !

ولقد شامت الظروف أن أكون واحدا من هؤلاء ، لم اقصد هذا قصدا ولم يقصده ، ولم يكن يخطر في بالي وأنا شاب صغير مغمور أنني سألتقى يوما من الأيام وجها لوجه مع هذا « الجبار » كما كانوا يسمونه في محيطنا ! ثم كان أول لقاء لنا منذ واحد وثلاثين عاما ، وبالتحديد في يناير سنة ١٩٥٠ .

كان طه حسين وزيرا جديدا للتعليم ، وكنت سعيدا بكثبة العلوم بجامعة الاسكندرية جرى توقيفي لعدة شهور مع غبرى من المعيدين بجامعة القاهرة والاسكندرية ايان وزارتي النقرأشى وإبراهيم عبد الهادى ، وخلال عام سنة ١٩٤٩ كانت معتقلات مصر فى الهاكسبتيب وأبو قير والطور ممثلة

بألوف الشباب من طليعة الوفد والأخوان المسلمين  
والقادمين، وعندما جاءت وزارة الوفد أول عام ١٩٥٠ أطلقت  
سراح الجميع .

وعدت إلى جامعة الاسكندرية لاستلام عملي ، لكنني  
فوجئت وغيرى بتلك الجامعة في قبول عودتنا لعملنا ، وبدأت  
الشناعات نقول أن مدير الجامعة - وكان معروفا آنذاك  
بصلته بالقصر - يريد أن ينقلنا إلى التعليم العام ، وأن عميد  
الكلية متواطئ معه في هذا الأمر ، وإن اليأس على قلبي  
واستبد بي الظلام ، ماذا أفعل ؟

ركبت أول قطار إلى القاهرة قاصدا مكتب وزير التعليم  
وظليت مقابلته لشرح الأمر له ، وكانت الوزارة تعج بمنايات  
القادمين للسنه وقضاء الجاجات ، ولم تكن اطمع في هذه  
الظروف - وأنا بلا واسطة - في أكثر من تحديد موعد لي  
بعد اسبوع على أقل تقدير ، لكن ما بهرني أن طه حسين  
طلبنى للقاءه بعد نصف ساعة من وجودي في مكتبه ،  
واستمع إلى طويلا ولم ينبس ببنت شفة طوال حديثي ، ثم

لشمار إلى سكرتيره أن يأخذنى إلى مكتبه وأن يطلب له مدير  
جامعة الاسكندرية على الهاتف ، ولست أدرى بطبيعة الحال  
ما جرى بينه وبين مدير الجامعة ، لكنه طلبنى مرة أخرى بعد  
انتهاء الحديث ولم يزد على أن قال : «عد إلى الاسكندرية  
واستلم عملك فى الجامعة» ، وقد كان ..

حاولت أن أشكر طه حسين بكلمات متلعثمة وأنا انسحب  
من غرفته ، وعندما ذهبت إلى الاسكندرية كانت الشائعات قد  
سبقتنى إليها ، عن هذا اللقاء وعن حديث طه حسين مع مدير  
الجامعة ، حتى قال أحد اساتذة الجامعة أنه عرف أن حديث  
الوزير لمدير الجامعة كان حادا وأنه قال له «الحق أحق أن  
يتبع يا صادق بك» !

بعد تسعة أشهر من هذا اللقاء سافرت فى بعثة دراسية  
إلى بريطانيا للحصول على الدكتوراة فى الرياضيات ، وعدت  
فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ بعد حصولى عليها من جامعة لندن ،  
وبعد أن قامت ثورة يوليو فى نفس ذلك الصيف . ولم أكد  
أصل إلى القاهرة حتى سمعت كلية العلوم بجامعة

القاهرة إلى نقلى إليها من الاسكندرية لصاقتها إلى  
تخصصى . وتم هذا فى نوفمبر عام ١٩٥٢ ، وهكذا بدأت  
حياتى العلمية والصحفية فى القاهرة ..

فى ظل الشهور الأولى لثورة يوليو كانت الحرية الصحفية  
واسعة نسبيا ، وكنت قد بدأت - مع التدريس فى جامعة  
القاهرة - اكتب مقالات فى قضايا الأدب والفكر فى جريدة  
«المصرى» التى كانت تخصص صفحتها الأخيرة كل يوم أحد  
لقضايا الأدب والفن والفكر .

ولم أكن أعلم أن طه حسين كان يقرأ هذه المقالات وأنه  
كان يضيق ببعضها حتى كان لقائنا الثانى بمنزله  
بالزمالك عام ١٩٥٣ .

قبل هذا اللقاء بشهور كنت قد انتقلت من الكتابة فى  
صحيفة «المصرى» إلى الكتابة فى مجلة «روز اليوسف» بعد  
مقال طويل كتبت عن قصص إحسان عبد القدوس ، ومع أن  
هذا المقال لم يكن مركزيا لأدب إحسان ، إلا أن سعة أفقه فى  
العمل الصحفي جعلت يطلب التعرف إلى ، ثم طلب منى أن  
أكون أحد كتاب روز اليوسف ، وهكذا كان ..

وعندما انتقل فتحي غانم من «روز اليوسف» إلى «الخبار  
اليوم» سألني إحسان أن أكتب اسبوعيا باب «ادب» الذي كان  
فتحي غانم يتولى تحريره قبل انتقاله ، وبدأت أكتب الباب  
اسبوعيا ، وكان من بين ما كتبته أنذاك مقال تضمن  
هجوًا على كتاب جديد صدر لتوفيق الحكيم لاتجاه  
الفكرى السلبي . ولست أذكر الآن اسم الكتاب ولكن أذكر  
أنني قلت في هذا المقال : «إن توفيق الحكيم يجلس على قمة  
المستوى السافل ، وأنه ينحدر» ، وأذكر أن هذا المقال أثار  
ضجة لدى الكثيرين من محبي أدب توفيق الحكيم ، وأن  
أحدهم رد على مقالتي بمقال في «روز اليوسف» ولعل كاتبه  
كان الصديق العزيز بدر الدين أبو غازی وزير الثقافة  
الأسبق.

لقد أسهبت في وصف ظروف كتاباتي آنذاك لأن هذا كله  
وثيق الصلة بلقائني الثاني بطله حسين ، وبما دار في هذا  
اللقاء من نقاش . أما أسباب هذا اللقاء نفسه فكانت أيضا

غريبة وذات دلالة في مواقف طه حسين رغم أن الموضوع كان في أساسه شخصيا وليس عاما .

لقد أسهبت في وصف ظروف كتابائي آنذاك لأن هذا كله وثيق الصلة بلقائى الثانى بطه حسين ، وبما دار فى هذا اللقاء من نقاش . أما اسباب هذا اللقاء نفسه فكانت أيضا غريبة وذات دلالة في مواقف طه حسين رغم أن الموضوع كان في أساسه شخصيا وليس عاما .

لقد جاسنى زميل لى فى الجامعة ، كان ولا يزال من أبرز اساتذة الرياضيات فى مصر . فى أحد أيام عام ١٩٥٢ وسألنى إن كنت أعرف طه حسين . وقلت له إنتهى لم أر طه حسين غير مرة واحدة فى حياتى وأغلب الظن أنه قد نسينى ، وشرحت له ظروف هذا اللقاء . ولما سألتته عن سبب السؤال عرفت أنه كان قد تقدم إلى جائزة «أمين لطفى» فى الرياضيات وأن طه حسين عضو فى اللجنة التى ستقرر الفائز لها ، وأن لديه معلومات مؤكدة أن بعض أعضاء اللجنة من رجال وزارة التعليم يبيتون النية على منحها لشخص آخر



وثيق الصلة بالسلطة ذكر لي اسمه وأنا اعلم عن ثقة بطبيعة  
نخصني أن هذا الآخر لا يستحقها .

وامتعتت باحسان عبد القدوس لكي يطلب لي موعدا مع  
طه حسين ، وتم تحديد الموعد في اليوم التالي الساعة الحادية  
عشر صباحا .

كان محمود النقاس - مدير الأوبرا آنذاك - حاضرا في  
هذا اللقاء . وشرحت لطله حسين قلق زميلي معا يبيت له من  
بعض رجال التربية والتعليم ، وقناعتي الشخصية بامتياز هذا  
الزميل في البحوث الرياضية قلت له «إبنى اترك لك الموضوع  
بأكمله واثقا من أنك سوف تتصف صاحب الحق» .

انصت طه حسين لكل ما قلته ، وأنا اشعر بالارتباك  
والهيبة في حضروته ، ثم قال : «قل لصديقك هذا أنه لن يظلم  
ما دمت في هذه اللجئة» ، وهذا ما تم بعد لك فقد منحت  
الجائزة له في نهاية الأمر .

غير أن طه حسين انتهز فرصة هذا اللقاء لمشاغبتي حول  
ما اكشبه في قضايا الفكر والادب ، وبدأ سائلا لي : «ما

علاقتك بالادب وانت استاذ في العلوم، وشرحت له أنني  
نشأت في عائلة كثير من رجالها يحبون الادب ويقولون  
تدريس اللغة العربية بالمدارس ويهون الشعر بالذات ، وأنتى  
لم اشد عن هذا التقليد إلى درجة أنتى ترددت فترة عند  
التحاقى بالجامعة بين الالتحاق بكلية الآداب أو بقسم  
الرياضيات بكلية العلوم ، وأنتى كنت فى شبابه المبكر شاعرا  
فاشلا ! .

ثم تجرأت وسألته رأيه فيما اكتب ! قال : «ينبغى أن تزيد  
من قراءاتك ولا تكن ضيقا فى نظرك ، انكم تسياسيون  
وتظنون أنى على يمينكم . هل كتب احدكم شيئا كالمهذوبين  
فى الأرض ! » .

ولقد خرجت من هذا اللقاء الثانى متيقنا أنه ما زال يذكر  
لقاءه الاول منذ ثلاثة أعوام ، وأنه تصرف معنى تصرف الأب  
الرحيم عندما يزجر واحدا من ابناءه ويرده إلى ما يعتقد أنه  
الصواب ، وأنه كان سعيدا لأن يرى أحد ابناءه ناجحا فى  
السلك الجامعى ، مهتما بقضايا الفكر والآدب .

ولم يدرك بخلدي أنذاك في اللقاء الثالث سوف يتم بعد ذلك بشهور قليلة ، وبالتحديد في مارس سنة ١٩٥٤ ، في نادي القصة وفي حضور نجيب محفوظ ويوسف غراب ووداد سكناكيني وآخرين لا أنكرهم الآن ، ولأنه سوف يكون لقاء عاصفا ! لكن لذلك قصة أبدأ الآن في شرحها من بدايتها ..

كانت جريدة ، الجمهورية ، - لسان حال الثورة - قد صدرت عام ١٩٥٢ ، وكان طه حسين في أبرز كتابها ، له مقال اسبوعي يتابعه المثقفون بشغف في قضايا الأدب والفكر . وفي فبراير من ذلك العام كتب طه حسين مقالا بعنوان «صورة الأدب ومادته» قدم فيه النظرة النقدية للمدرسة التقليدية في الأدب ، وتقوم هذه النظرة على أن اللغة هي صورة الأدب وأن المعاني هي مادته وإن كان قد أضاف إلى هذين العنصرين عنصراً ثالثاً سماه «عنصر الجمال» لم يوضح نظريته إليه .

وتمنى طه حسين في ختام مقاله عن الأدباء الشباب أن يوضحوا رأيهم ونظرتهم النقدية في الأدب . وأحسست عند

قراحتي لمقال طه حسين كأنه يوجه لي تحديا شخصيا ،  
وتذكرت ما قاله له بمنزله بالزمالك في لقائنا الثاني .

واتفقنا - محمود العالم وأنا - على أن نرد على طه  
حسين ردا مهذبا ومطولا في جريدة «المصري» نشرح فيه  
وجهة نظرنا ، وأوجه خلافتنا مع نظركه ونظرة جيله من الكتاب  
، ولخصنا في ختام هذا المقال وجهة نظرنا على النحو  
التالي:

أولا : إن مضمون الأديب (أو مادته) ليس المعاني وإنما هو  
في الجوهر الأحداث التي تجري في العمل الأدبي ، وأن هذا  
الأحداث تعكس مواقف ووقائع اجتماعية الدلالة .

ثانيا : أن صورة العمل الأدبي (أو صياغته) ليست هي  
الأسلوب وإن كان الأسلوب عنصرا من عناصر الصورة .  
فالصورة عملية تشكيل هذا المضمون وجوانب الأضمار  
والظلال فيه . إنها عملية إبراز عناصر هذا المضمون  
وتتمة مقوماته .

ثالثاً : أن تحديد الدلالة الاجتماعية للعمل الأدبي لا يتعارض مع تأكيد قيمة الصورة أو الشكل الأدبي ، بل على العكس قد يساعد على الكشف عن كثير من أسرار هذا الشكل .

رابعاً : أن النقد الأدبي - على هذه الأسس - ليس دراسة لحملية الصياغة في صورتها الجامدة فحسب ، وإنما هو استيعاب لكافة مقومات العمل الأدبي ما يتفاعل فيه من أحداث وعلاقات ، وبهذا يصبح الكشف عن المضمون الاجتماعي ومتابعة عملية الصياغة مهمة واحدة متكاملة للنقاد الأدبي .

ويطبيعة الحال ضربنا أمثلة من الأدب الأوروبي والمصري لتوضيح وجهة نظرنا . وانتظروا رد فعل طه حسين لمقالنا ، وجاء رده على صفحات الجمهورية في مقال بعنوان « يوناني فلا يقرأ » قال فيه : إنه لم يفهم شيئاً مما تعنيه ، وأن ما كتبناه لا يخرج أن يكون كلاماً يونانياً كما يقول الأوروبيون ! ثم سألنا عن رأيكم في أنب الطبيعة وما هي دلالاته الاجتماعية يا ترى ؟ !

حتى هذا الحد كان الحوار مقبولا وكنتا على استعداد لأن نكتب بشكل أكثر تفصيلاً نوضح فيه ما نعتيه ، وإن كان قد ساورنا الشك أن طه حسين كان يفهم ما نعتيه وأنه أراد أن يدعي غير ذلك !

غير أن الأمور في هذا الحوار تطورت بشكل غير متوقع ، بدخول عباس العقاد ساحة النقاش بمقال مطول في « أخبار اليوم » عنوانه : « إلى ادعاء التجديد .. اقرأوا ما تنتقونته ! » ومع أننا لم نتعرض في مقالنا بأنه موجه ضده شخصياً ، وهكذا كان رده ، واستفزازياً وساخراً وعنيفاً ومليئاً بالغمز واللمز حول ميولنا السياسية .

وفي حواس الشيباب وعنفوانه لم نملك إلا أن نكتب رداً أشد عنفاً واستفزازاً كان عنوانه « عبقرية العقاد » ، ومع أن المقال كان في معظمه مناقشة في قضايا الأدب إلا أنه اعتلأ بالغمز واللمز عن قصائد العقاد في مدح الملك فاروق ومقالاته في جريدة « الأساس » ضد الشيخ حسن البنا ودرر الانجليز في كتابه « هتلر في الميزان » .

وفي هذا الجو المحموم ، وبعد صدور مقال «عبقريّة  
العقارة» بيومين ذهبت إلى نادي القصة ولم أكن أدري أنني  
في طريقى إلى لقاء عاصف مع طه حسين !

احسست منذ أول وهلة وأنا اسلم عليه بأنه غاضب ، ولم  
أكد أجلس على أحد مقاعد القرفة حتى بارئى قائلاً أنا  
زعلان منك .. كيف تسمح لقلبك أنت وصديقك أن يشتد في  
الهجوم على الاستاذ العقاد إلى هذا الحد؟ .

قالت السيدة وداد سكاكيتي وكانت من حضوري هذه  
الجلسة : «الباري اظم يا باشا» وقال تجيب محفوظ جملة أو  
جملتين في محاولة لتهدئة غضب طه حسين .

وبهت برهة ثم بدأت أشرح وجهة نظري في الموضوع كله ،  
لكنه لم يفتتح ولم يكن في الحقيقة منهتاً لما أقول ،  
وأشار إلى بعض الحاضرين أن اهتت لأنه لا مجال  
للمناقشة في مثل هذا الجو .

وخرجت من نادي القصة حزينا مهسوما لأننى لم أكن  
أحب أن أراه غاضباً إلى هذا الحد ، ثم خطر لى بعد ذلك أن

أكثر ما ضايقه هو غمرنا للنفاد في : عييدته التي مدح بها  
فاروق ، فقد كان لطف حسين خطاب معروف في افتتاح جامعة  
الاسكندرية - وفي حضور فاروق - امتلا بمدح الملك ومدح  
اسرته ، ولعل هذا التفسير قد اراهنى نفسيا إلى حد كبير ،  
ولم أياس في أن تحسفو نفسي بعد هبوء العاصفة .

واحسب أنني لقيت طه حسين بعد ذلك بسنوات مرة أو  
مرتين في مناسبات خاطفة لم تتبادل فيها كلاما كثيرا ، لكن  
ما ادهشني بعد ذلك أن أعلم أنه كان يشابع ما اكتب متابعة  
الاب لاحد ابنائه ، وكان يسأل عنى كلما جمعت لجنة الترجمة  
في المجلس الاعلى للفنون والاداب أو جلسات المجمع اللغوي  
بواحد من اشقائي .

ومضت سنوات طويلة لازم فيها طه حسين بيتي بسبب  
مرضه ، وخطر لي أكثر من مرة أن أذهب لزيارته ، لكنني  
تراجعت بعد ذلك لأنني لم أكن متيقنا أن العلاقة بيننا تسمح  
لي بهذه الزيارة .

ثم جاء ، النذير بالنبا التحيس .. نبأ وفاته في اكتوبر عام  
١٩٧٢ ، واحسست بنم ثقيل ، وتعلكني كناية دامت أياما ،



وعندما مشيت في جنازته التي خرجت من جامعة القاهرة لم  
أكن أحس أن مصر فقدت رجلا من كبار رجالها ومفكرها  
فحسب ، وأنا كنت أحس اننى فقدت انسانا عزيزا على  
نفسى قريبا من قلبى . على الرغم من اننى لم اقبله غير  
مرات معدودة لا تزيد على أصابع اليد الواحدة ، وعلى الرغم  
من خلافتنا فى الفكر .

### الطريق المسدود

منذ أيام كتب الاستاذ توفيق الحكيم بصف رويات  
الاستاذ احسان عبدالقوس قائلا : انها القصة ذات المفتاح .  
وهو يعنى بذلك ان الرواية كثيرا ما تنطوى على مبدأ معين ،  
فكرة معينة .. وحينما ندرك من احداث الرواية هذه الفكرة  
تكون قد فتحت الباب إلى فهم القصة فهما صحيحا .

واحسان مخرم بالقصص ذات المفتاح . ولكنه فوق ذلك  
مفرد بوضع مفتاح كل قصة من قصصه على صورة شعار  
معين ، فمثلا فى رواية « الطريق المسدود » يقيم لنا احسان  
منذ البداية وقبل أن نعرف احداث الرواية الشعار التالى :

«إن الخطيئة لا تولد معنا ولكن المجتمع يدفعنا إليها» .

وهذا هو (فى تقديمه) مفتاح قصته .

فلنتخذ إذن من مناقشة هذه المسألة نقطة بدء ..

أولا : يعتبر تقديم «مفتاح القصة» فى البداية خطأ فنيا

واضحاً ، فالمفروض أن الروائي يقودنا ، نحن قراءه ، فى

طريق أوله مجهول وبوسطه غموض وآخره وضوح عند القارئ

اللبيب .

## ثروت عكاشة وأنا

---

أسعدنى تماما ما فعلته البكتورة سعاد الصباح -  
أفتى أحمل لها كل تقدير منذ لقائنا فى ندوة للأمم المتحدة  
منذ سنوات طويلة - من تكريم للدكتور ثروت عكاشة وزير  
الثقافة الأسبق - ففضل هذا الرجل على الثقافة فى مصر  
طوال سنوات وزارته لا يمكن إنكاره إلا لجاحد . وأنا  
شخصيا أحببت هذا الرجل طوال حياتي وطوال الأيام  
التي عرفته فيها ، وقد عملت تحت رئاسته عاما كاملا (من  
نوفمبر سنة ١٩٦٧ حتى نوفمبر سنة ١٩٦٨) كنت فيها معارا  
من الجامعة كرئيس مجلس إدارة شركة الكاتب العربى  
للقباعة والنشر ، فكان كريما غاية الكرم فى تعامله معى  
حتى عندما كنا نختلف فى رأى ، وكان من عادته أن  
يعقد اجتماعا أسبوعيا فى مكتبه يحضره كل رؤساء  
المؤسسات والشركات التى تتبع وزارة الثقافة ، من جهابذة  
المثقفين المصريين : نجيب محفوظ ، عبدالرازق حسن ، محمود  
(ممن العالم ، سهر القلماوى ، سعد وهبة ، سعد كامل ، على  
الراعى .. الخ .

ولقد عرفت ثروة عكاشة قبل الثورة . إذ كنا من شباب  
حي العباسية ، ومع أنها كانت معروفة عابرة . إلا أنها تجددت  
بعد الثورة . عندما كان هو الملحق العسكري لمصر في  
باريس ، وكان سكرتيره الخاص آنذاك أحمد طرياي - أحد  
شباب الطليعة الوفدية - الذي توثقت علاقتي به عندما كنا  
سويا في معتقل الطور عام ١٩٤٩ .

وعند عودتي من بريطانيا إلى القاهرة في صيف ١٩٥٤ ،  
مررت بباريس وقابلني أحمد طرياي وبجر لي لقاء ثروت  
عكاشة في مكتبه الذي ساكني عن الأحوال في مصر فتحدثت  
معه بصراحة . والغريب أنني عندما قابلته في باريس في  
أواخر سبتمبر سنة ١٩٥٤ لم أكن على علم أن قرارا من  
مجلس قيادة الثورة بفصل ٤٢ أساذا من الجامعة كان قد  
صدر وانتي واحد من المفصولين . ولم أعلم بهذه القرار إلا  
عند وصولي إلى الاسكندرية .

ولقد انقطعت صلاتي بثروت عكاشة حتى وقعت كارثة يونيو  
سنة ١٩٦٧ ، فقام بدعوة عدد من المثقفين إلى اجتماع في

مكتبه ، وكنت واحدا منهم وأذكر من الحاضرين يوسف إدريس وعبدالرحمن الشرقاوى ومحمود العالم وعلى الراعى وآخرين ، وكنا جميعا فى غاية الثورة على حجم الهزيمة وعلى الخديعة التى مررنا بها جميعا عن أحوال الجيش المصرى . وكان ثروت عكاشة صبوراً مع صراحتنا التى تحدثنا بها ، وقد خرجنا من هذا الاجتماع باتفاق على عقد اجتماعات أخرى ، لكن هذا لم يحدث .

حتى جاء شهر نوفمبر عام ١٩٦٧ ، وكنت أ حاضر كالعادة يوم الخميس فى كلية العلوم بجامعة عين شمس عندما فتح الباب وإذا بأحد سعاة الكلية يقول لى إن مكتب وزير الثقافة على التليفون ، واستأنت من دخوله هكذا ، وقلت له أن يبلغهم بأننى سوف اتصل بهم عندما تنتهى محاضرتى .

وبالفعل أبلغنى د. ثروت عكاشة عندما اتصلت به ضرورة حضورى قورا إلى مكتبه لأمر مهم ، وعندما قابلته أبلغنى بأنه قابل الرئيس عبدالناصر فى اليوم السابق وعرض عليه ترشيحات وزارة الثقافة وأن عبدالناصر اقترح اسمى رئيساً

لمجلس إدارة الكاتب العربي للطباعة والنشر بدلا من الأستاذ محمود العالم الذي عين رئيسا لمؤسسة المسرح .

وحاولت أن أعتذر قائلا إنني أفضل عملي بالجامعة على أي عمل آخر ، فقال لي : « إنك لا تستطيع أن تعتذر ، فهذا توجيه من الرئيس » . قلت ، إذن : ليكن هذا التعيين بمثابة إعاره من الجامعة لمدة عام أجري فيها عملي الجديد ، وبعدها يكون لكل حادث حديث » ووافق على ذلك وقد تبين بعد ذلك أنه كان قد حصل على موافقة وزير التعليم العالي دون أن تعلم الكلية أو الجامعة شيئا عن هذه الإعاره .

وقد حاولت انقاذ هذه الشركة من ظروفها المالية السيئة وأعدنا تنظيم العسل في مطابخها ، واستعنت بعلافتي القديمة بوزير الخزافة - الدكتور نزيه ضيف - للحصول على فرض الشركة يساعدنا على دوام نشاطها في النشر ، وتعاقدت مع وزارة التربية والتعليم في ليبيا لطبع كتب مدرسية بحوالي ربع مليون جنيه استرليني فضلا عن نشاط الشركة في نشر

الكتب والموسوعات ، وبعد انتهاء العام تمكنت بإنهاء إعارتي  
وعوّنتي إلى الجامعة مرة أخرى .

\* \* \*

إن السبب الذي دعاني إلى كتابة هذا المقال الذي أعبر فيه  
عن سعادتي بفكرهم ثروت عكاشة ، هو أنني أحسست منذ  
صنوع كتابه «مذكرات ثروت عكاشة» وما كتبتّه من مقالين  
آنذاك عن هذه المذكرات في صحيفة «الأهالي» بكه - أي  
ثروت عكاشة - غاضب مما كتبتّه ، وقد أتصل آنذاك  
بالأستاذ خالد محيي الدين في ثورة عارمة وهدد برفع دعوى  
ضد جريدة الأهالي وضدي ، وحاول خالد محيي الدين كما  
حاول الأستاذ حسين الشافعي إقناعه بأن ما كتبتّه لا يصح  
أي طعن فيه ، لكنه كان تحت فكرة متسلطة عليه قوامها أن  
ما يعني إلى كتابة ما كتبت هو الصديق محمود العالم -  
وثيق الصلة بشعراوي جمعة وزير الداخلية الأسبق - الذي  
يحاول الاساءة إلى اسم ثروت عكاشة .



ونظرا لأهمية الموضوع ولأن الموضوع قد أحاطه سوء الظن من أوله إلى آخره ، ولأننا - ثروت عكاشة وأنا - نقترّب من أيام عمرنا الأخيرة ، رأيت أن أكتب للتاريخ هذه الكلمة أشرح كيف وقع سوء الظن هذا الذي لم يكن لمحمود العالم أي بخل فيه .

عندما نشر ثروت عكاشة مذكراته كان من الطبيعي أن يتطلع إلى تعليق من جريدة الأهالي عليها واتصل بخالد محيي الدين - وهو صديق عمره في سلاح الفرسان - يسأل عن ذلك الذي اتصل بنوره بالأهالي فقال له رئيس التحرير إنه اتفق معي على الكتابة عن هذه المذكرات . ثم قابلني خالد محيي الدين في عزاء أحد الأصدقاء وقال لي إن ثروت عكاشة يسأله عن هذا الموضوع فاستمهلته حتى انتهى من محاضراتي في الجامعة ، ثم أكتب التعليق .

وبالفعل كتبت مقالين عن هذه المذكرات أشدّت فيهما بجهوده في ميدان الثقافة ، لكن لفت نظري فيها أمران : أولهما اختلاط بعض التواريخ على الدكتور عكاشة . وهذا

أمر طبيعى يحدث لنا جميعا ، فحاولت تصحيح بعض هذه التواريخ ، أما الأمر الثانى الذى لفت انتباهى - وكنت خالى الذهن تماما عنه - فهو الإشارة فى هذه المذكرات إلى محاولة جر اسم الدكتور عكاشة إلى قضية صلاح نصر والمخابرات وتحقيقاتها التى جرت بعد كارثة يونيو سنة ١٩٦٧ . وقد ورد فى هذه المذكرات أن السادات - بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية - طلب من شعراوى جمعة - وكان لا يزال وزيرا للداخلية - طلبا يخص الدكتور عكاشة ، اعذر عنه وزير الداخلية .

كان من الطبيعى أن يلفت نظرى هذا الكلام فى المذكرات التى لم يكن بها أى تفصيل فى هذا الموضوع . لكن الذى أثار انتباهى أكثر اننى قرأت حديثا لشعراوى جمعة فى مجلة روز اليوسف - فى الوقت نفسه الذى كنت أكتب فيه مقالاتى - بنفى فيه بعض ما جاء فى مذكرات ثروت عكاشة .

وبالطبع أدهشنى هذا وقومت به فى جملة عبارة فى مقالى الأول، وكنت حتى تلك اللحظة خالى الذهن تماما من حقيقة

التوتر الذي كان قائما بين ثروت عكاشة وشعراوي جمعة .  
ومن قضايا تحقيقات المخابرات بعد عام ١٩٦٧ ، ويهمني أن  
أوضح أنني لم التق بشعراوي جمعة - وهو وزير للداخلية -  
أبدا ، وإنني كنت التقى به أحيانا لقاء عابرا في شوارع مصر  
الجديدة فيعلق على مقالاتي في صحيفة الاهالي مسنونا .  
وذلك في مرحلة الثمانينيات .

### لم أدخل التنظيم الطليعي ١

بمعنى آخر لم تتوافر في علاقة بشعراوي جمعة ولا بأي  
قطب ناصري عندما كانوا في السلطة . كما أنني لم أدخل  
في التنظيم الطليعي . ولذلك فإن ما تصوره الدكتور عكاشة  
من أن إشارتي المقتضية إلى بعض ما لفت نظري في هذه  
المذكرات هو من تحريض محمود أمين العالم بإيعاز من  
شعراوي جمعة ورئيسه في التنظيم الطليعي هو محض خيال  
يعلم الله أن محمود العالم بريء منه تماما ، وإنني لم أكن  
على علم بخلفيات هذه الأمور عندما أعدت مقالتي للنشر في  
«الاهالي» . لكن الأمور تطورت بعد ذلك ، فبعد اتصال بي

شعراوى جمعة تليفونيا بعد ظهور مقالاتى فى الاهالى  
ورجائى أن أمر عليه فى منزله بشارع نزيه خليفة أمام حديقة  
الميرلاند فى مصر الجديدة .

وقد مررت عليه الساعة الثانية ظهرا - وكنا فى شهر  
رمضان فيما أذكر - وشرح لى شعراوى جمعة وجهة نظره  
فيما قيل من توتر بينه وبين د. ثروت عكاشة .

وخرجت من منزله وقد اكتشفت مدى جهلى بأشياء عديدة  
تتعلق بالسلطة فى مصر أيام المرحلة الناصرية وما بعدها .  
ولقد كتبت ما كتبت فى مقالات الاهالى دون أن أعلم أى شئ  
عن هذه القضايا . وإنما نوهت بما لاحظته من تباينات بين  
كلام وزيرين سابقين كانا يعملان فى نظام سياسى واحد ،  
كما نوهت بما بدا لى غامضا فى المذكرات .

وقد انتهى هذا الموضوع كله عندما قام الاستاذان حسين  
الشافعى وخالد محيى الدين بإقناع الدكتور عكاشة بأن  
المقالين اللذين نشرتهما الاهالى ليس بهما ما يسىء إليه ،  
واننى من باب أولى لم أقصد الاساءة إليه من غريب أو بعيد .

ولعله اقتنع بحسن نيتي عندما كتبت ما كتبت وإن كنت أشك  
في ذلك .

وبهمني اليوم - بمناسبة الاحتفال بنكريم د.عكاشة - أن  
أقول إنني حملت له طوال حياتي كل التقدير في هذا العمل  
الفد الذي قام به كوزير للثقافة ، وإنني أرجو له موفور الصحة  
والمزيد من النشاط الفكري الكبير الذي يخلد اسمه ضمن  
كبار مثقفي مصر والعالم العربي ، كما بهمني أن أشكر  
الدكتورة سعاد الصباح على هذه اللفتة الكريمة التي كان من  
المفروض أن تبدأ في مصر..

ذكريات مع إحسان عبد القدوس

---

رأيت إحسان لأول مرة في المدرسة ، مدرسة فؤاد الاول  
 الثانوية ، كان هو في السنة الخامسة أو الرابعة - لا أنكر  
 بالضبط - وكنت بالسنة الأولى ، وكانت هذه السنة - ١٩٣٥ -  
 - هي سنة المظاهرات ضد الانجليز وكان حزب الوفد في  
 مقدمة الحوضين على هذه المظاهرات . لكن مشكلة مدرستنا  
 أن كان على رأسها ناظر انضم بالحزب والشدة (إسماعيل  
 القباني) فلم يركز يتركز في فصل أي تلميذ يراه يهتف  
 بالشعارات السياسية في قناء المدرسة . وكان من الطبيعي  
 أن يكون «الهيئة» من تلاميذ السنة الرابعة والخامسة .

ولا زاد عدد المفصولين من تلاميذ الصفين الرابع  
 والخامس ، تفتق ذهن الباقيين منهم ، عن حيلة حتى لا  
 يستطيع الناظر أن يرى المسنول عن بدء الهتافات .

وتتلخص الحيلة في أن يبدأ واحد من تلاميذ السنة الأولى  
 من القصار بالهتاف على أن يحيط به تلاميذ الصفين  
 الأخيرين من جميع الجوانب ويفتصر دورهم على تزييد  
 الهتاف وراه فلا يستطيع أحد معرفة من الذي بدأ الهتاف

فى المدرسة ، وتطوعت أنا وغيرى من تلاميذ السنة الأولى  
لأداء هذه المهمة ، وخرجنا إلى الشارع وعندئذ اصطدم  
اليونيس بنا وأطلق ينادق الرش علينا فقمنا برميهِ بالفلوب  
وكانت معركة انتهت بالقبض علىّ فى المساء من منزلى بينما  
نجا إحسان مع أنه كان فى مقدمة المظاهرة .

ودخلت السجن لأول مرة فى حياتى وقضيت أربعاً  
وعشرين ساعة ما بين حجز قسم الوائلى وتخشيبة محافظة  
القاهرة ، ولم يفرج عنى إلا بسبب صغر سنّى إذ كنت فى  
الثامنة عشرة من العمر ، وعندما عدت فى اليوم التالى إلى  
المدرسة استقبلت استقبالا حماسيا من التلاميذ .

ولابد أن إحسان كان قد تابع هذه الأحداث وتيقن من  
شكلى المميز تماما ، ولاننى عندما قابلت اصمانا بعد الثورة  
فى مكتبه بربوز اليوسف بعد سبعة عشر عاما من هذه  
المظاهرات وجدته يذكرنى بها ويحدث القبط علىّ لمدة يوم  
كامل .



كان إحسان - تلميذا حرموقا في المدرسة ، فاته السيدة روزة يوسف الصحفية المشهورة ووالده الأستاذ محمد عبد القدوس الممثل المعروف ، بينما لم يكن أحد يعرفنا ، ومع أن إحسان لم يكن آنذاك يعرفني شخصيا إلا أنني كنت أعرف عن طريق أقاربي من عائلة أمي القاطنين في حي المعباسية الكثير عنه ، فقد كنت أعرف أنه يقيم مع عمته في شارع رضوان شكري (حيث كان يقيم نجيب محفوظ) سنين طويلة ، وأنه ظل يقيم مع عمته السيدة نعمات رضوان إلى أن أنهى دراسته الثانوية والتحق بكلية الحقوق فانتقل إلى منزل والدته .

وظللت أتابع من بعيد إحسانا في عمله الصحفي ومقالاته النارية عن قضية الأسلحة الفاسدة لئلا نلتقي إلى أن عدت من البعثة بعد حصولي على الدكتوراه من جامعة لندن في سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، وتم تعييني مدرسا بقسم الرياضة البحتة بكلية العلوم جامعة القاهرة ، وبدأت اكتب مقالاتي في الأدب في صفحة يوم الأحد بصحيفة المصري ، وأذكر أنني

كتبت مقالا عن «الأنب الواقعي» تعرضت فيه بشكل جانبي لقصص إحسان ورأى السلبى فيها . وإذا بأحد الأصدقاء من العاملين مع إحسان فى روزاليوسف يتصل بى تليفونيا ويبلغنى بأنه يريد أن يرانى ، فلما ذهبت إليه فى مكتبه فوجئت به يعرض على الكتابة بانتظام فى روزاليوسف . وهكذا بدأت صلاتى من جديد بإحسان وبالمجلة ، وظلت أكتب فيها حتى نهايات عام ١٩٥٤ وأذكر أننى قمت بتحرير باب «آدب» فى المجلة بعد انتقال فتحى غانم إلى أخبار اليوم .

موقف لن أنساه :

لكن حدث فى نهايات عام ١٩٥٤ أن أصدر مجلس قيادة الثورة قرارا بفصل ٤٢ من أساتذة الجامعات الذين عارضوا النظام بسبب قضية الديمقراطية . وكنت واحدا من المفصولين ووجدت نفسى بلا عمل فجاء وأنا صاحب أسرة ، ولم يمض وقت طويل حتى عرضت على وظيفة مدرس بإحدى كليات جامعة لندن فقبلتها على الفور وسافرت إلى بريطانيا .. ومن هناك أخذت أرسل مقالات فى قضايا ثقافية فيقوم إحسان

بفشرهما فى المجلة مع أنه يعلم أنني من المفضوب عليهم من  
جانِبِ السلطة .. وفى أحد الأيام وصلني منه خطاب يقول فيه  
إنه حزين لأنني أعمل فى خدمة جامعة بريطانية بينما تحتاج  
مصر إلى من هم مثلى ، ورددت عليه قائلا أنني سأكون  
أسعد إنسان إذا استطاع أن يدير لى شئ عمل فى مصر ..  
ويعد وصول خطابي كَتَبَ إحسان مقالا طويلا فى روز  
اليوسف عنوانه (الرجل الذى سرق الانجليز) قال فيه على  
كلاما طيبا قد لا استحقه ودعا الحكومة إلى إعانتى إلى  
جامعة القاهرة .

وبعد نشر المقال بأبام كان إحسان فى طريقه إلى باندونج  
فى صحبة جمال عبدالناصر ، الذى سألَه عن المقال وعنى  
فشرح إحسان وجهة نظره بالكامل . لكن عبدالناصر ختم  
حديثه قائلا : إن الشيوعيين يضحكون عليك يستخفونك يا  
إحسان ! وبقيت فى بريطانيا حتى أعلن عبدالناصر تأميم  
القناة فى يوليو سنة ١٩٥٦ فقدمت استقالتى على الفور من  
الجامعة وقررت العودة إلى مصر ، وكان إحسان واحدا من

أسعد الناس لعودتي وثبتت صلتنا من جديد خصوصاً أنني بدأت أعمل في صحيفة «المساء» بالقاهرة كمحرر للشئون العربية وأصبحت متفرغاً للعمل الصحفي .

ولعل هذه الوقائع التي سرديتها توضح كيف كان إحسان مستتيراً واسع الأفق وشجاعاً في الوقت نفسه في الدفاع عن رجل لا يشاركه قناعته السياسية . وثمة مثال آخر بوضع كيف كان واسع الأفق حتى عندما يتعلق الأمر بإنتاجه الأبني: فذكر مرة أنني دعيت للاشتراك في ندوة بالإذاعة بالبرنامج الثاني في عام ١٩٥٧ لمناقشة قصته (الطريق المسلول) وكان زميلاي في الندوة هما إحسان وكامل الشناوي . وكنت قد أعددت ملاحظاتي النقدية لكي استفيد منها في الندوة لكنني أحسست بأن كامل الشناوي قد استهلك وقت الندوة كله فلم يدع لي فرصة لتوضيح وجهة نظري وهكذا كتبت مقالاً عن القصة ونشرته في صفحة الأدب بصحيفة المساء وكان هذا المقال هو الوحيد الذي نشرته في النقد الأدبي إبان عملي في المساء وكان مقالاً قاسياً شديداً

الوطأة على أدب إحسان كنه ، وماجت السيدة روز اليوسف وماجت عند نشر المقال ، وشتمت كل المحررين اليساريين الذين كانوا يعملون في روز اليوسف آنذاك مع أنهم لا نيب لهم فيما نشرته أنا من أراء ، لكن إحسانا ظل على صداقته لى ولم يقاتحنى فى كلمة مما نشرت .

ولقد ظلت سنوات عملى فى صحيفة المساء فى أيضا سنوات ارتباطى الوثيق بإحسان وكامل الشناوى وكنا عادة نلتقى مساء كل يوم خميس فى صحيفة الجمهورية فى مكتب كامل الشناوى وينتظر حتى تصدر الطبعة الأولى من جريدة الجمهورية ثم نخرج نحن الثلاثة للسهر حتى الصباح تقريبا فى فندق مصر الجديدة ، وكان يشاركنا هذه السهرات أحمد بهاء الدين أو فتحي غانم أحيانا . وعندما رشحت نفسى فى يوليو ١٩٥٧ للانتخابات النيابية عن الدائرة السادسة (الوايلي والعباسية) لم يتردد إحسان هو وكامل الشناوى فى التوقيع على بيان الكتاب والفنانين الذى دعا الشعب إلى انتخابى ، هذا رغم علمهم أن بعض أجهزة السلطة فى مصر لم تكن راضية عن ترشيحى وكانت تسعى سرا وعلنا إلى إسقاطى

فقد كنت مرشح اليسار الوحيد في هذه الانتخابات وكان نجاحي سابقة لها ما بعدها .

في أول يناير ١٩٥٩ بدأت الحملة الأمنية ضد قوى اليسار في مصر . واعتقل أكثر من مائتين في اليوم الأول كنت واحدا منهم . وكان الخلاف قد بدأ حول قضية الوحدة مع سوريا وشكلها وقضية الديمقراطية ثم تداعت الأحداث إلى حملة معادية للشيوعية استمرت سنوات .

وبقيت في معتقلات محصر خمس سنوات وثلاثة شهور ، هذا على الرغم من أنني قدمت للمحاكمة أمام مجلس عسكري في نوفمبر سنة ١٩٥٩ وأصدر المجلس حكما ببراءتي :

وعندما أفرج عني في أبريل سنة ١٩٦٤ اتصل بي إسماعيل عبد القدوس ودعاني إلى الكتابة في روز اليوسف وبالفعل عدت للكتابة من جديد فيها إلى أن انتقل الأستاذ أحمد بهاء الدين إلى دار الهلال فانتقلت إلى الكتابة في مجلة المصور مع .

ولقد ترددت كثيرا على منزله في الستينيات ومازلت أذكر لقائنا مع جيفارا في منزله الصالح في الزمالك ، والنقاش

الذي دار آنذاك حتى الصباح تقريبا وفي هذه اللقاءات كنا نتفق ونختلف ولم يؤثر الانشقاق أو الخلاف على مودتنا المتبادلة.

إلا أن الأيام باعدت بيننا بعد ذلك ، فقد توفيت زوجتي عام ١٩٧٥ وبدأت أسافر كثيرا ، فقضيت في بريطانيا أكثر من عامين ونصف استأذنت زائرا في السبعينيات وعملت مع الأمم المتحدة بالكويت أربع سنوات بين أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات ولم التق مع إحسان طوال هذه السنوات ، لكنني كنت حريصا دائما على أن أبعث له تحياتي وتمنياتي له بالصحة والعافية كلما قابلت نجله الأكبر محمد ولاشك في أن مرضه في السنين الأخيرة قد أثر على اتصالاته بأصدقائه القدامى ، كما أن للشيخوخة أحكاما!

وعندما ذهبت للمشاركة في تشييع جنازته أحسست أنني أحمل على ظهري ذكريات خمسين عاما من النضال والاتفاق والخلاف. ولم استطع أن أكتف دموعي ونحن نودع الوداع الأخير!

لقاء مع جيفارا



مرت عشرون عاما على هذا اللقاء ، بالتائر الكوبي جيفارا  
عندما التقينا بالقاهرة فى منزل الصديق إحسان عبدالقدوس .  
كان جيفارا عائداً من الجزائر بعد حضوره مؤتمر  
المقاربات الثلاث وطيرت وكالات الأنباء أجزاءً عن خطابه فى  
المؤتمر ، وفيه ينتقد شروط معونة الدول الاشتراكية للدول  
التامية مما بدا غريباً علينا ، وكانت وجهة نظره فيما يبدو أن  
الدول الاشتراكية يجب أن تكون أكثر كرماً وسخاء فى  
معونتها إذا أريد لهذه الدول التامية أن تنهى الاشتراكية على  
أرضها ، وكان جيفارا يتكلم كوزير للصناعة فى كوبا عاصر  
مشكلات البناء الاشتراكي واكتوى بلهيبها .

وعندما بق جرس التليفون فى منزلى وأخبرنى إحسان  
عبدالقدوس بدعوتى للعشاء فى منزله وحضوره الحفل الكبير  
الذى أقامه على شرف التائر الكوبي جيفارا شعرت بسعادة  
كبيرة فقد حانت إذن فرصة اللقاء مع هذا التائر الكبير  
والنقاش معه .

ولقد دعى إلى هذا العشاء كثيرون من كبار صحفيى مصر  
ومتفقيها وفنانيتها أذكر من بينهم «خالد محيى الدين» وزوجته

وأحمد بهاء الدين وزوجته وأحمد حمروش وزوجته وموسى صبرى وزوجته ونجعة الشاشة المصرية فائق حمامة وآخرين كثيرين لا أذكرهم الآن وإن كنت أتذكر وجود فؤاد الركابى وزير الشؤون البلدية العراقى فى هذا الحفل الكبير .

ومازلت أذكر حتى الآن أن كثيرا من السيدات اللاتى حضرن هذا الحفل نجعن حول فائق حمامة يناقشنها فى فيلمها الجديد آنذاك «الحرام» لقصة الكاتب الكبير يوسف ادريس . وفيما أذكر كان لكثير منهن ملاحظات نقدية على الفيلم وعلى بعض مشاهدته وبعض تقنيات اخراجه . ومع أنى لا أتذكر اليوم تفاصيل هذه المناقشات إلا أنى لازلت أذكر الدفاع الحار لفائق حمامة عن الفيلم وسخونة الحوار بينها وبين عدد من سيدات الحفل . وأتذكر أيضا أننى كنت أحس بحسرة لعدم حضور زوجتى الصحفية عابدة ثابت هذه المناسبة ، فقد كانت مريضة بمستشفى دار الشفاء تحت ملاحظة الأطباء بسبب متاعب الحمل لابنتنا حنان التى ولدت بعد هذه المناسبة بخمسة شهور .

بعد العشاء انتقل معظم الرجال إلى غرفة مكتب إحسان وأبديت لجيفارا رغبتي في إجراء حوار معه حول عدد من القضايا السياسية والاقتصادية ورحب علي الفور بذلك ، وهكذا تحلق حول هذا النقاش عدد محدود من الأصدقاء المهتمين بهذه القضايا ينصتون وبعضهم يترجم أو يتدخل في النقاش مستسفرا عن جرئية هنا أو هناك .

كان جيفارا يتحدث بالفرنسية التي يجيدها وكنت أُنحدث بالانجليزية التي أجيدها ، وكان السفير الكوبي الذي يجيد اللغتين وأحيانا الصديق أحمد بهاء الدين يتولى الترجمة من الفرنسية إلى الانجليزية أو العكس .

ولقد استمر النقاش حتى الثانية صباحا ، وفتحت موضوعات كثيرة وإن لم نقفل كلها برأى نهائى أو باتفاق في وجهات النظر . وكانت القضية الأساسية التي تشغلني آنذاك هي : كيف تستطیع بولة صغيرة ذات موارد محدودة مثل كوبا أن تبني الاشتراكية وماهى للمصاعب التي تواجهها في

البناء الاشتراكي، وكيف تواجه كويا مشاكل الإنتاج والاستهلاك ثم قضية معونات الدول الاشتراكية التي كانت محل نقده في خطابه في مؤتمر القارات الثلاث بالجزائر، وكنت في هذه الاسئلة التي اطرحها أمام جيفارا أتحدث وعيني على مصر وتساؤلات عديدة تدور في خاطري حول ما يجري في مصر من مشاكل مشابهة في ظل مناخ عام يتحدث عن بناء الاشتراكية بمصر في مواجهة مصاعب ضخمة خارجية وداخلية ، وفي ظل شكوك كثيرة تراودني وتراود الكثيرين من أمثالي حول إمكانية تحقيق هذا الهدف العظيم في ظل الظروف السياسية الداخلية وعلاقات القوى الاجتماعية القائمة .

أما القضية الثانية التي كانت تشغلني فهي : موضوع المواجهة بين الامبريالية الامريكية وكوبا التي لا تبعد عن شواطئ أمريكا بأكثر من تسعين ميلا ، صحيح أن المواجهة بين خروشوف وكيندي حول قضية الصواريخ عام ١٩٦٢

انتهت إلى التزام الولايات المتحدة باحترام استقلال كوبا .  
ولكن إلى متى سوف تحترم أمريكا استقلال كوبا وهي معزولة  
وسط بلدان أمريكا اللاتينية التي تدين معظمها بالولاء  
للولايات المتحدة ؟

ولقد استفاد جيفارا في رده على كل هذه الاسئلة ..  
وقال فيما يتعلق بقضية التطبيق الاشتراكي لدولة صغيرة مثل  
كوبا إنها مشكلة حقاً وإن مشكلة التطبيق الاشتراكي في دولة  
مترامية الأطراف مثل الاتحاد السوفيتي هي مشكلة خاصة  
وتختلف تماماً عن قضية التطبيق الاشتراكي في دولة نامية  
صغيرة مثل كوبا وقال إنهم في حماسهم للحل الاشتراكي  
اندفعوا إلى بناء المصانع وتغيير نمط الزراعة الكوبية دون  
تفكير وتخطيط صحيح طويل المدى وأنهم وضعوا خططهم  
الأولى على أساس أن تكون لمشروعات الإنتاج ٧٠٪  
ولمشروعات الخدمات ٣٠٪ من الاستثمارات وبعد ثلاث  
سنوات اكتشفوا أنهم نفذوا ٧٠٪ من مشروعات الخدمات ،

٢٠٪ من مشروعات الإنتاج وقال جيفارا إن تلك مشكلة كبيرة  
تسبب النول النامية التي في أمس الحاجة إلى الخدمات بعد  
حرمان طويل .

وقال جيفارا إنهم كانوا يحاكون تجربة تشيكوسلوفاكيا  
في بناء الاشتراكية . وعندما سئل : لماذا تشيكوسلوفاكيا  
بالذات؟ قال إنه ليس هناك سبب محدد سوى أن هذا البلد  
أرسل لنا تفصيلات عن تجربته وكنا في لهفة على العمل  
الجاد فبدأنا نعمل بون تخطيط سليم ثم أخذنا بعد سنوات  
نصحح أخطأنا وقال جيفارا إن العالم الرأسمالي قد تغير  
كثيرا عما كان عليه الوضع أيام ماركس وإن ماركس على أي  
حال لم يضع حلولاً لقضايا التطبيق الاشتراكي، فإذا كان  
العالم قد تغير كثيرا عن أيام ماركس فلا بد من إعادة النظر  
في مقولات ماركسية عديدة وخاصة فيما يتعلق بقضية  
التطبيق الاشتراكي للنول النامية والصغيرة وقال إن النول  
الاشتراكية الأوروبية التي بنت الاشتراكية بعد الحرب العالمية  
الثانية قد حذت حذو النموذج السوفييتي ولم يكن لدى أحد  
الشجاعة الكافية لبنافش ويعارض على أساس عدم الملائمة .

وكان من رأي جيفارا أنه لابد من إعادة النظر في مفهوم الربح في النظام الاشتراكي وفكرة الحافز وعديد من المفاهيم الأخرى ، وقال إنه لا يزعم أن لديه حلولاً للمشاكل والأمثلة التي يثيرها وإن كان يريد أن يقول إنه لابد من دراسة عميقة تواجه مشاكل التطبيق الاشتراكي في الدول المتخلفة . ولقد عاب جيفارا على الدول الاشتراكية المتطورة علاقاتها التجارية مع الدول النامية والتي تقوم على أساس الأسعار الدولية في السوق الرأسمالية في شراء المواد الخام .

أما فيما يتعلق بمستقبل العلاقات بين كوبا وأمريكا على ضوء عزلة كوبا في محيطها بأمريكا اللاتينية فقد بدأ جيفارا غير متحمس لمناقشة هذه القضية يمثل حماسه في الإجابة على استئلتنا عن التطبيق الاشتراكي ، وقال كلاماً عاماً مقتضياً ، الأمر الذي أثار دهشة استئلتنا آنذاك .

ولكن عندما أذيعت أنباء مصرع جيفارا في بوليفيا في معارك حرب العصابات هناك عام ١٩٦٧ وعندما وصلتني نسخة من كتاب «ثورة في الثورة» لريجي نوبريه ، أخذت أنسأطل بيتي وبين نفسي إن كان جيفارا عند لقائنا في منزل

إحسان عبدالقدوس كان قد وصل إلى قناعات بترك كوبا والذهاب إلى يوليغيا لقيادة حرب العصابات هناك ، وإن هذا هو طريق تأمين التجربة الاشتراكية في كوبا وما إذا كان هذا الاقتضاب في الاجابة على استئني شيئا مقصودا ، بل وما إذا كانت الظروف الخاصة جدا التي أحاطت بنجاح ثورة كوبا قد جنت على فكر هذا الثائر الرومانسي الكبير ، وأغرته بمحاكاة هذه التجربة في الثورة في ظروف بلدان لاتينية أخرى بخلاف عن ظروف كوبا الخاصة .

وأخيرا ملحوظة خاصة ..

فقد يتساءل بعض القراء كيف استطاعت ذاكرتي أن تستوعب كل تفاصيل هذا اللقاء بعد عشرين عاما من وقوعه ولهؤلاء القراء أجيب على هذا السؤال المشروع بأن ذاكرتي لانزال قوية نسبيا فيما يتعلق بالأحداث الهامة التي عشتها ، فضلا عن أنني استعنت بمقال ممتاز للاستاذ موسى صبرى - نعم الأستاذ موسى صبرى - كان قد كُتبه في عدد ١٧ مارس ١٩٦٥ من مجلة آخر ساعة عن هذا اللقاء الذي كان أحد حضوره .



للذكرى

منذ أيام مضت ذكرناه السادسة عشرة ، وكان قد رحل  
فجأة وهو في قمة حيويته ونشاطه الاكاديمي ، ووقع على خبر  
رحيله وقوع الصاعقة ، كنت يومها استاذا زائرا لجامعة  
لانكاستر في الشمال الغربي لبريطانيا استعداد للعودة إلى  
القاهرة أنا وابنتي الصغيرة حنان التي قضت العام الدراسي  
كله معي في بريطانيا ، وكانت ترتيباتنا هي أن نذهب  
بالسيارة إلى فرنسا وإيطاليا وأن نقضى شهر يوليو كله هناك  
حتى نصل إلى نابولي ، ثم نأخذ المركب إلى الاسكندرية من  
هناك .

وفي صباح يوم تلكأت فيه بالمنزل دق جرس الهاتف ،  
وكان المتحدث يتصل بي من روما ليعزيني في المصاب عندما  
قرأت نبأ الحادث الذي أدى إلى الوفاة في الصفحة الأولى من  
الأهرام ثم النعي في صفحة الوليات ، واشتد حرج هذا  
الصديق المتحدث من روما عندما أدرك أنني لم أكن على علم  
بالخبر !

وبسرعة اتصلت بأشقائى فى القاهرة هاتفيا فأتكروا لى  
صحة الخبر عن الحادث الذى وقع فى اليوم السابق ،  
وسأبقت الزمن لأخذ أول طائرة إلى القاهرة ، لكننى عندما  
وصلت كانوا قد وادروه التراب وعانوا ، وكانوا قد تقبلوا فيه  
العزاء وانتهى الأمر .

إننى أتحدث عن شقيقى الأكبر المرحوم الدكتور إبراهيم  
أنيس الذى كان عميدا لكلية دار العلوم مرتين وعضوا بمجمع  
اللغة العربية لمدة عشرين عاما ، وصاحب كرسي «فقه اللغة»  
بجامعة القاهرة وهو الرجل الذى كان له الفضل الأكبر فى  
تربيتى المدرسية ورعايتى حتى تخرجت فى الجامعة . وكان  
فارق السن بيننا كبيرا ، ربما يزيد على سبعة عشر عاما ،  
فعندما تخرج فى دار العلوم عام ١٩٣٠ واشتغل بالتدريس  
كنت فى السابعة استعداد لدخول المدرسة الابتدائية ، وسافر  
هو بعد ذلك إلى بريطانيا فى بعثة حكومية للحصول على  
الدكتوراه ، فكان يرسل لى الخطابات المشجعة على مدرسة  
الحسنية الابتدائية ثم على مدرسة فؤاد الأول الثانوية بعد

ذلك ، وهو بلا شك صاحب الفضل فى توجيهي لدخول «شعبة الرياضيات» فى السنة التوجيهية ومنها إلى قسم الرياضيات بكلية العلوم . وكان يعرف بالطبع اهتمامانى الأدبية والفلسفية ، كما كان يعرف محبتى الرياضيات ، وكان يقول لى دائما : « إنك تستطيع أن تواصل اهتمامك الأدبية والفلسفية وحدك بالقراءة المثابرة ، لكنك لا تستطيع ذلك فى الرياضيات » ثم يضحك ويقول : « بـنى الأدب لا يطعم أحدا هذه الأيام » ولم أندم على قبول نصيحته أبداً ، وظل إبراهيم أنيس بالنسبة لى أبا روحيا وبالتأكيد تفرقت بنا السبل عندما كبرنا واهتممت أنا بالعمل السياسى الذى كان قد فقد الاهتمام به منذ أن كان طالبا وفديا وشاعرا يلقي قصائده أمام سعد زغلول فى بيت الأمة ، ثم أمام مصطفى النحاس من بعده . لكنه ظل فى مكانة الوالد بالنسبة لى ..

ولن أخجل من أن أقول إنه أحد أبرز حراس اللغة العربية فى العصر الحديث باعتباره لغويا رائداً أحدث ثورة حقيقية فى علم لغة بدءا من دراسة لهجة أهل القاهرة وانتهاء

بجهوده في استخدام الكمبيوتر في إحصاء تكرارات الحروف العربية .

ولا شك في أنه يحسب له أنه أول من يشرع بالمناهج العصرية في دراسة أصوات اللغة مستعيناً بالأجهزة الصوتية الحديثة . وأثمر هذا كله كتاب الرائد « الأصوات اللغوية » وبعد ذلك صدرت له المؤلفات الآتية على التوالي - من أسرار اللغة العربية ، موسيقى الشعر ، في اللهجات العربية ، دلالة الألفاظ ، وهو الكتاب الذي حصل به على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٥٧ ، مستقبل اللغة العربية المشتركة ، اللغة بين القومية والعالمية ، طرق تنمية ألفاظ اللغة (مجموعة محاضرات) .

كما كان له أربع مسرحيات منشورة وهي -

١ - العجوز المتصابى وقد كتبها خلال دراسته بكلية دار العلوم وأشرف على تمثيلها في مسرح الأزبكية .

٢ - ايناس أو ضحية المجتمع .

٣ - المنصور بن عامر الاندلسي .

#### ٤ - المتنبي في مجلس سيف الدولة .

وقد نالت جهوده المتميزة في خدمة اللغة التقدير لا على نطاق العالم العربي وحده وإنما على النطاق الدولي أيضا . وكانت هذه الحقيقة وراء اختياره في مقدمة اللغويين الذين يؤرخ لحياتهم في (معجم اللغويين العالميين) الذي تصدره جامعة «انديانا» بالولايات المتحدة .

وإبراهيم أنيس ليس في الحقيقة غريبا على الكويت ، فهناك العديد من تلامذته الكويتيين أيام دار العلوم ، وهم يشغلون اليوم المناصب الرموقة في الجامعة ووزارة التربية والتعليم أو في الصحافة الكويتية ، فضلا عن ذلك فقد دعت جامعة الكويت لمدة شهر استاذًا زائرًا حيث ألقى عيدا من المحاضرات واستخدم الحاسب الآلي للجامعة في متابعة أبحاثه اللغوية ، وعاد من هذه الزيارة بأجمل الذكريات التي حدثني عنها ولم أكن آنذاك (في أوائل السبعينيات فيما أنكر) قد زرت الكويت ولا عرفت أحدا من أهلها .

فى يوم ٨ يونيو من عام ١٩٧٧ خرج إبراهيم أنيس  
كعادته كل مساء ، يمارس رياضة القشى ساعة من الزمان ،  
وهو الرجل الذى يجلس إلى مكتبه فى مسومعت بالمفزل  
ساعات طوالا بلا ملل ، وإذا بطالب ليبي مستهتر يضده  
بسيارته وهو يحاول عبور الطريق .

ونقل إبراهيم أنيس إلى مستشفى العجوزة القريب دهن  
أن يعرف أحد من هو ، ووجد البوليس فى جيبه ورقة صغيرة  
واحدة بها رقم هاتف ، واتصل البوليس بصاحب الرقم الذى  
تبين أنه الدكتور كمال بشر عميد دار العلوم آنذاك ، وحضر  
الرجل وتعرف على الجثمان ، وأبلغ عائلته شيفونيا بالمصاب ،  
وفى اليوم التالى اتصل بى من روما بهذا الصديق الذى ظن  
أثنى على علم بالخبر ، وحاولت أن اشترك فى وداعه الأخير  
فلم افلح !

نحية حب وتقدير وعرفان بفضلته فى ذكره السادسة  
عشرة .

**ذكريات مع علي مصطفى مشرفة**

---



## فى الذكرى السنوية لصلادته

دخلت كلية العلوم بجامعة القاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٤٠ وتخرجت فيها فى يونيو سنة ١٩٤٤ . وفى السنوات الثلاث الأولى والشهر الأول من السنة الرابعة لم يكن هناك أى اتصال شخصى بينى وبين عميد الكلية ، ورئيس قسم الرياضة التطبيقية الأستاذ الدكتور على مصطفى مشرفة .

كنت أحرص بالطبع محاضراته فى السنة الثانية وفى السنة الرابعة ، وكان آنذاك يحاضر فى علم الاسفائكا فى السنة الثانية ، ويحاضر فى النظرية الكهربائية المغناطيسية للفضاء والبصريات فى السنة الرابعة . وكنا نحن طلاب الرياضيات ننظر إليه باحترام ومهابة شديدين، وكانت تنتشر فى أوساطنا نحن الطلاب أسطورة أن من يفهمون النظرية النسبية لايتشبهون فى العالم عشرة بينهم واحد مصرى .. هو على مصطفى مشرفة .

ثم وقع حدث طلابي في أوائل السنة الرابعة جعلني على اتصال شخصي به طوال العام، هذا الحدث هو انتخابات الجمعية الرياضية الطبيعية لطلاب وأقسام الرياضيات والفيزياء التي تجرى كل عام وينتخب فيها طلاب كل صف من الصفوف الأربعة اثنين من الطلاب في مجلس إدارة الجمعية لذلك العام، وقد رشحت نفسي عن السنة الرابعة فانتخبتني زملائي ثم اجتمع مجلس الإدارة الجديد، وأكرموني زملائي فانتخبوني رئيسا لمجلس الإدارة عن العام الدراسي سنة ٤٢ - ١٩٤٤.

وبعد انتخابي رئيسا للجمعية بدأت في إعداد البرنامج الثقافي للجمعية، أي سلسلة المحاضرات التي سيقوم بها مختصون في موضوعات رياضية وفيزيائية عامة تثير اهتمام الطلاب، وحرصت بالطبع على أن أضع في مشروع البرنامج محاضرة عن النظرية النسبية يلقيها على مصطلقي مشرفة، وعندما عرضت عليه الاقتراح لم يعارض وإن كان قد طلب تأخير مواعدها.

وبالطبع ظلمت على اتصال به طوال العام . وضمننا  
ذكريات عديدة جميلة عن هذه الفترة سوف أفضي هنا بثلاث  
منها مازالت محفوظة في ذهني .

- الذكرى الأولى تتعلق بطالب اسمه صالح كان زميلا لنا  
في السنة الرابعة وإن تخصص في الفيزياء ، وقد صار عميدا  
لكلية العلوم بالاسكندرية في الستينيات .

جاءني صالح في أحد الأيام واقتراح على أن يكون ضمن  
البرنامج الثقافي للجمعية محاضرة له في الفيزياء ، ورفضت  
طلبه على أساس أن طالبا مثلنا لن يقيمنا بشئ جديد ، ولو  
فتحنا هذا الباب ، ياب أن يقوم الطلاب بإلقاء محاضرات في  
الجمعية فلن نقدم للطلاب جديدا ، ولم يقتنع صالح فذهب إلى  
عميد الكلية شاكيا موقفى .

أذكر أن ساعى العميد جاء يبحث عني وعندما وجدنى  
قال لى «الباشا يريدك على الفور» وذهبت إلى غرفة العميد  
ألهمت من الجرى ، وعندما دخلت ولاحظت حالتي قام من مكتبه

وأخذ كرسيًا ، ووضع به جوار النافذة التي فتحتها على الفور ،  
وقال : « نلتكلم عندما تهدأ وتلتقط أنفاسك » .

وبعد خمس دقائق جاءه وجلس على كرسي آخر بجواري  
وقال لي : « هل يرضيك أن يجلس الاساتذة في الأوتوبيس » ،  
بينما الطلاب واقفون » وكان بطبعه يهوى الحديث بمثل هذه  
التشبيهات والاستعارات ، ورغم أنني لم أفهم المقصد من  
 وراء هذا الكلام ، إلا أنني رددت على الفور : إن هذا وضع  
طبيعى إذ على الطلاب أن يقفوا في الأوتوبيس احتراماً  
لأساتذتهم ، فضلاً عن أنهم أقدر على الوقوف لصغر سنهم .  
ضحك العميد ضحكته المألوفة وقال : غلبتني ! وتكلم  
فورا عن شكوى الطالب صالح وشرحت له وجهة نظري التي  
وافق عليها مجلس إدارة الجمعية . لكنه قال : يا سيدي  
علشان خاطرى اعطوه فرصة . ووافقت طبعاً لا اقتناعاً وإنما  
احتراماً لرغبة العميد .

- الذكرى الثانية تتعلق بمحاضراته عن النظرية النفسية ،  
إذ بدأت أتساءل : من الذي سيقدم العميد فى هذه المحاضرة

وقررت أن من الأنسب أن يقدمه واحد من الأساتذة وذهبت إليه مقترحا أن يتولى تقديمه أستاذنا د. محمد مرسى أحمد رئيس قسم الرياضة البحتة الذي كان له مودة خاصة في قلبي ، لكن العميد رفض وقال : أنت رئيس الجمعية وأنت الذي تقدمنى للحضور ، وبالطبع كنت خجلا من تقديمه ، لكنه صمم على ذلك وفعلت ما طلبه ، وأذكر أن مدرج قسم الفيزياء ، حيث أقيمت المحاضرة كانت مليئا بالحاضرين من داخل الكلية وخارجها ، وأن الفضايأ التي أثارها هذه المحاضرة كانت ذات أثر كبير على الحاضرين وطال زمن المحاضرة والأسئلة إلى نحو ثلاث ساعات ، وهو أمر نادر الحدوث في برنامج المحاضرات .

- أما الذكرى الثالثة فتتعلق بالصورة التذكارية التي كانت تؤخذ في أواخر العام الدراسي لمجلس إدارة الجمعية مع رئيس شرف الجمعية والمستشارين ، ولا تزال هذه الصورة في غرفة مكتبي بالمنزل حتى الآن .

والعادة أن هناك من يجلسون على دكة أعبت لهذه المناسبة ، وهناك من يقفون وراءهم ، وقررنا نحن الطلاب أن

الأساتذة هم الذين يجلسون بينما نفقه نحن الطلاب وراجم ،  
لكن على مصطفى مشرفة كان له رأى آخر إذ صمم على أن  
أجلس على الدكة في وسط الصورة ويجلس الاساتذة على  
الجانبين ، وكنت في أشد حالات الخجل وحاولت جاهدا أن  
أقف مع زملائي الطلاب في الصف الخلفي ، لكنه صمم على  
رأيه وقال ضاحكا : أنت رئيس الجمعية وتستحق أن تكون  
مركز الصورة ، وهذا ما كان فعلا .

ولم أر على مصطفى مشرفة بعد تخرجى وتعينى معيدا  
في جامعة الاسكندرية ، ولكن ذكره ظلت عزيزة إلى قلبي ،  
غالية في نفسى ، وأتذكر أننى عندما عملت رئيسا لشركة  
الكاتب العربى للطباعة والنشر عامى ١٩٦٧ و ١٩٦٨ كان  
كتاب « الجبر والمقابلة » للخوارزمى الذى قام بتحقيقه على  
مصطفى مشرفة ، ومحمد مرسى أحمد ضمن كتب الدار  
التي أعيد طبعها .

## **الباب الثالث**

---

# **المُتَقَفُونَ وَالسُّلْطَةُ**

**فى أوردى أبوزعبل**

---

## رسالة إلى زوجتي

زوجتي الحبيبة: ها أنذا أرسل لك هذه الرسالة بعد غيبة طويلة منذ أن أرسلت لك خطابي خلال المحاكمة أيام المجلس العسكري بالاسكندرية في أكتوبر الماضي، ولقد مضى على خطابي هذا نحو عشرة شهور اجتزنا فيها تجربة طالت وكأنها عشر سنوات! أعني تجربة الاوردي بما تغنيه من تعذيب يومي، وإهدار لأمية المعتقلين، وعمل كالسخرة في جبل أبو زعبل، ثم قتل لعدد من زملائنا، إنها باختصار بما صنعتته النازية في خصومها السياسيين في معقلات أويريا المشهورة، ولم يكن لينقصها لتصبح الصورة مطابقة تماما غير غرف الغاز!

لقد انتهت هذه التجربة الآن وعدنا إلى أدميتنا من جديد.. ولعلك أدركت من خلال زيارتك لي في الشهور الاخيرة مبلغ السوء الذي وصلت إليه حالتي الصحية. غير أنني اليوم أسترد صحتي بالتدريج فلا تقلقي، ولكن ما يقض مضجعي حتى



اليوم أن شهدي عطية، بمصرعه الفاجع في الأوردي تحت  
سياط التعذيب، هو وحده الذي فدانا جميعا، ولولا مصرعه  
وما أثار من ضجة خارجية لاستمر التعذيب حتى اليوم  
ولا استطاب كثير من المسؤولين هذه الحال ومن قبل أنكلوا  
الركنور فريد حداد ببساطة وكانهم يؤدون عملا عاديا وهؤلاء  
القتلة معروفون ويعيشون بينكم لا يعذب أحدا منهم ضمير ولا  
تعتد إليه يد قانون.

إن قتلة شهدي وفريد حداد هم اللواء اسماعيل همت وكيل  
مصلحة السجون والعميد اسماعيل طلعت مدير سجن أبو  
زعل، ثم أولا وأخيرا الضباط حسن منير وعبد اللطيف  
رشدي ويونس مرعي، هؤلاء الثلاثة هم الجناة المباشرون،  
ولكني لا أشك أن وراء هؤلاء يقف رجال المباحث العامة بقيادة  
حسن المصيلحي وبعض رجال وزارة الداخلية ولست أستطيع  
أن أهدق أن المسؤولين في مصر لم يكونوا يعرفون ما يجري  
في أبو زعل خلال الفترة من نوفمبر سنة ١٩٥٩ إلى يونيو  
١٩٦٠.

لا أترى كيف أبدأ في رواية القصة الإجرامية التي وقعت هنا . خلال هذه الفترة أرسلت لك عدداً من الخطابات بمعرفة إدارة السجن ولعلك لاحظت أن كل خطاب لم يزد علي ثلاثة سطور ، أسأل فيها عن أحوالك وأحوال مني ووفاء وإخوتي وأطلب إرسال بعض التقود ، لقد تعمدت هذا لأن الخطابات كتبت خلال أسوأ ظروف وإبان فترة التعذيب ، ولم يكن لدي ما أقوله .. أو بمعنى أصح لم يكن ممكناً كتابة ما أريد أن أقوله!

\* \* \*

لقد رحلنا من سجن مصر يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٩ .. ولا أدري إن كان لاختيار هذا التاريخ معنى خاص عند رجال المباحث . ولكنني أعلم أن إعدادنا لما كان ينتظرنا في أوردي أبو زعبل قد بدأ ونحن واقفون في فناء سجن مصر ننتظر الترحيل . فقد أخذ مأمور سجن مصر شوقي القطشة في استقراؤنا يوم مبرر ، وكسر بنفسه أشياء كثيرة من لوازمنا المتواضعة التي نحملها من سجن إلى سجن . وعندما وصلت العربة التي حشر فيها الواحد والستون إلى أوردي أبو زعبل

فوجدنا بفرقة من الخيالة على جيادهم، ثم صفين من الجنود  
يحملون العصي الغليظة على باب الأوردي ودخله وكانت  
التعليمات أن يزل كل واحد منا بسرعة وأن يطلع ملابسه  
على باب الأوردي.. كل ملابسه حتى يهبط عاريا كما ولدته  
أمه، وأن يأخذ بسرعة برشا وبدلة سجن بيضاء ويهرع إلى  
العنبر. وكان أساس العملية هو المفاجأة الكاملة وبشل الذم  
عن التفكير حتى لا يجد إنسان فرصة ليحتج أو يناقش.  
ويطبيعة الحال لم يستطع معظم المعتقلين أن ينجسوا هذه  
المهمة في سرعة وكانت النتيجة أن قام الجنود بضربهم وهم  
عرابا - بالعصي الغليظة فضلا عن الإهانات اللفظية.

وكانت مهزلة وما أبشعها من مهزلة ومع ذلك فإن «حفلة  
الاستقبال» كما واجهناها لم تكن شيئا بالمقارنة بحفلة  
الاستقبال، التي أعدت لنبعة شهدي عطية في يونيو الماضي،  
والتي مات فيها هذا الصديق العزيز.. فضلا عن الزملاء  
الأخرين الذين ظلوا في حالة خطرة لعدة أيام بعد ذلك. وفي  
اليوم التالي لوصلنا بدأ روتين الحياة المدة لنا .. نقوم في

الصباح ونذهب ونحن حفاة فى طابور إلى جبل أبو زعبل لتكسير الأحجار، ويستمر العمل حتى الظهر حيث نعود إلى الوردى وبقل العنبر علينا حتى صباح اليوم التالى. والطعام الذى يقدم لنا هو أسوأ ما يتصوره إنسان فى حياته غسل أسود فى الصباح، فول نابت فى الظهر. ثم خضار لا طعم له وقطعة لحم تشير القرف فى المساء، وخلال كل يوم تقريبا يقتل عدد من المعتقلين لاستغزازهم وضربهم ضربا مبرحا ووضعهم فى زنزانة انفرادية مغطاة بالماء البارد وبلا أغطية لمدة يومين أو ثلاثة، وكثيرا ما يفتح العنبر فى الصباح أو بعد الظهر، وفجأة تدخل فرقة من الجنود بحجة تفتيش العنبر، وكان علينا أن ندير وجوهنا إلى الحائط أثناء التفتيش ثم فى ختامه كان علينا أن نحس ظهورنا كأننا راكعون فى صلاة ثم يدور كل واحد منا حول نفسه مرات ومرات حتى يأمر الضابط بالتوقف. وبالطبع خلال هذه العملية الهزلية يضرب الجنود عددا من المعتقلين كيفما اتفق، إنها عملية تطهير الضحك وحتى الآن لم أفهم المقصود من هذه التعليمات.

كان الجو الظاهري أننا نعيش في أبو زعبل حياة  
 عسكرية، والجو الحقيقي المقصود هو التنكيل... ومازلت أذكر  
 أننا خرجنا مرة لطاير «رياضة» وخلال هذا الطاير طلب  
 منا حسن منير أن تهتف باسم عهد الناصر وأن نغني أناشيد  
 وطنية، فلما اغترض الدكتور اسماعيل صبري عبد الله قائلا  
 إننا لا نفعل هذا بناء على أوامر انهالوا عليه بالعصى حتى  
 فتحت رأسه! وبطبيعة الحال كان لابد أن يتنى دوري ودور  
 محمود العالم وفي المرة الأولى عندما رفعت صوتي سبيلنا  
 ملاحظات متواضعة على بعض ما يحدث، أخذت أنا وزميل  
 آخر إلى الغرفة الانفرادية وبقينا هناك حتى جاء حسن منير  
 مأمور الأوردي، فبأذا به يعيدنا إلى العنبر لوزن عقاب، وكان  
 لهذا الموقف فرجسة وأية فرحة في كل العنبر، فقد بدا وكأنه  
 نصر لنا! وفي المرة الثانية لاحتجاجي أخذنا إلى جبل أبو  
 زعبل، وبدأ العدوان على بشكل مكثف على يد فرقة من  
 الجنود يقودها الصول مطاوع، واستمر الحال على ذلك حتى  
 أغمر على من شدة الضرب، وحملني زملائي على أكتافهم

وأنا في شبه غيبوبة إلى العنبر، ثم نقلت إلى غرفة «الملاحظة الانفرادية» المخصصة للمرضى، وبقيت فيها عشرة أيام بين الحياة والموت في الإسم الأولي. ولقد كان من حسن حظي أن الطبيب الذي جاء لعيابتي كان زميلا لي في المدرسة الثانوية. وهالته حالتي في اليوم الأول حتى اغرورقت عيناه بالدموع تأثرا، وظل يواظب يوميا على التردد على مرتين ويحضر أنوية خاصة من عنده حتى اطمأن على حالتي، وبطبيعة الحال لم تكن الإدارة تسدري أن الطبيب زميل سابق لي في الدراسة وأن هذا هو مصدر اهتمامه الكبير بي، وأحيانا كثيرة أحس أني مدجن بحياتي لهذا الرجل النبيل.

لن أطيل عليك أكثر من هذا.. سوى أن أقول لك إن من مميزات هذه المعاملة الوحشية التي قبلت أنذاك على لسان بعض الضباط هو موقف الزملاء الجريئ أثناء المحاكمة بالاسكندرية، فنحن كمجموعة لم نخف انتقادنا السياسي للحكومة والسياسة عهد الناصر في قضيتي الوحدة

والديمقراطية، ولكننى لا أستطيع قبول هذا التبرير بسهولة، لأن قضية شهيدى عطية (وكان من المعروف أن زملاء هذه القضية على عكسنا لا يخفون تأييدهم شبه المطلق لسياسة عبد الناصر آنذاك) قد لقيت على باب الاوردي استقبالا أضعف بكثير من استقبالنا، وأن شهيدى نفسه قد ضرب حتى الموت، ولقد كنا داخل عنابرنا عندما وصلت دفعة شهيدى، وبطبيعة الحال لم نر شيئا يذكر بأعيننا، ولكننا سمعنا كل شيء! فقد كان المطلوب من كل واحد منهم أن يهتف بسقوط الشيوعية وأن يذكر اسمه بصوت عال، وأن يقول «أنا مره.. الخ وعندما رفض شهيدى وآخرون كثيرون تنفيذ هذه التعليمات المخزية انهالوا على رأسه بالضرب حتى الموت. ويبدو أن موت شهيدى كان مفاجئة لاسماعيل همت وحسن منير والآخرين.

وإذا بهمت يستقل سيارته ويعضى هاربا إلى القاهرة، وإذا بحسن منير يضع الجبس على ذراعه مدعيا أمام النيابة أن المعتقلين هجموا عليه وضربوه وكسروا ذراعه، وأنه هو وجنوده كانوا يدافعون عن أنفسهم، بعد وفاة شهيدى وما

أحدثته من ضجة جاءت النياية بأعداد كبيرة، وتولت التحقيق صباحا ومساء.. وفجأة تغير جو المعتقل تماما! وقد طلبت أنا والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله سماع أقوالنا فى مقتل شهيدى، وأجابت النياية طلبنا، وكان منظرا مخزيا للضابط حسن منير عندما أثنوا به لنقوم النياية بشجيرة التعرف على صوته وأنا داخل المنبر كما ذكرت فى التحقيق، لقد رأيته كالفأر المتهالك، ولم يجرؤ على أن ينظر إلى . بل كان مطرقا رأسه إلى الارض طوال الوقت وقد وضعتنى النياية فى غرفة مغلقة وطلبت منه ومن ضباط آخرين أن يرفعوا صيوتهم يجمع من اثنى كانوا يقولونها للمعتقلين فى حفلة الاستقبال «وفى كل مرة تعرفت على صوته فى يسر دون أن أراه ويطبيعة الحال نقل حسن منير فى اليوم التالى لوفاة شهيدى حتى لا يفك بة المعتقلون!.

ان الضجة التى حدثت عند وفاة شهيدى كانت أمرا طبيعيا ولكن الغريب أن الدكتور فريد حداد قد قتل داخل الأوردي قبل شهيدى بشهور ولم تحدث وفاته ضجة ما!



انك تذكرين بالطبع الدكتور فريد حداد، هذا الطبيب  
 الشهم الذي تولى علاجي وعلاج عممتك قبل اعتقالي  
 أكثر من مرة. كم كان وديما، طيب القلب عظيم الإنسانية!  
 نستطيع أن نتصورى صدمتى عندما أخرجنا من العنبر  
 ذات يوم عند الغروب لاستلام طعامنا ونحن نجرى كالعادة،  
 ولجت أمام الزناينة الانفرادية رجلا في ملابس السجن  
 ملقى على الأرض، وهو يبدو في حالة إغماء لم أتيقن في  
 أول الأمر من هو هذا الانسان، وإن كنت واثقا أنني أعرفه.  
 ثم بدأت أعي أن هذا هو فريد حداد. ومع ذلك لم أتيقن آنذاك  
 ان كان قد مات عندما رأيت أو أنه مغمى عليه فحسب. فلما  
 سمعنا في اليوم التالي أن أحد المعتقلين قد مات، كانت  
 الصدمة بالنسبة لي فظيمة وبقية في حالة نفسية سيئة عدة  
 أيام.. ولست أشك لحظة أن يونس مرعي هو المسؤول عن  
 قتل فريد حداد، فقد كان الضابط الوحيد الموجود بالاوردي

عصر ذلك اليوم، وقد سمعنا - نحن في الغنجر - صوته وهو يعتدى بالضرب على قادم جديد لم نكن نعرف من هو، إلى جانب هذا القتل والتعذيب ساعات أحوال المعتقلين الصحية وبسبب سوء التغذية، وكثيرون مرضوا وأوشكوا على الموت بسبب انتشار الأمراض ولم يتحرك أحد رغم كل هذا، لقد عشنا في حالة مجاعة كاملة لمدة ثمانية شهور لا يعطونا إلا ما يكفي للبقاء علينا على قيد الحياة فحسب.

أما مهانات العمل في جبل أبو زعبل فهي عديدة.. صفوة من مثقفي مصر مثل د. لويس عوض والكتور عبد الرزاق حسن، والكاتب المسرحي الفريد فرج، والرسام حسن فؤاد والناقد مسمود أمين العالم. والكتور فؤاد مرسى والكتور فوزى منصور والكتور اسماعيل صبرى عبد الله.. الخ وغيرهم كثيرون يساقون كل يوم إلى الجبل حفاة شبه عراة في أقسى أيام الشتاء لكسر حجارة أبو زعبل

بالإضافة إلى عشرات من الفادة النقايين وشهادات الطلاب.

ومع ذلك يجب أن أقول إننا تعلمنا حرفة مفيدة، وانني في نهاية الامر أجست قطع الاحجار الى قطع صغيرة كما كان مطلوباً لرصف الشوارع، وكنت أحياناً أقول ضاحكاً: «منحة في اليد أمان من الفقر»! أما الامر الثاني الذي أردت أن أنكره لك فهو تجربتي المثيرة في تدريس الرياضيات العالية للصديق محمد عباس سيد أحمد في ظل هذه الظروف السيئة! لقد صمم محمد على إعطائه محاضرات داخل المعبر في موضوعات كنت أقوم بتدريسها لطلبة البكالوريوس في جامعة لندن في عامي ١٩٥٥ - ١٩٥٦. ولم تكن هناك سيورة أو طباشير أو ورق أو قلم وكان قد مضى على إعطائي هذه المحاضرات عامان على الأقل وكنت قد نسيت المعادلات والبراهين.... الخ ومع ذلك فقد كان لتعليمه وإلجائه الفضل في بدء محاولات التذكر.

وقد ظلت أسابيع أتعثر في محاولات التذكر هذه، وفجأة بدأت خيوط الموضوع تعود، كأن شلة خيط كانت معقدة ثم حلت وأنساب الذاكرة صافية بكل تفاصيل البراهين كما كنت أعلمها للطلاب. إن العقل الانساني غريب في تخرينه للمعلومات وفي استرجاعها! والاعرب هو أن يتم ذلك في مثل هذه الظروف القاسية، ولقد كان الصديق محمد يخفي في ملابسه كل قطع الاحجار العباشيرية التي يجدها بالجبل لنكتب بها على بلاط العنبر معادلات رياضية باللغة التعقيد ثم نمسحها بسرعة خوفا من أن نفاجأ بدخول الضباط أو الجنود إلى العنبر، وعندئذ قد يظنون أننا نكتب شفرة سرية؟ لقد انتهت هذه المرحلة .. بكل ما فيها من مهانات وتعذيب وأشياء قليلة إيجابية، وإذا كنت قد صممت على كتابتها لك فلكي تعرفي كيف وصل بنا الحال في مصر في معاملة المعتقلين السياسيين، وكيف كان على أنا وزملائي أن نتحمل

هذه التجربة البشعة في صجر وتماسك. وأحمد الله على أن  
كل هذا قد انتهى ~ وأرجو ~ إلى غير رجعة! ولكنني أظل  
أفكر في شهدي وفريد كثيرا. وأفكر في زوجتيهما وأولادهما..  
ما أعظمها من خسارة وما أروع من مثل!  
أقبلك وأضمك بقوة.

دكامل،

سبتمبر سنة ١٩٦٠

الرسالة عن كتاب د. عبد العظيم

«رسائل الحب والحزن والثورة»



## فی ذکرِ زوجتی

هذا الكتاب ليس إلا مجموعة من الرسائل الحقيقية التي جرت بيني وبين زوجتي .. عابدة ثابت الصحفية المصرية، خلال فترة عصيبة من تاريخ مصر الحديث، وهي فترة كانت شديدة القسوة علينا نحن الاثنين.. إذ لم يكن قد مضى على زواجنا أكثر من شهرين عندما بدأت رياح العواصف العاتية؟

أما الفترة فهي السنوات ١٩٥٩ - ١٩٦٤، وبالذقة من أول يناير سنة ١٩٥٩ إلى ٤ أبريل سنة ١٩٦٤.. بدأت باعتقالى كواحد من مذات الشيوعيين المصريين الذين اعتقلوا فجر أول يناير، وكنت قد تزوجت عابدة ثابت فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٨ بعد قصة حب دامت عدة شهور قبل الزواج، وعشنا نحو شهرين من أسعد أيام حياتنا حتى فاجأنا عاصفة الاعتقالات فوضعت هذا الكثير من أحلامنا وأمالنا..!!

فصلت عابدة ثابت من عملها فى صحيفة «المساء» وإن لم تعتقل، كما فصلت أنا أيضا أثر اعتقالى .. وأصبحنا نحن الاثنين نواجه الصباه بلامورد، أنا فى المعتقل وهى فى الخارج.



وقد يكون من الدقة أن أقول إن ما حدث لم يكن مفاجأة كاملة لنا بالمعنى المفهوم، كانت هناك نذر واضحة في الشهور الأخيرة عام ١٩٥٨ بتدهور الموقف السياسي العربي بعد الوحدة المصرية السورية، وتآزم العلاقات بين ثورة يوليو والأحزاب الشيوعية العربية. وكان للخلاف يدور أساسا حول قضية شكل الوحدة...

هل تكون اندماجية كما أراد حزب البعث السوري وجمال عبد الناصر، أم تكون فيدرالية يكون لكل قطر فيها حق تنظيم شئونه الداخلية وفق ظروفه الخاصة. وكانت القضية الأولى التي يدور حولها الصراع في هذا الفطاق هي قضية الديمقراطية السياسية التي كانت تتمتع بها سوريا قبل الوحدة. وقد كان من الطبيعي أن يتمسك الحزب الشيوعي السوري بتجربته الديمقراطية السياسية التي عرفتها سوريا منذ سنة ١٩٥٤، وكان من الطبيعي أن يرفض الحزب حل نفسه، بينما تظاهر حزب البعث بحل فصائله فلنا معه أن «غنائم الوحدة هي له وحده»!

في ظل هذه الظروف كان من الطبيعي أيضا أن تساعد الأحزاب الشيوعية العربية موقف الحزب الشيوعي السوري، وأن يكون هذا هو موقف الشيوعيين المصريين كذلك.

لكن رغم بؤس العاصفة خلال عام ١٩٥٨ فقد كانت لدى ولدي غيرة أمال في محاصرة النيران قبل أن ينفجر الموقف انفجارا يستحيل تدارك آثاره. وكان مصدر هذه الآمال تقني في وطنية نظام عبد الناصر وشعبيته، وانفجار ثورة تموز في العراق عام ١٩٥٨ التي اقتلعت كل دعائم النظام القديم ودمرته تدميرا، وموقف الاتحاد السوفييتي المناصر لثورة يوليو والعراق وقناعتي باستحالة استمرار نظام وطني في معاداة الامبريالية والقيام بحملة صليبية واسعة النطاق ضد الشيوعية في آن واحد وعشرات الاسباب الاخرى.

كل هذا ظل يمنحني الثقة بأن هناك آملا في رأب الصدع والعودة إلى علاقات التعاون التي كانت قائمة من قبل بين ثورة يوليو والحزب الشيوعي العربية، وبحكم عملي في

صحيفة «المساء» كمحرر للشئون العربية والخارجية في الفترة ١٩٥٦ - ١٩٥٨ كنت على اتصال بكثير من أطراف الازمة، وعلى معرفة بكثير من أسرار هذه الفترة في المجال العربي، وحاولت كما حاول آخرون المساهمة في حل الازمة على اساس مبدأ صحيح.

لكن يبدو أن القوى المصرية والعربية المحافظة التي كانت تعارض محاصرة الازمة كانت أقوى منا بكثير، وكانت النتيجة تدهور الموقف خطوة بعد أخرى وخصوصا أثر محاكمة بعض الضباط الناصريين في بغداد واعدادهم، وساعدت على هذا حالة الزهو التي ركبت القيادة السياسية في مصر معتمدة على شعبية عبد الناصر عريبا - وهي شعبية لم يكن هناك شك في قوتها مما أدت بها إلى اعتماد سياسة «وحدنا في الميدان» التي بدأت بمحاولة تصفية الحزب الشيوعي السوري ثم امتدت بعد ذلك لتصفية حزب البعث السوري، ولكنها انتهت في سبتمبر ١٩٦١ إلى تصفية نظام عبد الناصر في سوريا!

ومن الامانة ان أقول ان الاخطاء السياسية التي تورط فيها الحزبان الشيوعيان في دمشق ويغداد آنذاك قد ساهمت في رأيي في الوصول بنا إلى هذه النهاية المفاجئة لأول وحدة عربية في العصر الحديث، وان كانت المسؤولية الاولى فيما حدث تقع في رأيي على أكتاف القيادة السياسية في مصر بما تورطت فيه هي من أخطاء سياسية وما تورطت فيه أجهزة أمنها من جرائم.

وليس بالصدفة ان الذين طعنوا الوحدة المصرية السورية الطعنة الثالثة في سبتمبر سنة ١٩٦١ كانوا أصدقاء النظام، أعني الضباط السوريين الذين كانوا يعملون في مكتب المشير عامر في دمشق بقيادة الفخلاوي مدير مكتبه. ولست أشك في أن هذا العمل قد تم لحساب الرئيسين والإقطاعيين السوريين الذين هددتهم اجراءات يوليو سنة ١٩٦١، ولكن يظل السؤال الهيوبي قائما: كيف تم الانقلاب على الوحدة بهذه السهولة بل كيف انهار صرح الوحدة في دقائق؟ ان الاجابة على هذا السؤال لا نكتسب أهمية تاريخية

فحسب وانما ترتبط بمستقبل النضال من أجل الوحدة في المستقبل. وفي رأيي أن المفتاح الرئيسي في هذه الاجابة يتمثل في عداة نظام عبد الناصر للديمقراطية السياسية والجيبة الوطنية الذي أعطي أعداء الوحدة فرصتهم الذهبية. لم يكن إذن ما حدث من اعتقالات في فجر أول يناير سنة ١٩٥٩ مفاجئة كاملة لى، وإن كان اتساعها وشمولها هو العنصر المفاجئ، وينبغي أن أعترف أنه حتى بعد وقوعها ظلت في الاسابيع الاولى أرجح أن الاعتقال لن يطول، وبث خطأ هذا التقدير، وطال اعتقال الشيوعيين واليساريين المصريين، وامتد إلى ابريل سنة ١٩٦٤، أى أنه طال خمس سنوات وثلاثة شهور.

وقد قضيت هذه الفترة الطويلة في عدة معتقلات مختلفة.. بدأت بمعتقل القلعة ثم معتقل الواحات الخارجة، ثم عدت إلى سجن مصر استعدادا لتقديمي مع ستمين آخرين إلى المحاكمة أمام مجلس عسكري يرأسه مدير سلاح المدفعية اللواء هلال عبد الله هلال في أكتوبر سنة ١٩٥٩

بالاسكندرية، وبعد المحاكمة عدنا من الاسكندرية إلى سجن مصر مرة أخرى، حيث نقلنا في ٧ نوفمبر ١٩٥٩ إلى معتقل أوردى أبو زعبل.

وفي أوردى أبو زعبل جمرت أول تجربة تعذيب جماعية على يد جهاز المباحث العامة وضباط مصلحة السجون.. وليس لدى شك في أن هؤلاء الذين أشرفوا على هذه التجربة البربرية لابد أن يكونوا قد دربوا على يد بعض النازيين من الألمان، لأننى عندما زرت بقايا معتقل «بوخفالد» فى ألمانيا عام ١٩٦٩ واستمعت إلى شرح الدليل وجلبت تشابها غريبا بين ما كان يجرى فيه من أساليب تعذيب وبين ما جرى فى معتقل أوردى أبو زعبل!.. ولقد تولى قيادة هذا العمل الوحشى الذى سوف يرد وصفه فى صفحات الكتاب العميد حسن المصباحى من جهاز المباحث العامة واللواء اسماعيل همت وكيل مصلحة السجون، وانتهت هذه التجربة بفاجعة قتل الصديق العزيز شهيدى عطية فى يونيو سنة ١٩٦٠، وعندئذ تحركت الدولة لوقف التعذيب وإبداد المسئولين

عن هذا العمل الاجرامي، ومع ذلك فلا يزال المسئولون عن قتل شهدي عطية ومن قبله الدكتور فريد حداد حتى الآن دون جزاء!

وبعد توقف سياسة التعذيب في الاردن نقلنا في يوليو سنة ١٩٦١ إلى معتقل الواحات الخارجة، وبقينا هناك في ظروف معقولة نسبياً حتى أفرج عنا في ابريل سنة ١٩٦٤ إثر إلغاء الاحكام العرفية وقرار سياسة نصفية المعتقلات.

ومن الغريب أنني قدمت إلى المحاكمة أمام المجلس العسكري بتهمة الاتصال بالاحزاب الشيوعية العربية، مع ان هذا الاتصال كان معروفاً للمسئولين طوال عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨ - باعتباري محرراً للشئون العربية في صحيفة «المساء» كان الاتصال بفيادات هذه الاحزاب من صميم عملي، بل لقد نشرت أكثر من حديث صحفي في «المساء» مع قادة هذه الاحزاب، فلم يكن هناك اذن شيء يخاف على المسئولين فيما يتعلق بهذا الاتصال، ومازلت أذكر أنني كلفت من قبل المسئولين في سفارتنا بالاردن وسوريا عام ١٩٥٧

بأعمال لم تكن من صميم عملي الصحفي ورضيت القيام بها  
عن طيب خاطر لأنها كانت جزءاً من صميم نشاط مصر  
التحرري في المجال العربي آنذاك.

وضمن ذكريات كثيرة ما زلت أذكرها مثلاً أن الأحزاب  
الوطنية في الأردن كانت قد دعت في مايو ١٩٥٧ إلى عقد  
مؤتمر وطني في نابلس لمواجهة السياسة الرجعية للملك  
حسين. وقد حاول الملك أن يمنع قادة هذه الأحزاب من  
الوصول إلى نابلس بكل السبل، ومن بينها محاصرة كل  
الطرق الخارجة من عمان بنقط حراسة عسكرية. وقد تصارف  
وجودي في عمان في هذه الفترة الحرجة، واذ بالحق  
العسكري لسفارتنا - الاستاذ فؤاد هلال برجوني أن أخرج  
في إحدى سيارات السفارة ليلاً ومعى بعض قادة الحزب  
الشيوعي والجهة الوطنية متكرين لانقلهم من عمان إلى  
القدس حيث يتولى القنصل المصري في القدس نقلهم من  
هناك إلى نابلس لحضور المؤتمر. وقبلت رجاءه بطبيعة الحال



ونفذت المهمة على ما فيها من مخاطرات ويشهد على هذه الواقعة الاستاذ فاروق القاضي الصحفي الذي صحبني في هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر.

لقد رويت هذه الواقعة حتى يدرك القارئ سخرية الموقف الذي كان على أن أواجهه أمام المجلس العسكري منهما بشيء يعلمها المسؤولون وكانوا يرجون مني أدعاء، وكان من الطبيعي أن ادلى في تحقيقات النيابة بحقيقة الوقائع وتفاصيل الأحداث وإن اطلب سماع أقوال عدد من المسؤولين الذين كانوا من شهودها ، ولم يكن أمام المجلس العسكري إلا أن يحكم ببراءتي.

ولقد سبق أن ذكرت أن ظروف المعتقل الواحات كانت معقولة نسبيا في تلك الفترة بالقياس إلى ظروف المعتقلات الأخرى. فقد كانت هناك حرية في الحركة داخل أسوار هذا المعتقل الكبير وكانت هناك مزرعة تبعد عن المعتقل بنحو ثلاثة كيلو مترات وكان في مقدورنا الذهاب إلى المزرعة والعمل فيها

إذا شئنا . وقد استطاع المعتقلون بطرقهم الخاصة توفير مكتبة ضخمة من الكتب السياسية والادبية والعلمية والفلسفية والتاريخية، وأجهزة ترائزستور كانت هي صلتنا بأذاعات العالم المختلفة وكانت المكتبة عوناً كبيراً لهؤلاء المثقفين الذين طال حرمانهم على احتمال السجن وقتل وقت الفراغ، واستفدت أنا شخصياً من هذه المكتبة أكبر استفادة إذ استطعت بتنظيم وقتي أن أنجز خلال عام المسودة الأولى من كتابي «العلم والحضارة» الذي صدر عام ١٩٦٧، كما أمكن بالتدريج الحصول على المجلات الأدبية والثقافية التي تصدر في القاهرة. وكان هذا حافزاً لنا لإصدار مجلة حائط أدبية كان لي شرف المشاركة في تحريرها.

ولم تكن صلتنا بالاهالي مقطوعة خلال هذه الفترة، فقد كنا مع المحكوم عليهم بأحكام قضائية في مكان واحد ولم يكن يفرق بيننا إلا لون بدلة السجن، وكان للمحكوم عليهم حق تسليم الخطابات من أهلهم وحق الزيارة مرة كل شهر، على عكسنا نحن المعتقلين إذ كنا بدون حقوق.

ولكن بعد فترة وبالتحديد خلال السنة الاخيرة من حياة المعتقل، استطاع المعتقلون التغلب على هذه الصعوبات.. اذ دبروا وصول خطابات ذويهم لهم عن طريق إرسالها بالبريد باسم أحد المسجونين ، كما استطاع أهالي المعتقلين زيارة ابنائهم بكتابة اسم أحد المسجونين على أورنيك الزيارة عند الوصول إلى باب السجن. وعند الدخول إلى غرفة الزيارة يجيئون ابنهم في انتظارهم! ومن الطبيعي ان إدارة المعتقل كانت على علم بهذا التحايل ، ولكنها كانت تغمض عينيها وتُصرف وكأنها لا تعرف شيئا!

في ظل هذه الظروف استطاعت زوجتي أن تُرودني أربع مرات.. في يوليو سنة ١٩٦٢، سبتمبر سنة ١٩٦٢، يناير سنة ١٩٦٤، وفبراير سنة ١٩٦٤. وجاءت هذه الزيارات بعد فراق أكثر من عامين. وفي ظل هذه الظروف تسلمت منها عددا من الرسائل يجد القارئ بعضها في هذا الكتاب. وفي ظل هذه الظروف استطاع المعتقلون والمسجونون القيام بنشاط ثقافي واسع سيجد القارئ صداه في بعض الخطابات المنشورة بالكتاب. فقد بنى المعتقلون مسرحا في الهواء الطلق وأخرجوا

عددا من المسرحيات المعروفة ونشطت الفرق الرياضية في كرة السلة وكرة القدم ... الخ.

كما اتسع النشاط والخلاف السياسي.. وعندما أتأمل اليوم هذا الجانب فمن الممكن القول إن الخلافات السياسية بين الشيوعيين المصريين كانت قد بدأت قبل يناير سنة ١٩٥٩. وكان محور هذه الخلافات هو الموقف من سياسة الحكومة عام ١٩٥٨، فبينما كانت الاغلبية ترقب هذه السياسة في حذر وتحفظ وينظرة نافذة لقضيتي الوحدة والديمقراطية، كانت مجموعة شهادى عطية تتخذ موقف التأييد شبه المطلق لسياسة عبد الناصر. كان هذا هو الموقف حتى يناير سنة ١٩٥٩، ولكن بدأت بعد ذلك الانقسامات والخلافات داخل صفوف الاغلبية في المعتقل، ان تورط قسم من هذه الاغلبية في تحليلات يسارية خاطئة لسياسة وطبيعة قيادة ثورة يوليو وصلت إلى حد الترويج لنظرية رأسمالية البؤلة الاحتكارية.. الخ. بينما ظل الجزء الآخر محافظا على نظرة واقعية لنظام عبد الناصر ... لا ينكر عليه أصوله الوطنية التقدمية وان ظل

ناقدا للنظام لمواقفه غير الديمقراطية وموقفه الجامد من قضية الوحدة.

فى الواحات انى كانت هناك ثلاثة تيارات سياسية..  
أحدها يكاد يقول إن الاشتراكية تتحقق بالفعل على يد عهد  
الناصر، والآخر يرى فى عهد الناصر ممثلا للاحتكارات  
المصرية والاجنبية والتيار الثالث يرى فى النظام علامات حكم  
فئات البورجوازية الصغيرة بكل ما فيها من مميزات ثورية  
كبيرة وتناقضات ومواقف معادية للديمقراطية..

ولقد كان طبيعيا أن تصدر مجلات سياسية فى الواحات  
تجهر عن هذه التيارات الثلاثة وأن يشتد الصراع والجدل.  
وأحيانا كان يتحول إلى تهجمات شخصية اسماء إلى جو  
المعتقل اساءة باللغة. ولعل هذا الوضع كان أكبر محنة فكرية  
ونفسية اجتزتها فى الواحات، وسوف يرى القارئ قصدا هذا  
فى الخطابات المتبادلة بينى وبين زوجتى.

بعد هذه الصورة العامة أود أن أوضح عددا من الحقائق  
الخاصة بهذه الرسائل.. لقد ظل الاتصال بينى وبين عابدة

ثابت متصلاً طوال السنوات الخمس، ولم ينقطع إلا فترات وجيزة خلال فترة التعذيب في أبو زعبل، وكثير من رسائلها وصلني بالبريد، غير أن بعضها وصل عن طريق رسل شخصيين تطوعوا إما شهامة أو مقابل تقود أن يجعلوا اليها خطاباتي أو يخذلوا عنها خطابات لتسليمها لي، ولكني لم استطع الاحتفاظ برسائلها في السنوات الثلاث الأولى خوفاً من التفتيش المفاجئ لنا داخل المعتقل، وما كان أكثره! واحتفظت فقط بخطاباتها خلال الفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٤ أبان إقامتي بالوحدات. أما رسائلها طوال السنوات الخمس فقد احتفظت هي بها في عناية فائقة، وهكذا وجدت عند إعداد هذا الكتاب كل خطاباتي لها وبعض رسائلها لي..

ولعل هذا يفسر للقارئ ما سوف يلاحظه من أن رسائلها لي في الكتاب لم تبدأ إلا في عام ١٩٦٢.

ومع ذلك فالرسائل المنشورة ليست إلا جزءاً من الرسائل المتبادلة بيننا، ولم أختَر من هذه الرسائل إلا ما رأيت أنه ذو دلالة خاصة في متابعة أحداث الكتاب، وبطبيعة الحال هناك

عشرات أخرى من الخطابات الشخصية التي لم أشعر إليها  
في الكتاب.

يبقى قضية التوقيع في نهاية الرسائل... لقد كنت غالباً  
أوقع خطاباتي باسم «كامل» وليس هذا اسماً سرياً.. أن هذا  
هو اسمي الحقيقي في اسرتي وبين أهلي عندما كنت صغيراً،  
وقد درجت العائلات في زماننا على التقليد الغريب بأن يكون  
للمولود اسم في شهادة الميلاد غير ماينادي به في المنزل.  
أما هي فقد حرصت على التوقيع باسم «عنايات» خوفاً  
من أن تقع الرسائل في أيدي أجهزة الأمن، وكانت فتاديني  
باسم «سعد» في هذه الخطابات لأنها كانت مرسلة باسم  
المسجون الشيوعي الأستاذ سعد رحيمي، ومكتوبة كأنها من  
شقيقته؟

ولقد حرصت على نشر هذه الرسائل كما هي دون إضافة  
أو تعديل.. اللهم الا تصحيح بعض الأخطاء اللغوية أو إعادة  
صياغة بعض الجمل الركيكة مع الاحتفاظ بالمعنى كما هو،  
لأنني حريص على الاحتفاظ بالطابع الفاريسي والإنساني -  
بكل جوانب قوته وضعفه - للرسائل.

ومع ذلك فليست أقصد من هذه الرسائل تأريخاً لهذه الفترة الحرجة من تاريخ مصر.. إن هذا أبعد عما يكون عن ذهني، وإن كنت أزعّم أن هذه الرسائل تعطي القارئ صورة عامة سريعة عما جرى في هذه الفترة من تعذيب وأحداث هامة ونشاطات مختلفة.

إن ما دعاني إلى نشر هذه الرسائل في هذا الوقت بالذات هو وفاة زوجتي عايذة ثابت، وما وجعته من تشجيع من عدد كبير من الأصدقاء - المطلعين على هذه الرسائل - على نشرها، ولم أقصد من النشر أن أقدم كتاباً سياسياً في المحل الأول.

ولكنني أود أن أوضح أنني لست راغباً بهذا النشر في المشاركة في حملة التشهير التي يتعرض لها عبد الناصر، بل وأسعه في السنوات الأخيرة من عناصر رجعية مفرونة بعدائها التقليدي للشعب واحتقاره، والتي تستهدف القضاء على كل المخزات الإيجابية لثورة يوليو.



وغنى عن البيان أنني كنت - ومازلت - مقتنعا بأن عبد  
الناصر هو استمرار حقيقي لعرابي ومصطفى كامل وسعد  
زغلول... وإن كان استمرارا أرقى، وإن الذي يذكر أن عبد  
الناصر هو أحد القادة المرموقين للنضال الوطنى والعربى  
ضد الاستعمار فى العالم الثالث فى العصر الحديث هو  
شخص اما مفرض أو سفيه! ولا أعتقد أن هناك شخصا  
واحدا على أى قدر من الموضوعية يستطيع أن يذكر قيمة  
التحولات الاجتماعية الهامة التى قادها عبد الناصر فى  
المجتمع المصرى.

وليس معنى هذا أنه لم توجد سلبيات هامة ولم ترتكب  
أخطاء وجرائم فى ظل عبد الناصر، لقد سبق لى أن أوضحت  
رأى تفصيلا فى هذه السلبيات، وجوانب القصور فى فكر  
الثورة وأعمالها فى «محاورات اليسار المصرى مع توفيق  
الحكيم». «وقد نشرتها دار القضايا البيروتية منذ عام».

والأكثر من هذا أنى وآخرين كثيرين حاولنا أن ننبه عبد  
الناصر والنظام عموما - إلى خطورة هذه السلبيات فى  
حينها وعندما وقعت! وجاء هذا التنبيه على صورة مقالات

ومطبوعات وخطب انتخابية (سنة ١٩٥٧ عندما كنت مرشحا  
بدائرة الواليلي) ورسائل من بعض المثقفين رفعت إلى عبد  
الناصر من خلال أصدقائه واكتسبني به. وربما دفعنا ثمنا  
باهظاً لهذا النقد في وقت كان معظم قادة حملة التشهير  
الحالية يسبحون بحمد عبد الناصر ويعلنون تأييدهم الأعمى  
له بالحق وبالباطل!

ولأن عبد الناصر كان ولي نعمة كثير من قادة حملة  
التشهير التي تبلورت في السنين الأخيرة. فإن الإنسان لا  
يملك إلا أن يفطر بأشعثان وأزبداء إلى كثير من قادة هذه  
الحملة الذين تعوَّبوا أن يأكلوا على كل الموائد!

إن هذه الرسائل إذن لا تستهدف التشهير وإنما تحكي  
أولاً وأخيراً قصة حب وصمود بين زوجين شابين مثقَّلين  
بالعمل السياسي ابركتهما امعاصير الحركة السياسية بصحة  
اعتقال الزوج أكثر من خمس سنوات وتشريد الزوجة طوال  
هذه الفترة ومع ذلك فقد استطاع هذه الحب أن يصمد  
للاختبار.

ولهذه القصة الإنسانية جانب آخر لا يخفى على القارئ، أن للعواطف الملتهبة التي تبدو في هذه الرسائل ليس مصدرها فقط أنها رسائل زوجة كانت في الرابعة والعشرين من عمرها وزوج كان في الخامسة والثلاثين من عمره بكل ما يعنيه هذا من التهاب العواطف وتنجح الاحاسيس بين عاشقين، وانما مصدرها ايضا رباط فكري قوى ظل يقرب بيننا ويبعث الدفء في حياتنا على طول السنين في ظل الحرية. وبامتزاج هذا الرباط الفكري الاشتراكي بالحب الانساني توالد لدى كل منا احساس عميق بأنه لا يستطيع الاستغناء عن الآخر، وربما جرى بيننا بين الحين والآخر ما يجرى بين كل زوجين من مشاحنات صغيرة، ولكن ظل هذا الشعور الجارف قويا دائما وفي كل الظروف.

لكن عابدة ثابت عانت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٧٥ اثر هاجعة مروعة لم يقدر أي منا انها سوف تنتهي إلى هذه النهاية، ولقد افاضت الصحف والمجلات المصرية والعربية في ذكر الحادث الذي أدى إلى الوفاة وإن كانت قد ذكرت بعض

التفاصيل غير الصحيحة. ولذا يكفيني هنا أن أذكر المرفائى  
الأساسية للحادى ونظوراته.

فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٥ كنت عائدا بالطائرة من روما  
حيث حضرت اجتماعا للخبراء الاختصاصيين لمنظمة التغذية  
والزراعة الدولية. وذهبت زوجتى وابنتى حنان لانتظارى  
كالعادة فى المطار وقبل وصولى بربع ساعة هاجم كلب ضال  
ابنتى حنان وعقرها فى قدمها اليسرى، واندمجت زوجتى  
تدافع عن حنان فهجم الكلب عليها وطرحها على الأرض حيث  
مقرها فى ساقها الأيمن وكفها الأيمن أيضا. ولقد ذهبا إلى  
مستشفى منشية البكرى فوراً حيث جرت الإسعافات الأولية.  
ثم بدأت المستشفى فى اليوم التالى حقن زوجتى وابنتى  
بالمصل المضاد لمرض الكلب لمدة عشرين يوماً أى من ١٨  
أكتوبر حتى ٥ نوفمبر. وبدأت أحسن وأصح من العلاج،  
الامر الذى نفع زوجتى إلى العودة إلى عملها الصحفى فى  
اليوم الخامس عشر من الحادث، وبناء على مشورة الأطباء،  
ولقد ساعد على خلق جو الاطمئنان الكاذب بيننا جهلنا

الكامل بأعراض المرض، وماقاله أطباء مستشفى منشية  
ألبكري ومستشفى الكلب والأطباء الخصوصيون من أن  
المصل مؤكد المفعول ومن أن أعراض المرض - أن يذ -  
فإنما تظهر في اليوم الحادي عشر من الحادث ولا مضي  
اليوم الحادي عشر حتى الثامن عشر من تعقيدات أو شكوى  
شاع الاطمئنان في نفوسنا ، وصافرت يوم ٦ نوفمبر بعد  
انتهاء العلاج لحضور مؤتمر اليونسكو العربي في قطر، وليس  
يخطر على بالي أن وداعها لي على باب منزلنا هو الوداع  
الآخيرا

نعم لقد شكت ليلة سفرى من ألم في ذراعها اليمنى، ولكن  
ما أسهل ما نسيتنا - نحن الاثنان - هذا المجهود الذي بذلته  
في كتابة مقالاتها بيدها اليمنى اثر عوبتها إلى الحمل  
الصحفى، فضلا عن شكواها منذ سنوات من آلام روماتيزمية  
في ذراعيها وقدميها.

الاغرب من ذلك اننى تحدثت معها تليفونيا من قطر قبل  
وقاتها بأربع وعشرين ساعة ولم تكن تشكو الا من ألم شديد

في ذراعها الأيمن، لقد بدأت التعقيدات الصحية خلال الاربع والعشرين ساعة الاخيرة لها، وتدهور الموقف فجأة ودخلت في غيبوبة ثم فاضت روحها الطاهرة في صباح الاثنين ١٠ نوفمبر !

لقد ماتت عابدة ثابت في أنضج سنوات حياتها .. وبعد أن بدا أن القدر قد ابتسم لنا بالبيت السعيد والابنة التي هي قرة عين والنيها، جاءت هذه المفاجعة الخاطفة لتخنيق آملا مزدهرة في حياة سعيدة طويلة لنا نحن الثلاثة، وهكذا شاء القدر أن يحرمني وابنتي من أعز وأحب من كان لنا في الحياة!

كانت عابدة ثابت انسانة بكل معنى الكلمة.. رقيقة كالنسيم، باسمة كالزهور، في دماعة الكلمة الطيبة، وكانت دائما قادرة على أن تسمع في كل من حولها روح البهجة والسرور مهما كانت الظروف. تصدق عليها كلمة الكاتب الامريكي مارك توين حين قال في «يوميات حواء» مشبرا إلى زوجته «لینما حكك كانت هناك جنة»!

ولكن عايذة ثابت كانت شجاعة أيضا خصوصا في  
الدفاع عن المضطهدين والمظلومين والفقراء، إلى الحد الذي  
قد يعتبره الناس تهورا، كانت تكره الظلم والاضطهاد إلى  
أبعد الحدود، وكان قلبها دليلها في هذا الميدان، نصدق عليها  
أيضا كلمة تولستوى حين وصف مكسيم جوركي بأنه صاحب  
«القلب الحكيم» لقد كان قلبها هو دليلها إلى الحكمة، لأنه كان  
يتسمع لمحبة الآخرين وينشغل بالآخرين قبل أن ينشغل  
بشئونها!

ولقد بدا لي دائما أن عايذة ثابت والموت شيئا  
متناقضان، لأنها كانت على الدوام للحياة،  
فما أقسى الحياة بعدها على الذين عرفوها جيدا واحبوها  
من صميم قلوبهم!

عبد العظيم انيس

الف — واد

---



بعد أيام من وصول خطابها الاخير، وبالتحديد في ٢  
أبريل سنة ١٩٦٤ تم ترحيلى مع آخرين من زملائى إلى  
السجن العربى بالقاهرة.. نقلنا بالسيارات إلى سجن أسيوط  
حيث بقينا فى فئته عدة ساعات، وفى مساء نفس اليوم أفلتنا  
بالقطار إلى محطة الجيزة حيث وصلناها الساعة السابعة من  
صباح يوم ٤ أبريل . ومن محطة الجيزة نقلتنا سيارات وزارة  
الداخلية إلى السجن الحربى.

خلال ساعات الليل التى قضيناها فى قطار أسيوط -  
الجيزة حاولت أن أنام وفشلت من طول الإرهاق وشدة  
الانفعال.. هاأنذا اعود مرة أخرى إلى زوجتى وأولادى وأهلى  
وشعب مصر، هاأنذا أعود من جديد إلى أرض الوطن؛

لكنها كنت منغيا خارج البلاد، رغم أنى أعلم علم اليقين  
أن أرض الواحات الخارجة هى جزء لا يتجزأ من أرض  
الوطن.. لعل هذا يثبت مرة بعد مرة أن الوطن ليس هو  
الرمال والشجر والأصفر والميناء، وإنما هو الناس..

للفلاحون والعمال والطلاب والمثقفون والجنود وكل من يضع  
لينة في حاضره مصر ومستقبلها!

هأنذا أعود من جديد فأشرب من ماء النيل بعد أن  
حرمت منه سنوات، وأمتع عيني بخضرة الوادي، وحقله  
السندسية امتع أذنّي بأصوات أولاد البلد وضحكائهم.

أحضست في القطار بمشاعر شديدة الشبه بمشاعري يوم  
عودتي من البعثة عام ١٩٥٢، لحظة اقتراب السفينة من  
شاطئ بورسعيد ، لم أكن أعرف واحداً من المنتظرين على  
الشاطئ ولكني كنت تواقاً إلى احتضانهم جميعاً كأنما هم  
جميعاً أهلي وأخوتي، وعندما نزلت إلى الشاطئ وقابلني أول  
حمال ابتسمت في وجهه ابتسامة عريضة وشددت عليّ يده  
مرحباً كأنما نعرف بعضنا البعض منذ زمان طويل. وأغلب  
الظن أنه نظر إليّ في دهشة لا يفهم لهذه التحية الحارة  
سبباً!

حاولت إذن أن أتسام فلم أفلح، فشغلت نفسي بنظم  
قصيدة بالعامية تعبر عن مشاعر هذه اللحظة ، وبخلفنا

السجن الحرى حوالى الساعة التاسعة صباحا. القيت نظرة على قناء السجن،. سجن ككل سجون الدنيا يبدو عاديا فى مظهره مع أننا كنا نسمع طوال السنوات الخمس عن التعذيب الذى يجرى فى داخله ما يقشعر له البدن. ورأيت كلبين فى قناء السجن يتسكعان فى تكاسل من قلة العمل فيعما يبدوا كانت ابتسامات ضباط المباحث العامة فى انتظارنا، وشئ غير قليل من الادب واللياقة فى المعاملة. قالوا لنا اننا سوف نكون فى بيوتنا بعد ثلاث ساعات عندما ينتهون عن ملء استمارات البيانات اللازمة وتصوير كل واحد منا!

وسألت ضابطا لا أعرف اسمه - وإن بدا أنه يعرف اسمى - ان كان فى استطاعتي أن أتحدث مع اخوتى تليفونيا لاخبرهم اننى بالقاهرة وأنتى ستكون معهم بعد ساعات، فرحب بطلى على الفور، وكانت الصعوبة الاولى أن أذكر أرقام تليفونات منازل اخوتى بعد هذه الغيبة الطويلة، ولكنى تذكرت رقم تليفون شقيقتى فاطمة فى العباسية وأرت الغرض فلم أجد ردا وضعك الضابط قائلا ان أرقام تليفونات العباسية قد تغيرت خلال هذه السنوات. حاولت أن اتصل

بشقيقتي فتحبة في البقي. وجاد صوت زوجها واضحا يسأل:  
من المتكلم؟ وعندما أحيت همرخ الشيخ الكهل - كنتما مسنة  
صاعقة - مناديا علي شقيقتي. وجرت إلي التليفون وهي  
تصرخ وتخمدك وتزغرد وتبكي في أن واحد لا تريد أن  
تصدق. كأن من الضروري أن اضبط عواطفني وأن أطلب  
منها بسرعة أن تتصل بعابدة وأن تعرف العائلة أنني سأذهب  
إلى منزل شقيقتي فاطمة في المعباسية وأن عليهم أن  
ينتظروني هناك. ولم أعطها فرصة أكثر من ذلك ووضعت  
الساعة خوفا على نفسي من الانفصال !

ولا أعرف ما حدث بالضبط بين أخوتي بعد هذه المكافاة،  
ولكنني علمت بعد ذلك أن ولدا من العائلة ظل ينتظروني أمام  
الباب الامامي للسجن الحربي من العاشرة صباحا حتى  
الخامسة بعد ظهر ذلك اليوم !

لما أنا فقد فتح لي - ولثلاثة من زملائي - الباب الخلفي  
للسجن الحربي في الساعة الرابعة بعد الظهر تماما وقيل لنا:  
انصرفوا !

وخرجت إلى دنيا الحرية.. على جسدي سترة قديمة كانت ملقاة في مخازن سجن الواحات سنوات، وفي يدي كيس ممزق من القماش به حاجيات الحلاقة ومعجون وفرشاة أسنان وغيار داخلي وكتاب عن موسيقى الشعر وأخر في المنطق وبعض أبحاثي القديمة في الرياضيات، وفي جيبتي ورقة بخمسة جنيهات هي كل ما أملكه في هذه الدنيا.

ومن السجن الحربي لفت في بقيقة إلى طريق صلاح سالم .. شارع واسع لا أعرف عنه شيئا لأنه أنشئ خلال غيابنا. أين أنا بالضبط في القاهرة؟ لم أكن أدري.. حاولت أن أوقف ناكسيا فلم أفلح.. وعندما جاء أول أوتوبيس ركبت وليس في ذهني أية فكرة إلى أين يذهب: سألت الكمساري: إلى أين يذهب هذا الأوتوبيس فنظر إلي مشدرا - وكانني من أهل الكهف - وقال: أين تريد أن تذهب؟ قلت العباسية، فتعجب: نحن في العباسية!.. أعطيتني الورقة ذات الجنيهات الخمسة فنظر إلي في امتعاض وقال: ما فيش فكرة، قلت: ليس

في جببي مليم آخر وبدء عليه الضيق وفي عينيه تساؤل كأنما يقول لنفسه - من أين هؤلاء الناس ! أه لو يعرف.

وتركني يانسا.. ووجدت بعد ثلاث محطات أُننى عند باب كلية الهندسة جامعة عين شمس نعم، هذا مكان أعرفه ويعرفنى لأننى قعمت بالتدريس فيه منذ سنوات. وقفزت من الاوتوبيس في عجلة وركبت أول تاكسى صادفته وأعطيت السائق العنوان وبدأ على السائق الدهشة.. فالمسافة صغيرة لا تستحق ركوب تاكسى ولكنى أصررت..

وعندما ارتقيت درجات العمارة - متجاهلا المصعد - في سرعة وضغطت على جرس الشقة لم يكن فيها غير شقيقتى وابنة عمى وأمها. أما الباقون فقد كانوا هناك.. عند الباب الامامى للسجن الحربى ينتظرون! كانت شقيقتى تنتظر عودة صبرى المكوجى بالفساتين التى أرسلتها لكى فى هذه المناسبة. وذهبت ابنة عمى تفتح الباب فى تضاؤل المكوجى الصغير فوجدتني أمامها، وإذا بها تقع على الارض مغشية عليها!

ثمة لحظات شديدة القسوة من شدة الانفعال في حياة كل  
إنسان، وتلك كانت إحدى هذه اللحظات في حياتي، لست  
أذكر ماذا فعلت بالضبط ولا ماذا فعلوا وقالوا لي، ولكني  
مازلت أذكر أنني ظلمت لبقائي أسمع أصواتنا غامضة  
متضاربة متناقضة كأنني في حلم رهيب، لا أفسر منها شيئاً  
وعندما هدأ كل شيء عرفت أن عايده ثابت بالاسكندرية في  
زيارة لخالها، وأن أولادي، أيضاً خارج القاهرة،  
لكنها عابت في المساء، وكان لقاء .. وأي لقاء!

قال: من؟

قالوا: سليمان الحلبى

---



ليغفر لي الصديق الأديب الفريد فرج اقتباس هذا العنوان  
من مسرحيته «سليمان الحلبي» التي منحت على المسرح  
القومي في الستينيات بنجاح هائل - قضى اليوم - بعد ما  
يقرب من عشرين عاماً على هذا الحدث الفني الكبير - ما زالت  
أذكر بعضاً من مشاهدته وكنتى وأيتها بالأمس فقط !

كان المشهد الذي هزنى بشكل خاص هو مشهد ذهاب  
سليمان الحلبي مع صديقه محمد المصري - وهما من أبناء  
الأزهر وتلاميذ أساتذته المخلصين حقاً لطريق الرب -  
بحاولان مقابلة الشيخ عبدالله الشرقاوى - وسليمان لم يكن  
يمالك إلا أن يفارن في عقله القلق وضحيته المعذب بين موقف  
الشيخ الشرقاوى الذي قبل أن يهادن المحتل الفرنسي  
بونايرت «سارى عسكر الفرنسيين» ويدخل عضواً في ديوانه،  
وبين موقف مولانا الشيخ السادات الذي أثار السجن على مثل  
هذا الموقف . ومحمد يحاول جاهداً أن يثنى سليمان عن  
زيارة الشرقاوى ، لكن سليمان يصصر ويقول لصديقه «علمنى

الشرققاوى قاضئناى بالقلق المبارك أكره أن أهديه بعض  
وساوس المروءة ٥٧ .

فلما نادى المنادى باسم سليمان الحلبي فى منزل الشيخ  
الشرققاوى ، بهت الشيخ العجوز يستعيز بفطنته أن تهديه  
لسبب هذه الزيارة المفاجئة فيتهياً لها بما يناسبها من  
التحفظ أو الترحاب . لكن فطنته لم تسعفه ، فقال : من ؟  
قالوا : سليمان الحلبي ! .

وقال الكورس فى المسرح : سليمان الحلبي ، سليمان  
الحلبي ، سليمان الحلبي ، اسم ليس له رنين نعرفه ، لا رنين  
الذهب الأبريز ولا رنين الفضة الصافية . ولا رنين البرونز  
الملوى ، ولا الصفيح الجعجاع ، ذلك أنه عملة جديدة لم يخبر  
رئيسها بعد سلطان أو شحاذ ، شاعر أو مبدع ، بمسئوم  
متآله ، أو عبد ذليل ، رعين سوف يدهش العقول فيما بعد  
ويطيش الصواب ، «بهت له الرجال ومزخت النساء ، قصدت  
له الأبطال وتصدت به الأبطال ، أطلقه الحب ورجعه الحقد ،  
وهكذا صهرته نوازع العار ونوازع الشرف ، ولم يكن أحد قد  
اختبره بعد أو تخيل معدنه » .

وهنا نحن من جديد - بعد نحو مائة وخمسين عاما -  
نشهد في المشرق العربي سليمان آخر جديد ، له أسماء  
عديدة على وجه اليقين ، فهو أحيانا يعرف باسم سليمان  
النابلسي أو سليمان المقدسي ، أو سليمان القرني وأحيانا  
أخرى يعرف باسم سليمان البيروتي أو سليمان الطرابلسي ،  
وهو اليوم يعرف باسم سليمان الصيداوي .

إنه لا يتحرك وحده ، وإنما يتحرك كالطيف في جبال لبنان  
وشحابها وسط مجموعة صغيرة ، وهو لا يحمل في يده  
خنجرا ، كما كان يحمل سليمان الحلبي ، وإنما يحمل في يده  
مدفع كلاشنكوف وعلى كتفه صاروخ أو يقود سيارة مليئة  
بالمتفجرات وهو يتجه إلى قاعدة من قواعد الاحتلال  
الصهيوني أو الابرالي...

الآن يعرف العالم العربي ولا يجهل رنين هذه العملة  
الجديدة ، إنه رنين الذهب الابريز . والآن خبر السلاطين  
المواطنين والاستعماريين المتألهين والعشاة المتجبرون  
رنين هذه العملة الجديدة - وبسببها خرجت قوات الاحتلال

الأمريكي من بيروت وانسحب الاسطول السادس وبدأ  
الصهاينة يبحثون عن مخرج ، وفزع المهادنون والمثواطنون  
كلما سمعوا رنين هذه العملة الجديدة، لأنهم يحسمون في  
قرارة أنفسهم أنها سوف تصوغ المستقبل البعيد للوطن  
العربي مهما كانت التضحيات والألام .

وكما فرز سليمان الحلبي موقف الشيخ الشرقاوي المهادن  
عن موقف التشيخ السادات المتعرد ، كذلك يفعل سليمان  
الحديث . فيفرز الناس إلى جانبين : جانب الفالخين بالمهانة  
مع الأجنبي المحتل ، وجانب المتربين المصممين على دحر  
الاستعمار والصهاينة وطردهم بقوة السلاح .، جانب  
الراضين بالتسوية في ظل الضعف لأنها تحقق مصالحهم  
الخاصة ، وجانب الذين ترتبط مصالحهم الاجتماعية بتحرير  
الأرض وانتشار العدالة وإعلاء قيمة العمل .

وكما سقط سليمان واحد في جنوب لبنان أو في فلسطين،  
ظهر عشرات بل مئات يحملون اسم سليمان ، لا أحد يعرف  
على وجه الدقة وجوههم ، وبعضهم يولد ويصل سلاحه

ويحارب ثم يسقط في المارك تون كلمة واحدة .

لكننا في العالم العربي نعرف رنينهم بأنه ليس رنين  
الصفيح الجعاج !

وكما ثار سليمان حلي على الذين دعوه ألا يركب أجنحة  
الشطوط وينسى قيعة الحياة وقال لهم : « وهزيمة أمة كريهة ..  
ما قولك .. أن نلبس العار ونأكل الخدم ، وعندئذ يصبح  
الجحيم نظام حياة .. قدم رجولتك للمهانة وأطلقاك لأنياب  
الجورع وعنق جارك للمثمنة .. اركع وادفع ! وعش لتتحول  
بفعل الساحر الفرنسي الأسود من رجل إلى كلب .. واسجد  
لغير الله ما تشاء ، وأرق ماء وجهك وعينيك ما تشاء ، فقد  
منحك كليبر ساري عسكر الفرنسيين أمان الحياة ،

كذلك يقول سليمان الحديث ، ونكاد نسمع صوته الهادر :  
«وصبرا وشاتيلا، والمستعمرات الصهيونية في الضفة ،  
والتخطيط لاحتلال جنوب لبنان بجيوش العملاء من أمثال  
أنطوان لحيد ، والأسلحة الأمريكية لإسرائيل ، والحلف  
الاستراتيجي بين الصهاينة وواشنطن ، ومضروع ريجان الذي

يهدم حق تقرير المصير .

ما قولاك : أن نلبس العار ونأكل التهم في ظل تسويات هي  
والاستسلام سواء . وعندئذ يصبح الجحيم نظام حياة .  
ويعلو صوت الصفائح الجعجاء!

فكم يکینا

دمعتین ووردۀ

---

حين طويت آخر صفحة من كتاب فريدة النفاس الجديد  
(السجن - دمعتان ووردة) أخذت أسأل نفسي : لماذا أقبلت  
على قراءة الكتاب بهذا النهم الغريب مع أن عالم السجن ليس  
جديدا بالنسبة لى وعلى كثرة مشاغلى فى هذا الموسم من  
السنة الأكاديمية ؟

هل يكفى أن أقول إن صداقتى لفريدة هى السبب ؟ لا  
أعتقد هذا سببا كافيا ..

قلت : ربما كان السبب أن عالم سجن النساء هو الجديد  
وربما كان السبب الأهم أن هذا الكتاب هو أول شهادة  
أقروها لمناضلة مصرية عن السجن مع كثرة شهادات الرجال  
الذين دخلوه لأسباب سياسية يدا من كتاب العقاد (فى  
السجن) وانتهاء بكتاب فتحي عبد الفتاح (شمسوعيون  
وناصريون) وكتابى (رسائل الحب والحزن والثورة) .

نعم .. هذه ان فريدة النفاس المناضلة والأم والزوجة  
والصحفية تدلى بشهادتها عن السجن الذى قضت فيه نحو  
شهرين فى أغسطس ١٩٧٩ عندما اقتادوها فى زوجها



جسرين من مصيف جعصنة ثم أعيدت إليه مرة أخرى في ٢٦ مارس ١٩٨١ وقضت فيه نحو تسعة أشهر .

تم هذا كله في مرحلة من أخطر مراحل عصر الحديثة مرحلة الردة الساداتية عندما خان نظام السادات كل تراثنا السياسي والوطني والثقافي، وأدار ظهره لمصالح هذا الوطن وتلك الأمة وداس باسم السلام كرامة الشعب وشهداءه بأخذية الغزاة الصهيونية والأمريكيين، عندما زيف الاستسلام فقبل إنه السلام .. أو بمعنى آخر عندما تمت خيانة كل القدرات التضامنية لثورة عرابي وثورة ١٩١٩ وثورة يوليو المجيدة تحت أعلام كامب دافيد .

كانت التهمة التي وجهت إلى فريدة النقاش هي عضوية الحزب الشيوعي المصري لكن كان ذلك شكلا لا أكثر ولا أقل، أما المضمون الحقيقي للتهمة فهو نشاطها وتضامها في صف القوى الوطنية المصرية التي وقفت - بون حساب للربح أو الخسارة - ضد هذه الردة السياسية ضد الاستسلام وخيانة مصالح المواطن ، فقالت ضمن دُلو ف : لن يمر الصهيونية من

هنا ونحن في القاهرة وهي لاتزال صامدة في هذه المعركة  
الحاسمة معركة تكون أو لا تكون : لم تطو اعلامها ولم تنزوا  
في ثياب الحداد !

عندما نقفل آخر صفحة من كتابها بآثينا من بعيد صوت  
فنان الشعب اللبناني مارسيل خليفة وهو يغنى قصيدة  
الشاعر العربي:

أجعل الأمهات التي انتظرت ابنها

أجعل الأمهات التي انتظرت

وعاد مستشهدا .

فبكمت دمعتين ووردة ولم تنزوا

في ثياب الحداد .

وها نحن دائما وعلى طول مسيرتنا الصعبة نبكي دمعتين  
ووردة ، نترك للأجيال التي تلينا ليس دموعنا الغزيرة وإنما  
هذه الوردة التي تعهدناها من طينة شهدائنا من محبتهم لهذا  
الوطن وذلك الشعب بعماله وفلاحيه وجنوده ومثقفيه .

عندما صيقت فريدة في المرة الأولى إلى زنزانة قلعة في  
مبنى المباحث العامة سألها الحارس العجوز : لماذا جئت ؟  
قالت : لا أدري ولكنني عضو في حزب التجمع الذي تلاحقه  
الحكومة قال الحارس العجوز : حين تشتد العواصف ليس  
عيبا أن ينجني الناس يا ابنتي .. تذكرى أولادك .. كيف يكون  
حالهم إذا تعرضت للحبس الطويل .

لكن لهذا الشعب حكمة أخرى غير حكمة هذا الحارس  
العجوز، غير حكمة الربيع والخسارة وربما لم يكن هذا  
الحارس يعرف أن فريدة وزوجها حسين قد تركا وراعيهما  
عندما أتيا إلى السجن طفلين في المنزل هما رشا وجاسر ،  
كذلك كان حال فتحية زوجة زكي مراد عندما أخذوها بعد  
مصرعه بشهور فتركت وراعيها أربعة أطفال أصغرهم لم تكن  
قد أكملت عامين من العمر ، وكذلك فعلوا بشاهنדה زوجة شهيد  
كشميش صلاح حسين الذي اغتاله الاقطاعيون في زمن  
عبد الناصر فتركت وراعيها ابنتها الصغيرة باسمه وهي  
مأخوذة إلى السجن .

فريدة وفتحية وشاهنده .. هذا الثلاثي الفد من نساء  
مصر في سجون السادات لم يدعين بطولة رائغة في هذا  
الموقف فكم سالت دموعهن حزنا على فراقهن لأطفالهن،  
لكنهن تعظمن الصبر والصمود والتواضع وكان وضوح الرؤية  
عاملا هاما في هذا الفماسك وتلك الصلابة .

كتبت فريدة من السجن إلى ابنها جاسر تقول : نحن يا  
حبيبي نعيش في ظل هيمنة هؤلاء الذين ابتذلوا ثقافتنا  
الوطنية والقومية وراثتنا ليقيموا أدلة على طيبة الظالمين ..  
ذلك لئلا عظيم لا يكفر عنه شيء مهما كبر .. فها بالنا لو  
كانت كفارتهم ذلك الابتهاال الزائف إلى الله والتفتيش في  
القرآن الكريم لاستخراج شهادة براءة لأعدائنا .. إن صلاتهم  
الحقيقية يا حبيبي وقرابينهم تقدم للبنتاجون والكونجرس  
والكنيسة فهل تنتظر من هؤلاء أن يعرفوا لغة الغياب  
والحضور هل تحزن يا حبيبي لأننا نتمنى إلى هذا الميلاد  
الصعب للعالم القادم ؟

نحن فقط نتعيب بهذا العذر القاهر فلا تحزن وانتظرونا دائما.

وفي سجن القناطر كان صوت شاهنشاة الفحاشى يدوي بحكمة القلب الذى عرف طريقه إلى تلك الحكمة من خلال المأساة .. مأساة مصرع الزوج برصاص الإقطاعيين واستشهاد شقيقها الطيار أشرف بقذيفة أمريكية صهيونية فى آخر يوم من أيام حرب الاستنزاف على ضفاف القناة .

ولم تتردد عندما رأت أحد ضباط المباحث يهم بالصلاة فى أن تمسكه من ذراعه وتقول له : « إن الله لن يقبل هذه الصلاة أبدا .. تعذب الناس ثم تتصور أن المغفرة سهلة ! ذا بعدك .. » كما لم تتردد فى أن تنتزع بيديها القويتين أسلاك الشباك الذى حاول ضابط المباحث أن يضعها على زنازنتها ويزنازة صافى ناز كاظم فى محاولة لمنعهما من الاتصال .

كان مكسيم جوركى يحكى للكاتب العظيم تولاستوى كيف عمل فى مرحلة من حياته بسفانيا فى منزل جنرال روسى من

جنرالات القيصر .. وفوجىء ذات يوم وهو يعمل فى الحديقة  
بزوجة الجنرال مضرب إحدى خادومات المنزل ضربا وحشيا  
فلم يتمالك جوركي نفسه وهجم على زوجة الجنرال وضربها  
على مؤخرتها ! وأنقذ الخادمة لكنه فصل من عمله .  
وضحك تولستوى حتى دسعت عيناه وقال لجوركي : إن لك  
قلبا حكيما !

بهذه الحكمة الشى فى القلب كما هى فى العقل تشهد  
عشرات وعشرات من صفحات كتاب فريدة النقاش .  
وهى تحكى قصة هذا الثلاثى من نساء مصر فى سجن  
القناطر فى مواجهة القضبان والمفتاح الثقيل الذى يدير كل  
عصر فى باب الزنزانة فيعلن عزلتهن النهائية لمدة أربعة عشر  
ساعة متواصلة من كل يوم :

أليس من حقنا أن نقول مع الشاعر :  
أجمل الأمهات التى عيضا لا تقام  
تخلل تراقب نجما يحوم .  
على جنة فى الظلام .

لكن كتاب فريدة النقاش لا يقدم شهادة مناضلة مصرية  
فى السجن فحسب ولا هى تقدم مجرد الرسائل الشعرية  
الرفيعة التى كانت تبعث بها إلى زوجها فى سجن طرة أو إلى  
ولديها جاسر ورضا فى الخارج والتى عبرت بها عن أزماتها  
العاطفية لابتعادها عنهما وما يمكن أن يسببه هذا البعد  
والاعتقال لهما من أزمات نفسية كما عبرت بها عن صمودها  
الإنسانى فى وجه الظلم والقضبان .

كلا .. لقد قدمت فريدة أيضا فى هذا الكتاب شهادة فذة  
عن الحياة الحقيقية فى سجون مصر اليوم .. وفى سجن  
النساء بالقطاطر بالذات عن تريزا ونظيمة المصنورتين، عن  
السيدة «مزاج» تاجرة المخدرات ، عن لبللى المطوقة التى  
احترفت الدعارة، عن مأساة موت صفية التى ضبظت تعارس  
الجنس مع مسجونة صغيرة، عن مهندسة الديكور ( ل . ح )  
التي تزوجت الكويتى العجوز وعاشت ابنه الشاب ، وعن  
مشروع الراقصة المجهضة (صاحبة) التى تذكرنا شخصيتها  
بغريب اليونانى فى الرواية أو الفيلم، عن سلوى التى نشلت

ساعة من إحدى تاجرات المخدرات عندما علمت أن ساعة فريدة لا تعمل وقدمتها لها تحية ومودة .

في هذا العالم الغريب المليء بالعمل والجرب والعراك القبيح والإيقاعات الشعبية من عويل ورقص وغناء وبذخاير وطقوس ذات ملامح أفريقية نمشي تاجرات المخدرات مرفوعات الرأس محصنات بما يملكن سواء في خارج السجن أو داخله . تحتقرن كل الجرائم الأخرى باستثناء السياسة لأنهن يعرفن من خبرتهن أن الانقسام الاجتماعي الموجود في الخارج ممتد بشكل أكثر ضراوة إلى داخل السجن، وأن الفساد والرشوة اللتين بالخارج هما سلعة عادية ومقبولة بالداخل أيضا . . ومع هذا كله ثمة عديد من المواقف الإنسانية التي لم تخطئها عين فريدة الصحفية وقلب فريدة الفنانة والتي لا يتمسح الحديث عنها في مثل هذه العجالة .

وتعترف فريدة في النهاية أن كتابها هذا يبدو بلا ختام . . كتابا مفتوحا قابلا أبدا . . للزيادة وليس للنقصان . . فمتى يختم مثل هذا الكتاب إذن ؟



تقول فريدة : «عندما ينجح المد الديمقراطي في إسقاط القوانين الاستثنائية وإلغاء حالة الطوارئ وإطلاق المعتقلين السياسية إلى الأبد وصولاً إلى اليوم الذي ننتزع فيه الجماهير الديمقراطية وتحرسها .

وإلى أن يأتي هذا اليوم سنظل مثل هذه الكتب مفتوحة بلا ختام وسنظل عيوننا أيضاً مفتوحة بلا أحلام ذاتية أو أوهام » .

**حوار مع الدكتور عبد العظيم انيس**

---

ضم الدكتور عبد العظيم أنيس هذا الحوار إلى كتابه فهو  
يتضمن رأيه في اليسار ويعتز بهذا الرأي، وأراد أن يكون  
في خاتمة الكتاب

هناك لحظات في التاريخ تميز بخلط الأوراق وافشاد  
الرؤية ، وتسود فيها العملة الرديئة ، التي تطرد العملة الجيدة  
من التعامل، ومثل هذه اللحظات تحتاج إلى العين الثاقبة التي  
تفرز الغث من الثمين وتحدد اتجاه البوصلة ، وتقيم حقيقة  
الأنوار التي تطفو فوق السطح وتسيّد المشهد ، ولعل الواقع  
المصري في لحظته الهشة الراهنة - وبخاصة في الثقافة  
والسياسة - هو أكبر مثال على هذا الخلط ، ولعل هذا أيضا  
هو ما دفعنا للحديث مع الدكتور عبد العظيم أنيس ، فهو من  
العيون الثاقبة في وطن تحاصره الغشاوة ، والدكتور أنيس  
غنى عن التعريف فهو من أكبر مفكري اليسار المصري  
انسحاقا مع النفس . وذات يوم قال الدكتور جلال أمين إن لفظ  
متكف لا ينطبق بحق إلا على قليل منهم عبد العظيم أنيس ليس  
لأنه عالم للرياضيات ولا لأنه كاتب وناقد للأرب والفكر ولكن  
لأنه مهموم طوال الوقت بقضايا وطنه وأمنه ...

وفي هذا الحوار يرفض الدكتور أنيس أن نطلق لفظ «متقف» على كثيرين يمتلكون معرفة عالية جدا ولكنهم يعيشون بـجوار الحائط في الحوار أيضا قضايا عديدة حول الأزمة الثقافية الراهنة ومؤتمر المثقفين المزمع عقده وعلاقة عبدالناصر بالبشار المصري وقصة انسحاب الدكتور أنيس فجأة من الكتابة في جريدة «الوفد» وغيرها من القضايا ..

لكننا أثرنا أن نبدأ بمعرفة رأيه فيما رواه الدكتور رفعت السعيد الأمين العام للتجمع بخصوص د. أنيس في كتابه «مجرد زكريات» الذي صدر أخيرا وفيه بروى أن «بريماكوف» المراسل السابق لجريدة «برافدا» السوفييتية اتصل به هو والأستاذ خالد محيي الدين موقدا من القيادة السوفييتية وطلب منهما أن يرفض حزب التجمع الموافقة على الاتفاق الأردني الفلسطيني عام ١٩٨٤ حيث إن هذا الرفض الذي كان مطلبا للقيادة السوفييتية هو ما فعلته جميع الأحزاب اليسارية العربية . وكان الاتفاق يقضى بضم جزء من فلسطين المحتلة إلى الأردن في دولة واحدة .. وكان د. رفعت

السعيد وأ. خالد محيي الدين قد قررا قبول الاتفاق لإبلاغ  
السوفييت رسالة بأن التجمع لا يتلقى الأوامر منهم ، إلا أن  
الدكتور أنيس - حسب رواية د. رقعت - قاد فريق المعارضة  
للاتفاق في اللجنة المركزية للتجمع بحجة أن جميع الأحزاب  
اليسارية العربية قد رفضته ..

سألنا الدكتور أنيس ما حقيقة القصة ؟

فقال : أولا هو حكي قصة غريبة جدا حول لقائه هو وخالد  
محيي الدين مع بريماكوف . هذه القصة لم أسمع بها نهائيا  
، وقال إن اللجنة التي استخدمتها في رفض هذا الاتفاق هي  
أن الأحزاب العربية اليسارية أخذت موقفا من الاتفاق فلما  
لا تأخذ نحن نفس الموقف وهذا غير صحيح لأن هذه اللجنة  
لم استخدمها إلا في آخر الكلام . وأحب أن أوضح في  
البداية عدة نقاط أولا هو يدعى أنني قدت الحملة في اللجنة  
المركزية ، ولعلكم أنا عيسى ما دخلت قيادة التجمع أبدا لأنني  
عندما أنشئ التجمع كنت أعمل في المعهد العربي للتخطيط  
بالكويت ورجعت إلى مصر في ٣١ أغسطس ١٩٨١ أي قبل

اعتقالات السادات بثلاثة أيام . وعلى هذا الأساس لم أكن في القيادة . وحين وصلت فأتخني بعض الأصدقاء أن تدخل قيادة التجمع قلت لهم لا .. أنا مستعد للمساعدة فقط وحين أشارك في القيادة أشارك من هذه المنطقة ، حيث وجدت أن الموقف الذي حدث واعتقال الناس يستدعي أن أشارك وشاركت فعلا بكل قوة في اللجنة السياسية دون أن أكون عضوا .

هذا معناه أنك لم توقع استمارة عضوية ؟

لم يحدث أبدا أن وقعت استمارة عضوية وكان لي وأنا في الكويت تحفظات على التجمع ، لكن الوضع الجديد الخاص باعتقالات الناس جعل من واجبي أن أشارك وظلت هذه المشاركة إلي أن حدث المؤتمر العام سنة ١٩٨٤ والذي كانت فيه واقعة الانفاق الأردني الفلسطيني أو الخيار الأردني الفلسطيني . وفوجئت أن جدول أعمال المؤتمر لا يتضمن إدخال الاتفاق فيه لمناقشة قطايت بوضعه في جدول الأعمال . قالوا لابد أن يكون هناك عدد معين من الأعضاء يطالبون

بهذا المطلب ، فجمعنا توقيعات ١٢٠ عضواً من أعضاء المؤتمر فاضطروا لمناقشته ، وكنت أنا شديد الانقياد لعرفات والقيادة الفلسطينية في ذلك الوقت وشرحت الموقف والأسس المبدئية والسياسية التي أدعو فيها لرفض الاتفاق .

وما هذه الأسس ؟

كأن الاتفاق بين عرفات والحكومة الأردنية يقوم على أساس أنه يمكن أن تنشأ كحل للقضية الفلسطينية دولة واحدة تضم جزءاً من فلسطين والأردن ، وهذا معناه أن قضية تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وإقامة دولة فلسطينية تكون قد انتهت ونعود للوضع القديم الذي كانت فيه الضفة الغربية تابعة للأردن ، واستمر الكلام في المؤتمر في الصباح وكلمتي استقبلت استقبالا حافلا إلى أن رفعت الجلسة للغدا ، وفوجئت بأن جاحي الدكتور إبراهيم سعد الدين وقال لي : إن خالد محيي الدين يقول إذا صوتت الأغلبية لصالح وجهة نظرك فإنه سيستقيل من رئاسة التجمع ويقترح أن تعين بدلا منه ، قلت له أنا غير مستعد إطلاقا لذلك ، وإذا

كان هذا أسلوب الضغط لكي نسحب القرار فتحن لا نستطيع الآن أن نفعل ذلك . وعندما جاء وقت التصويت على القرار ، لاحظت حركة غريبة من الأعضاء المتعاطفين مع وجهة نظري، ويبدو أن مسافة تهديد خالد بالاستقالة أخافهم فبدأوا الاتصال برؤسائهم وإعطائهم تعليمات لكي يصوتوا ضد القرار أي يصوتوا ضد رفض الاتفاق حتى لا يأخذ القرار أغلبية في المؤتمر . وتم هذا فعلا وفوجئت بورقة أخرى وقع عليها ٥٠ عضوا من أعضاء التجمع بترشيح الدكتور عبدالعظيم أنيس للمشاركة في القيادة ووقف خالد محيى الدين وقال نحن نناشد الدكتور عبدالعظيم قلت أنا معذرة ولا أريد أن أدخل في القيادة لأنى غير مستعد وفعلنا تمت الانتخابات دون أن أكون موجودا فيها .

لماذا لم تدخل في القيادة ؟

لأنى لم أشعر بأى جدية فى هذه القيادة وكنت أعتبر أن وجهة نظري التى شرحتها بخصوص الاتفاق قضية أساسية لكن الاتصالات الجانبية التى حدثت خوفا من التهديد بالاستقالة غيرت القرار ، ثم إننى لم أقل إن الأحزاب العربية



اليسارية كلها رفضت الاتفاق إلا في آخر الكلام أي بعد شرح وجهة النظر المبدئية والسياسية .

إذا لم يكن السبب لموافقة قيادة التجمع على الاتفاق هو إعطاء درس للسوفييت كما يقول الدكتور رفعت فما السبب الحقيقي إذن؟

السبب الحقيقي هو ما قيل في المؤتمر فعلا . قالوا احنا مع القيادة الفلسطينية وما توافق عليه نوافق عليه . وأنا كان رأيي أن هذه ليست قضية خاصة بأندونيسيا فالصراع العربي الإسرائيلي يخص العرب جميعا وليس القيادة الفلسطينية فقط وبهنا جميعا . ونحن في مصر دخلنا في حروب مع إسرائيل وقدعنا شهداء وبالتالي فمستقبلنا مرتبط بهذا الصراع وعلى هذا الأساس فلا نستطيع أن نسلم رفعتنا للقيادة الفلسطينية إذا وافقت على شيء لابد أن نوافق .

هل كانت هناك مواقف مماثلة اتخذتها القيادة ؟

مثلا اتفاق أوسلو لم يعارضوه بينما عارضته كل أحزاب المعارضة المصرية والعربية وعارضه الشعب الفلسطيني نفسه

، بينما لم يأخذوا موقفا واضحا في هذا الموضوع ، أكثر من ذلك كلما كتبت مقالا في «الأمالي» عن القضية الفلسطينية أيام حسين عبدالرازق وكان متعاطفا معي ، كان عرقا يحث على المقال عند خالد محبي الدين وكان حساسا أكثر من اللازم ، لكنهم في موضوع كوينهاجن لم يستطيعوا أن يأخذوا موقفا مزيذا ، وجدوا أن المسألة ستكون فجأة وتركوا لطفى الخولي يتصرف براحته وكان ينتظر تأييد القيادة لكنها لم تزيده فاستقال ، لكنهم في نفس الوقت لم يكن موقفهم من مسألة كوينهاجن بالقوة الواجبة . وفي كل الأحوال فقد كنت أشعر أن قيادة التجمع منذ المؤتمر الذي ذكرناه إلى الآن أنها هي ومنظمة التحرير جبهة واحدة لا يختلفان في أي شيء .. وجاء وقت أنه من الأفضل ألا أكون موجودا في التجمع فقاطعت اجتماعاته لكنني لم أكتب استقالة لأنني لم أكن عضوا فيه أصلا .

هذا معناه أنك لم تلتق مع بريماكوف ولم يتصل بك ؟  
 عمري ما شوفت بريماكوف ولا أعرفه خالص ، حتى عندما كان مراسلا لجريدة براقدا في مصر لم ألتق به ، وإذا

كانوا يقولون إنهم اتخذوا هذا الموقف لكي يكون رسالة  
للسوفييت مضمونها أنهم لا يسمعون كلامهم . الموضوع لا  
يمكن حسابه بهذه الطريقة ، فإذا كان هناك خطأ في الموقف  
الروسي كان يجب كشف هذا الخطأ ، وهل إذا اتخذوا موقفا  
ضد الاتفاق سيكون هذا معناه أنهم مع السوفييت ،  
الناصريون مثلا كانوا ضد الاتفاق فهل هذا معناه أنه مع  
السوفييت ، أنا رأي أن المواقف السياسية لا ينبغي أن تؤخذ  
على هذا الأساس ، فالمواقف الصحيحة تؤخذ على أسس  
مبدئية محترمة بصرف النظر عن أنها من السوفييت أم لا ..  
ببساطة الاتفاق الأردني الفلسطيني كان معناه في وقتها  
إلغاء حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وإقامة دولته  
المستقلة عرفتضه ..

لاحظ الناس أنك بدأت تكتب مقالا أسبوعيا في «الوفد»  
وبعد مدة قليلة امتنعت فجأة عن الكتابة فلماذا ؟  
أنا لم أسمع للكتابة في الوفد وإنما هم الذين سغوا لأكتب  
عندهم ، وكان ذلك في إطار تغيير شكل الصحيفة بعد

الانتخابات الأخيرة ، فقد استقروا لاستكتاب عدد من الكتاب من خارج الوفد يمثلون اليمين واليسار والوسط . وفوجئت بانصال رئيس التحرير بي وقال لي وقع عليك الاختبار كممثل لليسار ونريدك أن تكتب مقالا اسبوعيا كل يوم سهت فطلبت منه مهلة للتفكير ثم وافقت ، وكتبت المقال الأول عن ذكرياتي مع التيار اليساري في الوفد والطليعة الوفدية ، فأنا نشأت في عائلة وفدية وكان أخي إبراهيم شاعرا وكان يخطب أمام سعد زغلول ، المهم كانوا سعداء بهذا المقال باعتباره مقالا عن ذكريات جميلة ، وأرسلت المقال الثاني فنشروه في صوعده ، وفي المقال الثالث فوجئت أنهم لم ينشروه . وظهر مكانه مقال عن مسلسل «أوان الورد» لصافيناز كاظم اتصلت برئيس التحرير في المكتب وفي البيت وعلى المحمول فتهرب مني لمدة ٤ أيام .

ما موضوع المقال ولماذا لم ينشر ؟

كان عن حقيقة أوضاعنا الاقتصادية ، وأنا دائما في مقالاتي أقسمها إلى موضوع رئيسي وموضوع جانبي .

الموضوع الرئيسي كان عن حقيقة أوضاعنا الاقتصادية والجزء الجانبي كان عن عودة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية . وكنت بالطبع ضد عودة المفاوضات لأن عودتها لا نخدم سوى كليلتون الذي يريد قبل خروجه من البيت الأبيض أن يفعل شيئاً يكتب له في التاريخ بعد فضيحة مونيتكا ويريد أن يحصل على جائزة نوبل ، ومفهوم أيضاً موقف باراك الذي يدخل انتخابات جديدة ، ويريد أن يظهر بعظم رجل سلام ، وقلت: إن هناك إجماعاً من جميع القوى الوطنية والإسلامية بما في ذلك منظمة فتح ضد عودة المفاوضات وداعين لإضراب عام لتترك هذه المفاوضات وقلت إن مما لم أقصمه هو موقف عرفات والحكام العرب الذين يسانونوه وأظن أن هذا هو السبب في عدم نشر المقال ،

لكن المقال نشر بعد ذلك قلماذا تظن هذا الظن ؟

المقال نشر بعد موعده بأسبوع وبعد أن اتصل بهم عدد من الناس وسألوهم لماذا لم يظهر مقالتي ، ونشر المقال بعد أسبوع من موعده أفقده قيمته لأن الأحداث سارت في مسار

آخر ونصبح مثل الكلام البايث ، وفنا آخمن أن السبب في عدم نشره هو الجزء الخاص بالمفاوضات لأنهم يتشرون كلاما كثيرا عن المشاكل الاقتصادية لكن يبدو أن الكلام في القضية الفلسطينية يتعاملون معه بحساسية فهناك تصريح لنعمان جمعة قال فيه نحن لا نزايد على الرئيس مبارك في موضوع فلسطين ، بعد ذلك اتصل بي رئيس التحرير وبرز عدم اتصاله السابق بكثرة متابعه في الجريدة وقال إن عدد الكتاب كبير لهذا سوف يجعلون الناس تكتب كل أسبوعين فاعتذرت .

نتنقل من السياسة إلى الثقافة ، وهناك طبعاً الأزمة التي وقعت في وزارة الثقافة بسبب الروايات التي تتضمن مشاهد جنسية وعزل على أبو شادي من رئاسة هيئة قصور الثقافة واعتراض المثقفين .. ما رأيك ؟

نحن أصدرنا بياناً عندما وقع عزل على أبو شادي وكشيك وأبو العلا واعتبرنا أن هذا بمثابة عمل هجومي ضد تيار متقدم داخل وزارة الثقافة من أجل القضاء عليه نهائياً وأن

الوزير بهذا العمل يحاول أن يلبس عمامة شيخ الأزهر . وكان عدد كبير من المثقفين قد اتصلوا به وقالوا: إن لديهم بياناً يتضمن هذه الأمور ويطلبوا توقيعي قلت أوقع ، ونحن رفضنا التعامل مع وزارة الثقافة خصوصاً في موضوع المشاركة في أنشطة معرض الكتاب .

ما رأيك فيما قيل عن الروايات ؟

أنا لم أقرأها ، ولكن قيل إنها تتضمن تلميحات جنسية ، ومع ذلك فالأدب له قواعد وأصول تختلف عن الكتابة الأخرى ، فإذا كانت هناك مثل هذه التلميحات فينبغي أن ينظر للموضوع بمنظور الإبداع الفني وليس بمنظور الإثارة الجنسية ، ثانياً هناك قصص وروايات كثيرة فيها مثل هذه الأشياء مثل قصص إحسان عبدالقنوس وغيره لدرجة أن أحد الناشرين لقصص إحسان قام بتغييرات فيها وحذف المشاهد الجنسية ورفع ابنه قضية ضد الناشر لأنه ليس من حقه أن يغير فيها ، وقصص نجيب محفوظ الأولى فيها تلميحات جنسية ، والحقيقة أن هناك تلميحات مختلفة للروايات التي

اثارت الأزمة ، على سبيل المثال كتب إنيار الخراط مقالا عن رواية «قبل وبعد» في «أخبار الأدب» طلعها السما ، وإنيار الخراط ليس أدبيا بسيطاً ، في العدد الأخير من «العربي» كتب فتحي عامر أن الروايات نافقة لكنه قال: أنه غير موافق على المصادرة . يعني هناك تقييحات مختلفة لذلك فنأ رأبي أن عملية المصادرة عملية خطرة جدا مهما كان فيه من تلميحات جنسية لأن الرواية لا يطبع منها أكثر من ٢ ألف نسخة ولا يقرؤها أكثر من ٢٠٠ أو ٥٠٠ من ٦٥ مليوناً وإذا كان هناك خطأ فلا شك عن ضرورة إصلاحه بأن تكون هناك لجان قراءة محايدة ومعتلة لكل الاتجاهات الفنية، ثم لماذا كان الوزير ساكناً كل هذا الوقت على موضوع لجان القراءة ويأتي بعد ذلك ليقول: إنه كان معتمدا على رأبي أن الحل ليس في إقصاء هذه القيادات التي تمثل اتجاهات متقدمة في الوزارة ..

هل تعتقد أن السبب الرئيسي لتصفية هذه القيادات هو موضوع الروايات فقط ؟



من الواضح أن الوزير وقع في حالة فزع عندما تقدم  
بعض رموز الإخوان في مجلس الشعب بطلب الإحاطة . وكان  
قد سبق أن هوجم في موضوعات كثيرة جعلته يشعر أن على  
رأسه ١٠٠ بطعة منها موضوع الآثار وموضوع احتفاله  
بالألفية وإنفاقه الملايين عليها ومعروف أنه كلف بها ميشيل  
جار وأنا مؤيد لنقد الوزير في هذا الموضوع .

ما رأيك في أن تقيم وزارة الثقافة مؤتمرا للمتففين دعى  
إليه الأستاذ محمود أمين العالم كما يقول الوزير ، بالمناسبة  
ما رأيك أيضا في مشاركة الأستاذ العالم في أنشطة  
الوزارة؟

الأستاذ العالم له وجهة نظر وحدها تماما في هذه  
المشاركة . حتى لو لم تكن نتفق معه حول موضوع تعاونه مع  
وزارة الثقافة أظن أنه يعبر عن هذا الموضوع بقوله: إنه  
يتعامل مع الدولة المصرية وأنا لا أرى فرقا بين الدولة المصرية  
ونظام الحكم وأنا طبعاً أحترم رأيه لكن لى موقفاً مختلفاً في  
هذا الموضوع فهو يرأس لجنة الفلسفة في المجلس الأعلى .

للثقافة وانا لم أقبل نهائيا أن أدخل لجنة الثقافة العلمية في المجلس واعتذرت .

وماذا عن مؤتمر المثقفين ؟

مؤتمر المثقفين خطر من الأساس أن تتجاهه وزارة الثقافة . أنا لا أعترض على مؤتمر للمثقفين ولكن اعترض على تبنى وزارة الثقافة له . وزارة الثقافة هيئة حكومية وعلى هذا الأساس فالمؤتمر معرض لأن يكون ركيزة لدعم النظام . لأن المثقف ما هو ؟ المثقف ليس المتخصص في علم من العلوم مثل الكيمياء أو التاريخ ، المثقف هو الإنسان المهتم بشئون البلد ولديه الثقافة العامة وليست كل الناس التي لديها معرفة أو تخصص مهمومة بشئون البلد ؛ وهناك كثيرون لديهم معارف واسعة ولكنهم يسبقون بجوار العائط لهذا فهؤلاء ، غير مثقفين ، والمثقف لابد أن يكون مستقلا عن الدولة ونظام الحكم لكي يكون مثقفا بالمعنى الحقيقي .

إذن ما تصورك للمؤتمر المثقفين البديل ؟

مؤتمر المثقفين يجب أن تنظمه هيئة شعبية مستقلة عن وزارة الثقافة وممثلة لكل الاتجاهات الفكرية والثقافية المختلفة يعنى لابد أن يكون فيه الناصريون واليساريون والليبراليون والاتجاهات الدينية المستتيرة والقوى الوطنية على أن يكون مؤتمرا للمثقفين المصريين والعرب وتوجد فيه كل القوى الوطنية التي ترى أهمية التصدي لإسرائيل أما فكرة أن يحتضن وزير الثقافة هذا المؤتمر فسوف يتحول إلى تأييد للنظام وهذا غير المطلوب طبعا ، إن شاء الله من وجود لجنة شعبية مستقلة للقيام بهذا المؤتمر ثم يأتي بعد ذلك مؤتمر للثقافة العربية يشارك فيه المثقفون العرب لأن الثقافة بمعناها العميق مفروض أن تكون أساسا لكل العمل الوطني وفنا رأيت أن النقطة الأساسية هي مؤتمر مستقل للمثقفين هي التأكيد على هويتنا القومية كعرب ومناضلين ضد الإمبريالية وضد إسرائيل والصهيونية وسوف يكون لهذا المؤتمر مهمة أساسية وهي تشجيع قوى أخرى حينما يرون تحرك المثقفين فيتحركون لأن من أكبر المشكلات التي نعيش فيها هي

إصرار النظام على أن يحكم بالأحكام العرفية منذ عام ٨١ حتى الآن وليس صحيحاً أن قانون الطوارئ لا يطبق إلا على تجار المخدرات والدليل ما حدث لطلاب الأزهر وإصرار النظام على الحكم بالأحكام العرفية يأتي من شعوره أنه لا يستطيع أن يحكم إلا بالبطش ولهذا فهناك قوى كثيرة مترددة وعندما يتحرك المثقفون من خلال مؤتمراتهم سوف يتحركون . لكن هناك أزمة في المثقفين أنفسهم ؟

الأزمة سببها افتقاد الحرية . فالمثقفون غير قادرين على التجمع في ظل الأوضاع الحالية ، ولعل فكرة الدعوة لمؤتمر المثقفين المستقل أن تكون بداية للخروج من هذا المأزق ، هناك مشكلة أخرى وهي أنه ليس كل المثقفين مستعدين للدخول في مخاطر العمل الوطني .

ما قصة رئاستك لدار الكاتب العربي التي أصبح اسمها الآن الهيئة المصرية للكتاب ؟

أنا كنت رئيساً لدار الكاتب من نوفمبر ١٩٦٧ ولادة عام وبدأ هذا الموضوع عندما تلقيت مكالمة من وزير الثقافة ثروت

عكاشة ، وكنت ألقى محاضرة على طلابي في الجامعة ودخل على فراش أثناء المحاضرة وقال لي وزير الثقافة على التليفون قلت له سأكلمه بعد انتهاء المحاضرة وكلمته . فقال لي أريدك أن تأتي إلى الوزارة اليوم الساعة الثانية للحديث في موضوع مهم وعندما تفتي ستعرفه ، وذهبت في الموعد فقال أنا كنت عند الرئيس عبدالناصر وكما تتكلم في تعيينات في وزارة الثقافة ، وكان يرأس الدار في هذا الوقت محمود أمين العالم ، وكان على الراعي يرأس مؤسسة المسرح فحدث خلاف بينه وبين الوزير وخرج على الراعي من مؤسسة المسرح ونقلوا العالم من دار الكاتب العربي إليها . ويبدو أنهم سألوا محمود أمين العالم : من الذي يتولى بعدك فاقترح اسمي . الوزير قال لي ، إنه كان يتكلم مع عبدالناصر حول التعيينات فقال لهم خذوا فلانا وأنا تقديري أن اسمي عرض على الرئيس فلم يعترض . قلت للوزير أما غير متحمس لترك عملي في الجامعة فقال هذه هي توجيهات الرئيس . قلت له إذا كان الموضوع كذلك فلأذهب إلى رئاسة الدار معارا من الجامعة فوافق .

كانت هناك مشاكل مالية كبيرة فذهبت إلى نزيه ضيف وزير  
الخزانة وحصلت منه على قرض بحوالي ٦٥ ألف جنيه  
لحلها .

هل كان هناك تدخل من النظام أو من عبدالناصر لنشر  
كتب بعينها أو رفض كتب أخرى ؟

لا .. لا .. هذا لم يحدث إطلاقا ..

هل منع كتاب من النشر ؟

أنا لم أسمع أن كتابا منع من النشر ، لكن ما سمعناه  
أيامها أن رواية نجيب محفوظ ، أولاد حارتنا كانت تنشر في  
الأهرام فتدخل النزالي لمنعها لأن فيها إشارات للأنبياء والله  
وقال عبدالناصر تستمر في نشرها سلسلة في الأهرام لكن  
لا داعي لإصدارها في كتاب الآن .

هل كان ممنوحا بإصدار كتب تنتقد النظام .

الفترة التي جاءت بعد ١٩٦٧ كانت من أكثر الفترات في  
حرية الكتاب بدليل أن رواية ثروت أباطة «شيء من الخوف»  
وكانت تنتقد النظام بشدة نشرت ، وبدليل روايات أو

مسرحيات عبدالرحمن الشرقاوي وكانت كلها تلقى على  
النظام كانت تنتشر وكان الشرقاوي معاديا للنظام بسبب  
موضوع أخيه عبدالمنعم .

إن ما الذي بقي من فكر عبدالناصر ؟

بقوت أشياء كثيرة جدا سيظل يسيبها عبدالناصر محلا  
للهجوم من القوى الرجعية في العالم العربي والتي لا تهتم  
بقضية الصراع العربي الإسرائيلي فـعبدالناصر هو العنصر  
الرئيسي لهذه القوى في هذا الموضوع بقي عبدالناصر الذي  
أتم القناة وتهدى للعدوان الثلاثي وعمل مؤتمر باندونج وأمن  
بالوحدة العربية ومن ضمن الأشياء التي لا بد أن تذكر  
لعبدالناصر اهتمامه بشكل واضح برعاية الطبقات الشعبية  
ولاشك في أن الشعب المصري تحسنت أحواله الاجتماعية  
في عهد عبدالناصر وعما كان قبله وأن أحوال الشعب  
المصري ساءت كثيرا بعد وفاة عبدالناصر ويذكر لعبدالناصر  
أنه كان زعيما وطنيا بمعنى الكلمة ويذكر له الإصلاح  
الزراعي وتمصير البنوك والشركات والتأميمات التي تمت وأن

مصر لم ترفع رأسها في يوم من الأيام مثلما رفعها في عهد  
عبد الناصر ، كل هذا حقيقى وكل هذا - من ناحية ثانية - لا  
يمكن أن ينسبها أن العودة الوحيدة للنظام هي قضية  
الديمقراطية وقضية الديمقراطية تمت معالجتها بشكل  
شعوى لم تكن هناك ضرورة ماسة لها ولم تكن هناك  
ضرورة ماسة للسجون والمعتقلات وإعدام خميس والبقري كما  
أن عبد الناصر أخطأ في حساباته في موضوع الوحدة مع  
سوريا عندما اعتمد على عبد الحكيم عامر في سوريا وهذا  
أدى إلى مشاكل كثيرة بدليل أن قادة الانقلاب على الوحدة  
كانوا من الضباط السوريين في مكتب المشير .

بالنسبة لإعدام خميس والبقري عبد الناصر كان رافضا  
هذا الموضوع ، ولكن بالنسبة للوحدة ألا ترى أن الأحزاب  
الشيوعية أخطأت في تقديرها للوحدة في ذلك الوقت ؟

أنا رأتى أن الأحزاب الشيوعية أخطأت أيضا في مسألة  
الوحدة عندما تصور أن تفاهم مع عبد الناصر المؤقت مع  
الأمريكان أيام الأزمة بينه وبين خورشوف هو تفاهم أبدي



وهذا أثر على تقديرات الشيوعيين لأن الأحداث أثبتت أن  
تقاعم عبدالناصر مع الأمريكان كان مؤقتا واختلف معهم بعد  
ذلك .

قلت إن القوى الرجعية مسقطل دائما في صراع ضد  
عبدالناصر؟

هذا صحيح بدليل أنني وصلتني أمس رسالة من  
السمودية مجهولة التوقيع ومكتوبة على الآلة الكاتبة كلها  
هجوم وسباب في عبدالناصر والتضليل وضعوها في ظرف  
بمبنى كفتها جواب غرامي رغم أنهم لم يخطنوا العنوان ، يقول  
صاحب الرسالة : يا أخي أنا هجنون منك ، أنت لم تضطهد  
في حياتك كما اضطهدت في عصر عبدالناصر ، ومع ذلك لا  
يوجد من يدافع هذا الدفاع المجيد عنه ملك . قلت لنفسي  
هذا صحيح والسبب أنني لا أحكم على المرحلة الناصرية  
بدلالة ما حدث لي وحدي ولكن بدلالة ما حدث للشعب كله  
ورأيي أنه إذا كان الإنسان سياسيا مسئولاً لابد أن يكون

هذا هو موقفه لا أن يقول فقط أنه كان يسير حافيا في  
معتقلات عبدالناصر وأن .. وأن .. وإن كان كل هذا صحيحا  
ولابد أن يعرف .

ننتقل إلى موضوع التعليم خصوصا وأنت أستاذ جامعي  
ولك رأى فيما يحدث في التعليم الآن ؟

الفكرة الأساسية التي لابد أن يقال الآن هي أن مصر غير  
مستعدة للإنفاق على التعليم بالطريقة التي تجعل مستواه  
جيدا .. هم يقولون إن ميزانية التعليم زادت من ٤ مليارات  
إلى ٦١ مليار جنيه وينسبون السنة التي كان ينفق فيها على  
التعليم ٤ مليارات وخلال هذه الفترة كم مرة زاد فيها عدد  
السكان وكم مرة انخفضت فيها قيمة العملة بسبب التضخم ،  
المعيار الحقيقي أن ترى ما ينفق على الطالب بالأسعار الثابتة  
.. الوزير قال ما ينفق على الطالب ٧٥ جنيه في العام بينما  
يصل الإنفاق على الطالب ٢٧٠٠ جنيه في الخارج وفي  
إسرائيل ، المشكلة إذن هي مشكلة تمويل ، وعندما حضر  
عاطف عبيد اللجنة التحضيرية لمؤتمر التعليم الثانوي قال هذا

بشكل واضح وقال نحن بحاجة إلى بناء ١٢٧ ألف مدرسة خلال السنوات العشر المقبلة وما بناء حسين كامل بهاء الدين لا يزيد على ألف مدرسة ، والتفكير الفاعم عندهم لحل مشكلة التمويل هو عمل مدارس متميزة بعصروفات زائدة لجمع أموال من أولياء الأمور لبناء مدارس جديدة ، وفي المؤتمر وقف أسناذ من جامعة حلوان وقال هذه الطريقة ستؤدي إلى شرح في المجتمع المصري أنا رديت وقلت الشرح حدث فعلا.. لذلك أنا رأيي أنه رغم الجهود التي بذلها بهاء الدين لم يكن من الممكن أن ينجح في حل مشاكل التعليم .

ماذا ؟

لأنه بسبب ظروف الانفتاح وجدت المدارس الخاصة التي لم تكن موجودة في مصر من قبل مثل ما هي موجودة الآن ووجدت المدارس الأجنبية والدروس الخصوصية التي انتشرت بكثرة وهذه الأمور كلها أدت إلى فشل مشروعات حسين كامل بهاء الدين بينما نجح الانفتاح .

# الفهرس

٤	★ مقبلة .....
٧	★ الباب الأول : التكوين .....
٦٢	★ مسيرة حياتي الجامعية .....
٨١	★ ذكريات الاسكندرية .....
٩٦	★ نكريات لندن .....
١١١	★ ذكريات المساء .....
١٢٧	★ انتخابات الدائرة السادسة .....
١٣٧	★ موقف من المرحلة الناصرية .....
١٤٤	★ باقة ورد لاصحسان عبدالقيوم .....
١٤٩	★ شهادة للتاريخ .....
١٦٥	★ الباب الثاني : شخصيات في حياتي .....
١٦٦	★ نكريات مع طه حسين .....
١٨٥	★ ثروت عكاشة وأنا .....
١٩٦	★ نكريات مع اصحسان عبدالقيوم .....
٢٠٦	★ لقاء مع جيفارا .....
٢١٥	★ الفكري .....
٢٢٣	★ نكريات مع على مصطفى مشرفة .....
٢٢٩	★ الباب الثالث : المثقفون والسلطة . في اوردى أبو زعبل .....
٢٣٠	★ رسالة إلى زوجتي .....
٢٤٥	★ هي ذكرى زوجتي .....
٢٧٠	★ العوبة .....
٢٧٨	★ قل مرزوق، قالوا : سليمان الجليبي .....
٢٨٥	★ فكم بكينا بمعنتين ووردة .....
٢٩٦	★ حوار مع الاكتور عبدالعظيم أنيس .....

رقم الابداع

٢٠٠٢/٩٥٣٣

٩٧٧ - ٠٧ - ٠٨٤٥ - ٣

## المجلد

المجلة الثقافية الأولى في مصر والعالم العربي

عدد يونيو ٢٠٠٢ - عدد ممتاز - تقرأ فيه :

- ☐ خفايا القاهرة في قرن من الزمان
- ☐ التخطيط المعماري بين القاهرة وباريس
- ☐ التطرف الديني يسود العالم
- ☐ ذكر ما جرى أيام يونيو ١٩٦٧
- ☐ الثمانيات بداية الاستنساخ الأمريكي في مصر
- ☐ جيل جديد يواجه إسرائيل على الإنترنت
- ☐ من هو الإرهابي؟ .. جزء خاص

- العنف والصهيونية العنصرية د. فكري حفيظ
- من هو الإرهابي؟ .. القذافي أم المحتل مصطفى نبيل
- مسلسل الإرهاب الصهيوني مجدي شرشر
- في أصول الإرهاب الصهيوني د. عاصم الدسوقي
- برنادوت الذي اغتاله الإرهاب الصهيوني د. رشاد الشامي

رئيس التحرير

مصطفى نبيل

رئيس مجلس الإدارة

مكرم محمد أحمد

روايات الملal  
تقدم

---

## اسرار حميمة

تأليف :  
نوريا اهمات

بصدر ١٥ يونيو ٢٠٠٢

رئيس التحرير  
مصطفى نبيل

رئيس مجلس الإدارة  
مكرم محمد أحمد

كتاب الهلال

يقدم

الأيك  
في المباهج والأحزان

بقلم  
عزت القمحاوي

يصدر ٥ يوليو ٢٠٠٢

رئيس التحرير  
مصطفى نبيل

رئيس مجلس الإدارة  
مكرم محمد أحمد



قريباً بالأسواق  
كتاب الهلال

---

# باريس

دكتور  
زكى مبارك

رئيس التحرير  
مصطفى نبيل

رئيس مجلس الإدارة  
مكرم محمد أحمد

## هذا الكتاب

ذكريات من حياتي كتاب جديد للدكتور عبدالعظيم أنيس  
الذى ينتمى إلى رفقة عظيمة من منقلى مصر العظام .

وهو أحد كبار علماء الرياضيات المعروفين عالميا فى مجال  
الرياضة البحتة وإسهاماته متعددة فى تعديل المناهج الدراسية  
وتطويرها بالإضافة إلى إسهاماته الثرية والمثيرة والجريئة فى  
مجال الفكر والثقافة والسياسة ، فهو مفكر إنسانى محب لبلده  
وطنه صاحب مبدأ لا يتغير مذهباً عن حق بسطاء الناس فى  
الحياة الكريمة واشتهر بمعاركه الأدبية والسياسية وكان من  
رواد المعركة ضد القديم .. معركة من أجل أدب جديد تحت  
شعار الأدب فى سبيل الحياة .

ومعاركه السياسية من أجل الحق والحرية ومن أجلهما  
سجن لست سنوات وتعرض لفصل والتشريد عدة مرات وكل  
ذلك لم يؤد إلى تخليه عن مواقفه لحظة واحدة .

وهذا الكتاب يكشف العمق الإنسانى والمعرفى لفهم  
د . عبدالعظيم أنيس المفكر والأديب والسياسى وعالم  
الرياضيات فهو نسيج من العلم والمعرفة المتكاملة سيجد فيه  
القارئ فوائد جمة لاستخلاص دروس من تلك المحطات  
المتنوعة فى حياة الدكتور عبدالعظيم أنيس حيث مر بظروف  
قاسية وصعبة واشتغل بأعمال متباينة سنوات مختلفة من  
حياته فهو فى الأصل كان أستاذ رياضيات فى جامعات مصر  
الثلاث ( القاهرة - عين شمس - الاسكندرية ) وقام بتدريسها  
أيضا فى إحدى كليات جامعة لندن ورغم ذلك اشغل بالصحافة  
وتخصص فى الشؤون العربية .

وهو مشوار طويل من الخبرة الثقافية والعالمية والمشاركة  
الديماسية الثرية بحكيه بصديق وهو غير نادم على أى شئ  
خلال الثمانيين عاما .

All girls and boys from 8 to 18 years and

Join The :

كل الفتيات والفتيان من 8 إلى 18 سنة

انضم اليك :

مهرجان الإسكندرية

الذي ستقام فعالياته في 1-2-3



البحر

إسماء



مهرجان  
الاسكندرية  
الذي ستقام  
فعاليته في 1-2-3

البحر  
إسماء

مهرجان  
الاسكندرية



# روايات معبرة للجيل

أجمل أوقات الفراغ تقضيها  
مع بقية من أمتع القصص والروايات

